واشنطون

وقصص أخرى

قصص حقيقية ممزوجة بالخيال

تأليف

حسن الحداد

دار الطليعة

الحداد، حسن.
واشنطن وقصص أخرى: قصص حقيقية ممزوجة بالخيال/
تأليف: حسن الحداد.
القاهرة: دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير، ٢٠٢٠م.
٢٢٤ ص؛ ٢٠سم.
تدمك ٦ ٩١١ ٢٧٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- القصص العربية القصيرة
أ- العنوان ٨٠٣,٠١
رقم الإيداع: ١٥٣١٦ / ٢٠٢٠
الترقيم الدولي: 6 - 911 - 277 - 977 - 978

دار الطلائع
للنشر والتوزيع والتصدير

٥٩ شارع عبد الحكيم الرفاعي -
خلف التوحيد والنور - مدينة نصر - القاهرة
تليفون: ٢٢٧٤٤٦٤٢ (٢٠٢+)
فاكس: ٢٣٨٩٦٦٤٩ (٢٠٢+)
E-mail : info@altalae.org
Web site: www.altalae.org

جميع الحقوق محفوظة
للمؤلف

يحظر طبع أو نقل أو ترجمة أو اقتباس أي جزء من هذا الكتاب دون إذن كتابي سابق من المؤلف، وأية استفسارات تطلب على عنوان المؤلف.

© 2020

مطابع العبور الحديثة للإستلام والطباعة
مدينة العبور - المنطقة الصناعية - القاهرة
01001842703
01006572031
obour2004@gmail.com

إهداء

إلى الطير المهاجر، رغم أنفه،
أستاذي وصديقي عبد الحليم
عبد الحليم الذي لولاه ما كان
هذا الكتاب.

وإلى الأستاذ الفاضل الكاتب
والناشر عبد اللطيف عاشور
الذي لولاه ما نشر هذا الكتاب.

حسن الحداد

Haz1073@yahoo.com

تقديم

بقلم

عبدالحليم محمد عبدالحليم

ستظل القصة القصيرة من أكثر الفنون اجتذاباً للإنسان المعاصر، سواء كان ذلك على مستوى الإبداع أو على مستوى التلقي، لأنها فنّ العصر بما يحتويه من سرعة، ومفارقات، وتناقضات، وقضايا صغيرة، وكبيرة. ولذلك يبدو أنها الأنسب للتعبير، فهي صوت الذات كما سماها « فرانك أوكونور: أحد أشهر نقادها».

وهذا النوع المراوغ والمدهش من القصص يلتقط جزيئات الواقع ليصنع منها وجوده وعوالمه الدقيقة العامة، فمن الجزء نرى الكل، ومن الذرة عرفنا المجرة، ومن اللحظة ندرك أبعاد الزمن وامتداده، فمن الموقف والومضة التي يسجلها المبدع من شريط الحياة الكبير والمليء بمفردات متعددة يأتي وجود القصة القصيرة وكينونتها وغايتها وهدفها، ولعل هذا ما يفسر سر إقبال الشباب والشابات في وطننا العربي على هذا النوع واهتمامهم به، وهناك العديد من المجموعات القصصية التى تتميز بالتمكن من

أساليب الصنعة بروح الموهبة وعمق الرؤية وصدقها. وعلى الجانب الآخر هناك محاولات للوصول والتمكّن، ولا شكّ أنها بالإصرار والتجويد ستصل الى مبتغاها.

وعلى الرغم من كل ذلك فإن هذا النوع الأدبي يخطو بخطى ثابتة ويصر على منافسة صديقه اللدود التقليدي في المجتمع العربي على وجه الخصوص ونعني به الشعر، وقد حقق منافسة وصعودا واضحا على المستوى الكمي في اتساع المدونة والوجود، وعلى المستوى الكيفي في تطوير المضمون والتشكيل، وما يزال الطريق طويلا أمام كتّابنا للوصول بهذا الفن وغيره إلى مدارات أبعد، وآفاق أوسع.

***

واشنطون
(1)

استيقظ عماد حال فور سماعه صوت المنبه، وبسرعة ضغط عليه حتى لا يوقظ «جى جى» او «باسم»، وكانت الساعة الخامسة إلا ثلث . أمامه عشرون دقيقة فقط لكى يجهز نفسه ويذهب للعمل .فعليه أن يستحم ويهذب شعره، ويرتدي (التكصيدو) ويأخذ معه القهوة التى كان قد أعدتها جى جى البارحة فى الماكينة الأوتوماتيك. كل هذا فى عشرين دقيقة وربما أقل من ذلك.

زحف عماد على يديه وركبتيه، فهو فى منتهى الإرهاق، فقد نام ثلاث ساعات فقط خلال يومين. فهو محتاج أن يصل للمنبه الثانى فى الحمام قبل أن ينطلق. فلديه ثلاث منبهات: واحد بجانب السرير تم ضبطه على الساعة 4.40، والثانى فى الحمام على4.42، والثالث والأخير فى المطبخ على 4.57.

تعلق عماد بالحوض ووقف ينظر فى المرآة ، عيناه حمراوتان مثل الدم من عدم النوم، يفكر فى شئ ما يشغله فماهو هذا الشيئ؟

نعم السيارة يجب تسخينها أولا قبل عمل أى شئ فإن الحرارة هذا الصباح تحت درجة التجمد . إنه شتاء واشنطون الشديد البرودة.

ارتدى عماد بالطو فوق «البجياما» وخرج، فالسيارة موجودة امام الباب. السيارة متوقفة لا تريد أن تعمل.رجع عماد بسرعة داخل مطبخ المنزل وبحث عن مفاتيح سيارة «جى جى» لكنها ليست فى المطبخ.

سوف أتأخر عن العمل ... عماد هامسا «جى جى» أين مفاتيح سيارتك ؟

جى جى مزعورة : فيه ايه ؟

عماد : عليك بتسخين سيارتك سوف أستعملها أنا للذهاب للعمل . سيارتى لا تعمل. ودخل عماد الحمام.

«جى جى» هامسة من وراء باب الحمام : محتمل البطارية تجمدت من البرد ومحتاجة «جمب».

عماد : ليس لدى وقت لكل هذا، سوف آخذ سيارتك وعليك التصرف بدونها اليوم.

«جى جى» : كيف أتصرف وأنا لغتى الإنجليزية ضعيفة ؟ ومحتاجة أن أصطحب «باسم» للببى سيتر واذهب الى الكلية.

خرج عماد من الحمام وهو يرتدى (التكصيدو) قائلا : استعملى اللغة العالمية لغة الصم والبكم.

جى جى : انت فايق ورايق لا تكف عن السخرية منى .

عماد : يقدر أى أحد يسخر من قمر شبرا المشخلع!!

جى جى : بالراحة هما الأسكندرانية حا ياكلونا.

عماد: لا طبعا إنما سوف يقبلوك يا قمر شبراوى.

وقبّل عماد زوجته وأخذ قهوته وخرج يجرى الساعة 4.59 صباحا.

(2)

ركب عماد سيارة زوجته وأدار الراديو ليسمع أخبار المرور والطقس فهذه هى أهم الأخبار الصباحية لأى أمريكى ذاهب لعمله . الطريق لهوتيل أكس يستغرق 45 دقيقة وأحيانا أكثر أو أقل بقليل. وعماد يحافظ على أن يكون فى عمله قبل الميعاد ويترك عمله بعد الميعاد إذا طُلب منه ذلك.

عماد يحترم عمله احترامًا شديدًا، فقد تعلم ذلك من أبيه فى مصر فكان دائما يقول العمل عبادة، وعليك الذهاب لعملك قبل الميعاد بدقائق والانصراف بعد الميعاد بدقائق.

قالت المذيعة إنه لا يوجد حوادث فى الطريق السريع، لكن المرور بطيئا نوعا ما، والحرارة 25 فهرنهيت، والرياح 3 أميال فى الساعة.

عماد : برد شديد لكن الرياح بطيئة . شكرا يا جى جى السيارة دافئة ومريحة. أمسك عماد كوب القهوة الدافئ بيد وعجلة القيادة بيده الأخرى. وبدأ يفكر فى سيارته ماذا سوف يفعل بها ؟ هل يستبدلها بأخرى جديدة أو يأخذها للميكانيكى؟

كل السيارت متجهة، شمالاً إلى واشنطن، وكل السيارت تسير بنظام بين الخطوط المسموح بها، ولا أحد يكسر على أحد وإذا أراد أحد أن يستبدل الخط فتسمح له السيارة المحاذية له بدون أي عراقيل او كلاكسات.

رغم هذا الزحام الرهيب فلا صوت كلاكسات او راديوهات وكستات. الطريق المقابل والمتجه جنوبا شبه خالٍ تماما لكن لا أحد يجرؤ على السير فى الطريق المعاكس. هذه الرحلة المرهقة يقطعها عماد ذهابا وإيابا خمسة أيام فى الأسبوع وأحيانا ستة أيام.

وصل عماد لهوتيل أكس حوالى الساعة 5.55 .موعده فى ال(رستورانت) الإيطالى الساعة السادسة صباحا، فهو يعمل فترتى الإفطار والغداء، وأحيانا كثيرة يعمل فترة العشاء، فإن عليه مصاريف كثيرة ومحتاج أن يعمل أكثر ساعات ممكنة. وهذه الأيام فإن حفلات الكريسمس كثيرة، فعليه العمل أكثر، وهذا ما يحبه عماد لأن دخله يعتمد على البقشيش»التبس». وإذا عمل ساعات أكثر فإن إيراده سوف يكون أكثر. لكن هذا كله سوف يتغير عندما يحصل على وظيفة مدير التى قدم طلبًا للإدارة للحصول عليها بعد نجاحة فى الحصول على ماجيستير الأعمال والفندقة من كبرى الجامعات الأمريكية. والذى أرسلته الشركة لدراسته، وقد تكفلت الشركة بمصاريف الجامعة بشرط أن يحصل على تقدير جيد أو أفضل فى كل فصل دراسى.

حين وصل عماد كانت الشرطة تقف أمام باب العاملين وكل الأبواب الأخرى، يقومون بتفتيش روتيني لكل العاملين، وغير العاملين فإن الرئيس الأمريكى قادم اليوم فى غداء مع أعضاء حزبه.وأن الهوتيل مسئول عن وجبة أعضاء الحزب، أما وجبة الرئيس فمسؤلية طاقم البيت الأبيض.

فكر عماد أنه لو وقف فى هذا الطابور فسوف يتأخر عن موعد عمله . لكنه يعرف بابًا جانبيًا صغيرًا ليس عليه حراسة لكنه يفتح من الداخل. اتصل عماد «بلورا» زميلته ففتحت له الباب الجانبى، ووصل عماد إلى عمله فى موعده بالضبط..

(3)

هوتيل أكس من أفخم وأكبر الهوتيلات فى أمريكا، وهو ملك شركة أميركية وإدارة شركة فرنسية. وقد كان حصول عماد على وظيفة فى هذا الهوتيل من ست سنوات حدثًا مهمًا فى حياته وحياة أسرته.

هوتيل أكس يتكون من 1200 غرفة وبه خمسة «رسترونات»: فرنسى وإيطالى و صينى و إستيك هاوس، والخامس قهوة وسندوتشات، بالإضافة إلى أربع صالأت عملاقة للمؤتمرات والحفلات المختلفة لعلية القوم من الأثرياء وذوى النفوذ والمال من أمريكا وجميع أنحاء العالم. إن هوتيل أكس مدينة متكاملة فهو يقع فى مربع كامل وحده وهو قريب من البيت الأبيض، وبه أفخم المحلات العالمية تحتوي على كل مايريده ويحتاجه العميل أو النزيل بالهوتيل. والفخامة متناهية فى كل مكان بالهوتيل. ويعمل بهذا الهوتيل أكثر من ثلاثة آلاف عامل وإدارى من كل التخصصات ومن جميع الجنسيات. والنزلاء بهذا الهوتيل هم أثرياء الناس من جميع انحاء العالم.

عماد يعمل فى «الرستورانت» الإيطالى بوظيفة «وياتير» أو جرسون . وهو يحب هذا العمل فهو يوميا يقابل شخصيات مختلفه من جميع أنحاء العالم، ونساء جميلات، وممثلين وممثلات ومشاهير، وكثير من أعضاء الكونجرس الأمريكى وسفراء الدول المختلفة. وغيرهم. وسياسين ورجال أعمال منهم البخيل جدا والنصابين, لكن السمة المشتركه لنزلاء هذا الهوتيل هو الثراء المادى الكبير، أو النفوذ السياسى .أما بالنسبة لعماد فإن العمل فى هذا الهوتيل كرحلة حول العالم يوميا.

نعم إنه جرسون لكنه يعمل فى أفخم هوتيلات امريكا ويتعامل مع أرقى الناس فى العالم. كأنه يعمل فى الأمم المتحدة مع فارق اسم الوظيفة !!!

اجتمع المدير الفرنسى «تونى « بالوتاريا فى «الرستورانت» الإيطالى، ووزع السكاشن المخصصة لكل جرسون، فكان سيكشن 1 من نصيب عماد.

تونى : يا عماد... سفير أمريكا فى إسبانيا ومعه حاكم كاليفورنيا ومعهما حارسان

سوف يجلسون عندك وهم قادمون الساعة التاسعة صباحا. ولن يجلس أى أحد عندك من النزلاء العاديين فى الفترة الصباحية غيرهم .

عماد : هذا معناه أنى عندى أربعة عملاء فقط طوال الفترة الصباحية، لماذا لا تضعهم فى مكان آخر؟

تونى : لم أضعهم أنا وإنما اختار هذا المكان ضابط الأمن لأنه بعيد عن الأنظار وبقية العملاء حتى لا يتطفلوا على السفير أو حاكم كاليفورنيا.

عماد : فى نفسه ...هذا اليوم واضح من أوله . السيارة لا تعمل وبعدها سيادة السفير !!!

فى التاسعة حضر اثنان من الحرس الفيدرالي وجلسوا على مائدة جانبية فى سيكشن عماد.

عماد : هل ترغبون فى الإفطار الآن ؟

الحرس : شكرا لن نأكل أى شئ.

(4)

عماد : هل ترغبون فى قهوة؟

الحرس : شكرا جزيلا. لكننا هنا فى عمل وهو حراسة سيادة السفير ومعه سيادة حاكم كاليفورنيا. وليس مسموح لنا الأكل أو الشرب أثناء العمل.

عماد فى نفسه: ومن أين سيادة عماد سوف يأكل اليوم ؟

أتى السفير ومعه حاكم كاليفورنيا وتناولا إفطار كونتينتال، وهو عبارة عن كورسان وقهوة وعصير، وهو أرخص شئ فى المنيو. وظلا يتكلمان بصوت هامس لمدة ساعتين. رآهما بعض النزلاء فحاولوا أن يأخذوا توقيعات منهما علي أوتوغرافاتهم لكن الحرس منعهم من ذلك.

حوالى الحادية عشرة صباحا طلب السفير الحساب، ووقعه بعد إضافة عشرين بالمائه بقشيش.

عماد فى نفسه : عشرون بالمائة من لاشئ يساوى لاشئ، وربنا يعوض علينا فى الغداء!!

توم وجيرى (القط والفار فى أفلام الكرتون) هما «تودوراكى» و«جورج» اثنان من الزملاء اليونايين الذين يعملون مع عماد . وقد أطلق عليهما عماد هذا الاسم بسبب نقاشهما الدائم مع بعضهما باللغة اليونانية ولا أحد يفهمهما. وكان توم قصيرا نحيفا لكنه سليط اللسان ولا أحد يحبه، أما جورج فكان كبير الجسم صغير العقل سليط اللسان لكنه مضحكا. لكنهما كانا يعرفان عملهما جيدا فإن هذه هى صناعتهما أبا عن جد وكانا فخورين جدا بهذا العمل.

فى أحد الأيام قال توم لعماد: إن إحدى العميلات قالت له إنه يشبه أحد الممثلين فى هوليوود.

عماد ضاحكا: نعم إنك تشبه لاسى.

ضحك بقية الزملاء من توم، وهو لا يعرف أن لاسى كانت كلبه ممثله فى هوليوود.

فى أثناء الراحة بين الإفطار والغداء تناقش عماد مع توم اليونانى .

توم فخورا: الحضارة الإغريقية أرقى من الحضارة الفرعونية.

عماد فخورا : بل العكس فإن الحضارة الفرعونية هى أرقى حضارة إلى يومنا هذا.

عماد مازحا لكنه رسم الجدية على وجهه وقال : فى عدد الأحد لواشنطون بوست ريبورت يقول إنه تم اكتشاف «تليفون محمول» أثرى كان يستخدمه الملك خوفو للاتصال ببناة الهرم.

توم : لا أصدق هذا.

عماد : اطلب خوفو على المحمول واسأله بنفسك!

توم : كفاك سخرية . هل سوف يتم ترقيتك لمدير. إننى سمعت أن الشركة سوف تحضر مديرًا فرنسيًا من فرنسا.

عماد منزعجا : هل أنت متأكد؟

(5)

توم : لا تنزعج فإن وظيفة المدير هنا صعبة جدا، وعندما تمتص الشركة دمك يحضروا غيرك، وحصل معى هذا فى شركة أخرى عملت معهم عشرين عامًا، وعندما ارتفع مرتبى قسمونى إلى ثلاث.

عماد: ماذا يعنى قسموك ؟

توم : الشركة عينت ثلاثة شباب بدل واحد مثلى . لكل شاب ثلث مرتبى.

عماد: ولهذا أنت سليط اللسان ؟

توم : ليس كذلك فقد أعدم الألمان أبى واثنين من إخوتى الكبار وعمرى كان شهرًا واحدًا، وهذا فى عام 1944 فى نهاية الحرب العالمية الثانية .

وقد كان أبى وأمى وبقية إخوتى يتناولون الطعام، عندما هجم الجنود الألمان على منزلنا بمساعدة أحد سكان القرية الذى كان يدلهم على المنازل التى بها رجال وشباب. فأخذوا أبى وولدين 14 و16 عاما وأعدموهم مع بقية رجال القرية.

فقد كانت ألمانيا تحتل اليونان، وقد قتلت المقاومة فى قريتنا ضابطًا ألمانيًا فجمع الألمان 30 رجلًا من قريتنا وأعدموهم رميا بالرصاص انتقاما للضابط الألمانى. لقد خسرت اليونان مليون قتيل فى هذه الحرب المقيته.

عماد يكلم «جى جى» على المحمول : السلام عليكم يا جى جى ماذا حدث للسيارة؟

جى جى : وعليكم السلام.. لقد اتصلت «بالتربيل ايه» وحضروا وشغلوا السيارة لكن قالوا إن البطارية يجب ان تستبدل بأخرى جديدة فى أقرب فرصة.

عماد: شاطرة يا جى جى. سوف أشترى بطارية جديدة وأنا فى طريقى للمنزل.

رجع عماد وتوم والأخرون للعمل فى فترة الغداء، وحاول عماد أن يستفسر عن المدير القادم من فرنسا من تونى . لكن كان ال(ريستورانت) مزدحمًا والكل يجرى مثل المجانين لتلبية طلبات العملاء.

مجموعة من رجال الأعمال اليابانيين جلسوا فى سيكشن عماد وطلبوا لابستر، فهو أغلى شئ فى المنيو لكنه بالنسبة لليابانيين رخيص، لأن الطعام فى اليابان غالٍ جدا. وكان عماد سعيدًا جدا بهؤلاء العملاء وقد تركوا «بقشيش» لعماد ليس بالقليل.

انتهى اليوم على خير وعاد عماد إلى منزله مرهقًا لكن عليه شراء بطارية جديدة للسيارة وتركيبها بنفسه، لأن تركيب البطارية عند الميكانيكى سوف يكلفه كثيرًا.

(6)

أثناء تركيب عماد للبطارية فى سيارته حضر استيف جاره.

استيف : هالو عماد هل تريد المساعدة ؟

عماد: هالو استيف ...شكرا استيف... لقد انتهيت من تركيب بطارية جديدة لسيارتى. ما هو الجديد إننى ارى كتابًا فى يديك ؟

استيف : هذا ليس كتابًا، إنه طبعة بلوائح اتحاد ملاك منازل المنطقة التى نعيش بها.

عماد: حسنا ولماذا تحضرها لى ؟

استيف : إننى أطلعك عليها لأن شجرة «المابل» التى غرستها أمام منزلك من أيام غير مسموح بها، لأنها سوف تكبر جدا فى خلال ثلاثين عاما، وسوف تكون جذورها خطرة على منزلك والمنازل المحيطة بها، وعليك استبدالها بأخرى مثل أشجار الفواكه الصغيرة المسموح بها.

عماد : استيف أنا مرهق جدا الآن وسوف أغير هذه الشجرة أثناء عطلتى الأسبوع القادم.

استيف : الأسبوع القادم سوف يكون الوقت متأخرًا، فإن تقارير الطقس تحذر من

عاصفه ثلجية. ولو معك ايصال شراء هذه الشجرة سوف أقتلعها أنا إذا سمحت لى وأستبدلها لك .

عماد : أكون شاكرًا جدا أن تقوم أنت بهذه المهمة فإنى مشغول جدا فى العمل هذه الأيام،إنه موسم أعياد الكريسمس.

اليوم التالى حضر فى سيكشن عماد جروب من العملاء الروس ورفضوا أن يشربوا قهوة فى الصباح، وطلبوا فودكا مع الإفطار. وكان عماد سعيدًا جدا بهؤلاء الروس فقد تحدثوا عن دكتور زيفاجو وعمر الشريف ولويس باسترناك مؤلف الرواية، وكان الحديث معهم ممتعًا فقد تحدثوا كثيرا عن أعلام الأدب الروسى . وقد اندهش الروس من مدى إلمام عماد بالأدب الروسى والثورة الروسية. وذهبوا بعد أن تركوا بقشيشًا ليس بالقليل.

فى فترة الراحة ذهب عماد لقسم شئون الأفراد لكي يستفسر عن طلبه ؟

عماد: ماذا حدث فى طلبى المقدم من شهور؟

مدير شئون الأفراد: الطلب وملفك عند المدير العام. سوف أعمل لك ميعاد لمقابلته وعليك الذهاب إليه غدا أثناء راحتك فى منتصف اليوم.

(7)

فى اليوم التالى حضر للإفطار جروب من النساء الإيطاليات الحسناوات. لكن العمل معهن لم يكن حسناً بالمرة .. كنّ لا يتكلمن الأنجليزية. على الأقل المجموعة التى كانت تجلس فى سيكشن عماد لكن عمادًا تصرف معهن بخبرته وكن سعيدات جدا من الخدمة والأكل وانصرفن بعد تقبيل عماد ولم يتركن بقشيشًا فقط، قبلات وأحضان وابتسامات مثيرة.

عماد لنفسه : هل أرجع لجى جى وأقولها لا يوجد نقود بل قبلات وأحضان من

أخوات صوفيا لورين ؟ سوف تقول لى عليك قضاء الليلة فى سيارتك وفى أحضان أخوات صوفيا لورين !!!

ذهب عماد فى الميعاد المحدد لمقابلة المدير العام.

السكرتيرة: تفضل مستر عماد المدير فى انتظارك.

عماد مستفسرا : فى هذا المكتب؟

السكرتيرة : لا... هذا المكتب لاستقبال العملاء، أما ذاك لاستقبال العاملين بالشركة.

دخل عماد ووقف المدير فى استقباله وصافحه بحرارة.

جلس عماد على الكرسى المقابل لمكتب المدير العام، ولاحظ أن كرسيه منخفض جدا، ومكتب المدير العام أعلى بل فى مستوى كتفيه، وكرسى المدير أعلى من المكتب. إنه مكتب وكراسى تفصيل للعاملين بالشركة. فكرسى المدير العام أعلى من مكتبه، ومكتبه أعلى من كرسى العامل بالشركة. ياله من مدير خبيث!! جلس المدير العام ووضع ساقه على المكتب، فكان حذاء المدير فى وجه عماد!!

تضايق عماد جدا من هذا الوضع فهو يعرف أن هذا المدير الفرنسى عنصرى لكن هنا امريكا وليست فرنسا. وهمّ عماد بالانصراف لكن المدير بادره بقوله :

ملفك معى بطلبك للوظيفة لكن يوجد بعض الموانع أنك تأخذ هذه الوظيفة.

دق قلب عماد بسرعة من كثرة الانفعال، وأصبح جسمه ساخنًا، ووجهه يكاد ينفجر من السخونة والانفعال.

عماد : ما هى هذه الموانع؟

المدير العام : يوجد تقريران فى غير صالحك، وهما أنك رفضت الحضور للعمل عندما طلبك تونى للعمل، والثانى أنك لم تحضر للعمل بدون عذر أو طلب مسبق منك يوما كاملا.

(8)

عماد منفعلا لكن بهدوء قال: إننى أسكن فى بلد أخرى جنوب واشنطن، وتبعد أكثر من ثلاثين ميلًا وقد طلبنى تونى حال وصولى للمنزل بعد يوم كامل من العمل هنا، وكان الأولى أن يطلب منى هذا قبل مغادرتى الهوتيل والذهاب للمنزل، ولماذا لم يطلب أحد العاملين القاطنين بواشنطون؟ أما التقرير الثانى فإن تونى غير جدول العمل فى غيابى ولم يتصل بى ليعلمنى بذلك.

المدير العام : سوف أرسل طلبك لإدارة الشركة فى باريس وربما لهم رأى آخر.

عماد : لكن هنا أمريكا وليست فرنسا، ولى حق فى هذه الشركة، فإنى أخدمها واخدم عملاءها مخلصا من ست سنوات.

المدير العام فى منتهى الأدب والدبلوماسية : كل الذى تقوله صحيح يا عماد لكن الشركة الأمريكية المالكة غير الشركة الفرنسية التى تدير الهوتيل، ولها أن تتصرف بما تراه فى صالحها.

عماد : هذه عنصرية ولن أستسلم لهذا.

المدير العام يقف مبتسما ابتسامة صفراء وهو يصافح عماد بحرارة مفتعلة : مع السلامه يا عماد.

خرج عماد من عند المدير العام وهو يستشيط غضباً، فقد راح ضحية مؤامرة فرنسية دنيئة. فقد تآمر عليه تونى ومدير شئون العاملين، وبالتأكيد بعض زملائه أيضا فإنهم لا يرونه مديرا عليهم. انتهى اليوم بشكل أو بآخر.

جى جى : ماذا بك يا عماد؟

عماد : خسرت الوظيفة التى كنت أطمح إليها .

جى جى : ابحث عن وظيفة أخرى فى السنه القادمة فإنها أيام ويأتى العام الجديد إن شاء الله وتعود علينا بخير، وتجد عملًا أفضل. وظلت جى جى مع زوجها تسترضيه حتى هدأ غضبه.

جى جى : لقد غرست أنا وبرندا زوجة استيف شجرة خوخ أمام منزلنا .

عماد : لن أسكت على هذا فسوف أذهب لمحامٍ مهما كلفنى هذا، فان المحامين هنا باهظو الأتعاب . لكنى سوف أحتفظ بهدوئي ووظيفتى الحالية حتى أقابل المحامى

حدد عماد ميعادًا مع محامٍ قريب من الهوتيل بعد أسبوعين وهذا اقرب ميعاد وجده وهو بعد احتفالات رأس السنه.

(9)

فى الساعة 5.55 من صباح أحد أيام ديسمبر، وبعد أن ترك عماد سيارته فى الجراج سار مسرعا لهوتيل اكس لأن الطقس كان باردا جدا فى هذا الصباح فوجد جورج يقف أمام عداد الأنتظار خارج سيارته.

عماد : جورج... لماذا تقف هنا فى هذا البرد القارس ؟ هل تريد مساعدة ؟

جورج : أنا منتظر حتى تصير الساعة السادسة تماما وأضع النقود فى عداد الانتظار ولو وضعتها الآن سوف أخسر ربع دولار.

عماد : انتظر داخل السيارة إذن قبل أن تمرض من هذا البرد.

جورج : لكن البنزين غالٍ.

عماد : أنت مجنون وسوف تموت من البرد من أجل ربع دولار. أنت فى حاجة إلى طبيب.

جورج : أنا صحتى جيدة ولست محتاجًا إلى أى طبيب.

عماد: أنت محتاج طبيب مجانين. أنا ذاهب الهوتيل.

عماد فى ذهنه: مال الكنزي للنزهى ....فجورج الذى يخاف على ربع دولار قد ذهب ابنه للسياحة فى أسترليا لأنها فى الموسم الصيفى فى النصف الجنوبى من الكرة الأرضية مع صديقته الأسبانية، وأرسل لأبيه يطلب عشرة الأف دولار مديوناً بها لكازينو القمار الذى ينزل به أو سوف يسجن فى استراليا.

عماد : اتركه فى السجن حتى يتعلم.

جورج : لكنه ترك طفليه معنا أنا وأمه وأخذ الأسبانية وذهب للسياحة.

عماد: طبعا... لو ابنك طلب منك أى نقود لم تكن تعطيه، فوضعك فى الأمر الواقع.

جورج : نعم وهذا ما تقوله أمه فإن الأسبانية تخطط له وهو يبتزنى.

عماد : هل الأسبانية زوجته ؟

جورج : ليست بزوجته وله منها ولد وبنت. ورافض أن يتزوجها بحجة أنه إذا غضب منها يأخذ حقيبته ويذهب لحاله.

عماد : وإذا هى غضبت منه ؟

جورج : تلقى له ملابسه فى الشارع. وهى وهو ليسا بحاجة إلى قضايا ومحاكم ومحامين.

(10)

أثناء الراحة فى الهوتيل بين الإفطار والغداء

عماد يجلس مع مجموعة من الزملاء

ماليسا لبقية الزملاء: إننى لا أتقاضى بقشيشاً جيداً فى هذا العمل، وإننى كنت أتقاضى أضعاف هذا عندما كنت أعمل راقصة استربتيز.

جورج : ارجعى مرة اخرى للرقص.

توم : ومن يحب أن يرى راقصة بهذه السمنة؟

عماد : ممكن تعمل راقصة فى ملهى المكفوفين.

ماليسا: لو أنا المديرة سوف أطردكم جميعا.

توم مبتهجا: لكنك لست المديرة، ولو أنت المديرة سوف يفلس الهوتيل وكلنا سيطرد وأنت أولاً .

موسى محتجا: كفاية ضجة لو سمحتم.

عماد : ماذا بك يا موسى ولماذا أنت تضع رأسك على المائدة؟

موسى : لقد طلبتنى أمى من فلسطين بمكالمة دولية مكلفة الساعة الثالثة صباحا.

عماد : خير إن شاء الله.

موسى : خير الحمد لله لقد طلبتنى أمى الثالثة صباحا من فلسطين لتبلغنى أن البقرة ولدت وأنجبت عجلًا! ومن ساعتها وأنا مستيقظ.

عماد : هل هذا من الفرح !!؟

توم : هذا من التفكير فى فاتورة التليفون.

مصطفى : هذا أمر عادى لكل المهاجرين، فإن فاتورة التليفون جزء أساسي من المصاريف المنزلية، فإن زوجتى تكلم أمها بالساعات فى بيروت لسؤالها عن أحسن طريقة لعمل الكبة؟

(11)

ماليسا ومارتا يتهامسان وينظران إلى عماد.

مارتا: هل حصلت على وظيفة المدير يا عماد ؟

عماد : لا.

مارتا : لكن الوظيفة مازالت شاغرة.

عماد : لكنى لست مؤهلًا لها حسب رأى المدير العام.

الجميع : هذا هراء... ماعدا ماليسا فإنها تبتسم بسعادة وشماتة.

جورج : عليك بمقاضاة الشركة بمساعدة النقابة.

توم : النقابة ليس لها دخل فى هذا فإن الوظيفة التى يسعى إليها عماد وظيفة إدارية وليست عمالية. والنقابة فى خدمة نفسها وليست فى خدمتنا وقادة النقابة بضعة محتالين.

***

عماد : صباح الخير تونى.

تونى : صباح الخير عماد.

عماد : أريد الإذن بالعمل نصف اليوم فقط . فإنى محتاج أخذ زوجتى الحامل للطبيب بعد ظهر اليوم، فإنها كانت متعبة جدا البارحة.

تونى : بكل سرور وممكن أن تذهب الآن لو أحببت ذلك .

عماد : لقد أتيت إلى هنا فعلى الأقل أعمل نصف اليوم. سوف أغادر العمل الساعة الحادية عشرة.

عمل عماد فترة الإفطار بهمة، وقد كان (الرستورانت) مزدحمًا جدا لكنه انتهى من عمله وذهب وأخذ جى جى للطبيب

الطبيب : أمامها ثمانية أسابيع حتى تلد. ويجب عليها الراحة التامة هذه الفترة.

عماد : كيف هذا وعندنا طفل آخر من سوف يرعاه ؟

الطبيب : عليكم اخذه للبيبي سيتر ترعاه طوال اليوم فى هذه الفترة الحرجة من الحمل. المهم أن جى جى تنام على ظهرها المدة الباقية ولا تعمل شيئًا سوى الذهاب للحمام وإلا سوف تفقدوا الجنين.

ذهب عماد وجى جى والصغير باسم إلى منزلهم، واتفقت جى جى مع البيبى سيتر أن تأخذ باسم طوال اليوم بداية من صباح الغد.

(12)

عماد : الحقينى يا جى جى .

جى جى : ماذا بك ؟

عماد : سوف أتقيأ.

جى جى : اذهب إلى الحمام سريعًا.

لكن عماد تقيأ فى الصالة والحمام وغرفة النوم، وفي كل مكان فى المنزل. وظل عماد يتقيأ من الساعة الثانية ظهرا حتى العاشرة مساء، وجى جى تنظف وتمسح خلفه، وكان على جي جي أن تستلقى على ظهرها حسب تعليمات الطبيب.

فى العاشرة مساء لم يعد عماد يتحمل وغير قادر على الوقوف بنفسه.

عماد مرهق ويتكلم بصعوبة وبحشرجه كأنه يحتضر، جى جى سوف أموت اطلبى الإسعاف أنا غير قادر على الوقوف ورأسى ثقيلة.

عماد: جى جى كلمى تونى وأبلغيه أننى لا أستطيع العمل غدا.

جى جى مذعورة ماذا تفعل لعماد أو لنفسها أو للصغير باسم وبالإضافة لتونى؟

حضر طبيب ومعه آخر لإسعاف عماد، قررا أن يأخذاه للمستشفى. واصطحباه إلى سيارة الإسعاف.

كان المنظر صعبًا.

باسم يبكى : رايح فين يا بابا؟

جى جى مزعورة وهى تمسك ببطنها : وماذا سوف أعمل وحدى ؟!

***

(13)

عماد لا يعى شيئا.

استيقظ عماد فى المستشفى وهو محاط بالطبيب ومجموعة من الممرضات.

عماد: ماذا بى يا دكتور؟

الطبيب : مبدئيا لا يوجد شئ بك، وأعتقد أنك مرهق جدا ومحتاج راحة لثلاثة أيام، ولكنى سوف أطلب لك ببعض التحاليل والأشعات للتأكد من حالتك.

نظر عماد للساعة فإذا هي الواحدة صباحا. وأخذ ذهنه يعمل بسرعة ويسأل نفسه: ماذا سوف تفعل جى وحدها وهى حامل فى الشهر السابع والطبيب أوصاها ألا تتحرك ؟ وماذا سوف تفعل مع الصغير باسم ؟ ثلاثة أيام فى المستشفى هذا كثير؟ يجب أن أخرج من هنا فى أقرب فرصة؟!

كذلك حفلة رأس السنه بعد الغد وهذه فرصة جيدة لعمل كثير من البقشيش، ولو لم أذهب للعمل فقد يكتب توني تقريرًا يعرض بي ويشوه صورتي أمام المدير العام. فالحرب الخفية على أشدها بينى وبين الإدارة . إننى لا أملك الرفاهية لترك هذا العمل أو حتى أخذ أجازة مرضية فإنى العائل الوحيد لهذه الأسرة الصغيرة. ونحن هنا وحدنا أنا وجى جى وباسم ومعنا ربنا عز وجل. كذلك فقد وضعت كل مدخراتى مقدمًا لهذا المنزل الجديد الجميل. فأنا مسؤل عن مصاريف كثيرة .

عماد لنفسه: بمشئة الله سوف أتغلب على كل هذه الظرف فبقوة الإرادة والتصميم والعمل والتعامل مع كل مشكلة على حده، سوف أجد حلًا إن شاء الله. وعند خروجى من المستشفى سوف أفكر فى الحلول لكل هذه المشاكل. فإن حياتى كلها معارك، خسرت بعضها وكسبت أخرى. إننى اخترت الغربة فعليّ أن أتحمل ويجب ألا يعرف أحد شيئًا عن مشاكلنا فإننا قادرون، بعون الله، أن نتغلب على هذه الأزمات الصحية والمالية والعملية والعائلية.

عماد يطلب مكتب الطبيب فى المستشفى ويستفسر عنه.

مكتب الطبيب : ماذا بك ؟

عماد : أريد أن أعرف إذا كان فى إمكانى الذهاب لمنزلى اليوم ؟

مكتب الطبيب : سوف يمر عليك الطبيب فى الصباح الباكر واسأله عما تريده؟

أحد الأشخاص يطرق الباب.

الطارق : ممكن أدخل ؟

عماد : تفضل

(14)

دخلت الحجرة سيدة متوسطة العمر ومعها مجموعة من الأوراق، وعرفت بنفسها، إنها من إدارة الحسابات.

المحاسبة : مستر عماد هل تتمتع بتأمين صحى ؟

عماد : نعم، وهذه بطاقة التأمين الصحى. وهل قسم الحسابات يعمل فى الليل أيضا ؟

المحاسبة : طبعا فإن المستشفى تعمل على مدار الساعة.

المحاسبه تنقل كل المعلومات التي على البطاقة إلى الأوراق التى لديها.

المحاسبة : شركة التأمين تتحمل ثمانين بالمائة من المصاريف وعليك دفع عشرين بالمائة.

طلبت المحاسبة من عماد التوقيع على مجموعة الفواتير: واحدة للإسعاف، والثانية للمستشفى، والثالثة للطبيب، والرابعة لقسم الأشعة والخامسة ليست فاتورة وإنما إقرار بأنه مسئول عن كل هذه الفواتير إذا رفضت شركة التأمين الدفع لأى سبب من الأسباب.

وقع عماد على الفواتير والإقرار وهو يتمتم: موت وخراب بيوت!!

عماد يحاول أن يتصل بجى جى لكنها لا تجاوب على التليفون.

عماد قلق جدا ...ماذا حدث لجى جى وباسم لقد تركتهما بينما كانت جى جى متعبه جدا . عماد قلق جدا ومتوتر الأعصاب.

***

لم ينم عماد إلا دقائق متقطعة، فطوال الليل الممرضات يقسن الضغط والحرارة، بالإضافة إلى عمل الأشعات والتحاليل.

وكل هذا بالطبع يضاف على الفواتير.

طرق الباب ودخل الطبيب.

عماد للطبيب : هل ممكن أن اخرج من المستشفى اليوم؟

الطبيب : إننى أنصحك أن تظل فى المستشفى تحت الملاحظة لمدة ثلاثة أيام.

عماد : لو سمحت أريد الخروج فان زوجتى الحامل وابنى الصغير بمفردهما.

الطبيب : سوف توقع إقرارًا بأنك المسئول عن هذا الخروج المبكر من المستشفى كذلك عليك الذهاب لطبيبك المعالج فى خلال ثلاثة أيام.

عماد : أنا شاكر وسوف أوقع الإقرار كما طلبت.

(15)

ثمة طارق بالباب

عماد : تفضل.

دخل استيف جار عماد

استيف : صباح الخير يا عماد. مبروك لقد رزقت بولد.

عماد مذعورا : كيف هذا ؟ فان جى جى أمامها ثمانية أسابيع.

استيف : لقد اتصلت جى جى بزوجتى برندا فأخذنها للمستشفى ووضعت طفلًا مبتسرا لكنه بخير، وجى جى بخير فلا تقلق عليهما، وباسم فى رعاية برندا. وقد حضرت لأطمئنك قبل ذهابى للعمل.

عماد فى ذهنه ... مشكلة جديدة... طفل مبتسر... رحمتك يا رب ؟

عماد : استيف أنا شاكر لك ولبرندا كل هذا المجهود . هل فى إمكانك أن تأخذنى إلى منزلى ؟

استيف : أنا آسف . سوف أتأخر عن عملى . فعليك بطلب تاكسى.

وأردف استيف : على فكرة ياعماد لقد اتصلت بعملك وتحدثت مع تونى وقلت له إنك بالمستشفى، فسألنى من فى المستشفى عماد أو زوجته ؟ فقلت له عماد فى مستشفى وزوجته في مستشفى أخرى !!!

ذهب عماد لمنزله واستلقى على سريره واستغرق فى النوم، وحوالى العاشرة صباحا دق جرس التليفون.

جى جى : عماد أين أنت؟ هل أنت بخير ؟ مبروك جالك ولد وزنه كيلو وربع !!!

عماد : حمدالله على السلامة يا جى جى، ومبروك على المولود. أنا بخير والحمد لله، لا تقلقى على، فقط انتبهى لنفسك والمولود.

جى جى : متى سوف تأتى لرؤيتنا ؟

عماد : أنا مرهق جدا من المستشفى طوال الليل مستيقظ بسبب الممرضات والتحاليل سوف أنام ساعتين وأحضر أنا وباسم لرؤيتكم إن شاء الله.

بعد عدة مكالمات من جى جى، أخيرا ذهب عماد ومعه باسم لرؤية جى جى والمولود الجديد.

قفز باسم على السرير واحتضن أمه وقبلها، فأخذته جى جى فى أحضانها. قبّل عماد جى جى وذهب لرؤية المولود الجديد «تامر»، وكان قد اتفقا على هذا الاسم قبل ذلك.

دخل عماد لغرفة كبيرة ملئية بالأطفال الحديثى الولادة فى سرائر صغيرة جدا، وبعضهم فى الحضانات، وهؤلاء الأطفال لا يرون أمهاتهم إلا فى أوقات الرضاعة.

نظر عماد للمولود وكان صغيرا جدا وعلى رأسه قبعة فى حجم فنجان القهوة التركى، وعلى عينيه قرصان من القماش لمنع الضوء، ولكنه ساكن مستسلم ومستمتع بنومه.

جى جى لعماد : سوف أذهب للمنزل معك، وسوف أرجع مرة كل يوم للمستشفى لرؤية تامر إلى أن يأمر له الطبيب بالخروج، وقد قال الطبيب إن تامرًا سوف يخرج فى خلال أسبوع إن شاء الله، وهذه هى أوامر الطبيب، لأن التأمين لن يدفع لأم المولود أكثر من يومين فى المستشفى وأسبوع واحد للمولود، وعليك دفع أى مبالغ إضافية إذا ظل المولود فى المستشفى أكثر من سبعة أيام.

نظر عماد إلى جى جى وعلى وجه ابتسامة باهتة وقال:

المهم أنتما فى صحة جيدة وهذا الأهم بالنسبة لى الآن.

(16)

تونى فى التليفون : عماد هل مازلت مريضًا؟ تونى مستمرا فى الحديث.

مسسز والتر طلبتك بالاسم لكى تقوم بالخدمة عليها وأسرتها لعشاء خاص ليلة رأس السنه. ماذا أقول لها ؟

عماد : طبعا بلغها أنى قادم. هل أبلغتها أننى كنت بالمستشفى ؟

تونى : بالطبع لا. وهل أنت مستعد للعمل غدا ؟ لا نريد مشاكل مع العملاء.

عماد : الطبيب قال لى إن صحتى بخير لكنى محتاج راحة، وقد استرحت يومين وغدا الثالث.

تونى : حسنا عليك بالحضور غدا الساعة الثامنة مساء فتكون قد استرحت يومك الثالث، وأحضر معك تقرير الطبيب الذى أخذته من المستشفى.

بعد أن أنهى عماد مع تونى المكالمة التليفونية. بدأ يشك فى نواياه: هل مسسز والتر طلبته بالاسم فعلا ؟ أم أن تونى اقترح عليها ذلك . عماد يعرف مستر ومسسز والتر من عشر سنوات عندما كان يعمل فى نادى الجولف ومستر والتر هو الذى رشحه للعمل بهذا الهوتيل. ربما تونى مدبر خدعة ليفسد علاقة عماد مع مستر ومسسز والتر. لكن عماد لن يمتنع عن هذا العشاء الفاخر فإن مسسز والتر سخية فى البقشيش بعكس زوجها الثرى البخيل.

لكن مسسز والتر هذه العجوز المتصابية صعب التعامل معها أحيانا وبالذات عندما تشرب الخمور وهذا كثيرا، فإنها امرأة ثرية، جميلة، لعوب، وهى تقريبا فى الستين من عمرها، وقد كانت ملكة جمال ولاية جورجيا التى تقطن بها.

طبعا لا أحد يعرف عمرها الحقيقى، فهى تتدعى أن ابنها ذات الأربعين عاما هو أخوها الكبير، وقد منعت أحفادها بمنادتها بالجدة، فالأطفال ينادونها بجولى وهو اسمها قبل الزواج.

وقد تزوجت عدة مرات من كبار رجال الأعمال الأثرياء، والأخير هو مسترجيمس والتر رجل أعمال ثرى، وسفير سابق، كذلك هو عضو فى الكونجرس الأمريكى وله نفوذ عظيم فى حزبه وحكومة واشنطون.

ذهب عماد لهوتيل اكس الساعة الثامنه مساء ليلة رأس السنة، وكان الهوتيل فى أبهى حالاته كذلك العاملون به . والكل سعيد بقدوم العام الجديد. وكان هناك احتفال خاص بصالة الحفلات الرئيسية يحييها مطربون ومطربات أمريكان مشهورون وكان الطبق للفرد الواحد يبدأ بألف دولار ويزيد حتى عشرة آلاف دولار وأكثر، وهذا السعر للموائد القريبة من المقدمة حيث يقف المطربون والمطربات .

ومنظمو الاحتفال يأملون أن يجمعوا ملايين الدولارات لرعاية ضحايا المجاعات الأفريقية . والمطربون متبرعون بالعمل لصالح الحفل بدون أجر. وعادة رواد هذه الحفلات هم رجال الأعمال أو موظفو الشركات العملاقة مثل شركات صناعة السيارات والطائرات، حيث تقوم هذه الشركات بالتبرع لتأخذ تخفيضات ضريبية من الحكومة الأمريكية، ودعاية عالمية، وفتح أسواق جديدة لمنتجاتها فى أفريقيا وحول العالم، بالإضافة إلى مساعدة ضحايا المجاعات الأفريقية.

(17)

منيو عشاء مسسز ومستر والتر وأسرتها كالأتي:

2 مارتينى، و 2 اولد فاشن، أنواع من الخمور المخلوطة بنسب معينه لكل فرد.

حساء بصل فرنسى بالجبنة السويسرى المنتشرة على وجه الشوربة لأربعة أشخاص.

سلاطة سيزر لأربعة أشخاص – سلاطة يتم عمل حباشها من صفار البيض والأنشوجة وبهارات ويتم تقليبها أمام العميل فى إناء من خشب أرو نادر.

شاتوبوريان لأربعة أشخاص - لحم بقرى فاخر يتم طهيه أمام العميل. فلامبيه نوع من الطهى الفرنسى مع أشكال الخمور مع الشاتوبوريان .

جزر واسبرجس وهو نوع من الخضار الفاخر.وعليه صلصة برينز وهى صلصة بصفار البيض وذبدة.

2 زجاجة نبيذ أحمر فرنسى فاخر.

الحلو.

كيكة الجبنة بالفراولة لأربعة أشخاص.

ايرش كوفى قهوة بالخمور والكريمة فلامبيه لأربعة أشخاص.

عماد لتونى : هذا منيو كبير جدا وهل كل هذا عليّ أن أعمله وحدى؟

(18)

فى العشاء المخصوص لأسرة مستر ومسسز والتر فى ليلة رأس السنه كان الهوتيل فى منتهى الازدحام.

عماد : تونى أنا أحتاج لزميل آخر معى لتقديم هذا العشاء.

تونى : الهوتيل كومبليت مائة فى المائة، والجميع مشغولون بعملاء آخرين، وعليك القيام بهذه المهمة وحدك، كذلك البقشيش سوف يكون لك وحدك وليس مشاركة مع زميل اخر.

ذهب عماد للمطبخ ووضع حساء البصل الفرنسى والشتوبريان المشوى نصف شواء والصلصة البرنيز والجزر والأسبرجس ووضعها فى الصندوق الساخن المتنقل لحفظه حتى ساعة التقديم.

واحتفظ بالسلاطة والحلويات فى الصندوق البارد المتنقل كذلك وبجانب الصندوق النبيذ الفرنسى والخمر الأسكتلاندى. قررعماد ان ينقل العشاء لجناح مستر والتر على مرتين.

جناح رقم 701 هو جناح مستر ومسسز والتر المفضل، وهو دائما محجوز لهما. الجناح مجهز بمفروشات ملك فرنسا لويس الخامس عشر الأصلية، والتى تعتبر من الأنتيكات التى تقدر بملايين الدولارات بالإضافة للنجف الكريستال والسجاد العجمى .

جناح 701 هو جناح كبار الزوار من ملوك ورؤساء، وطبعا مستر والتر سفير سابق وعضو الكنجرس حاليا، وزوجته ملكة جمال سابقة وهى وزوجها من أغنى الأسر الأميركية المعروفة.

قرر عماد أن يأخذ الصندوق الساخن أولا على مائدة متحركة للجناح فى الطابق السابع حوالى الساعة التاسعة مساء، فإن تقديم العشاء هو العاشرة مساء وبنهاية تقديم العشاء تكون الساعة الثانية عشرة ويتم الأحتفال بالسنة الجديدة.

خرج عماد من المصعد فى الطابق السابع وسار فى الممر الطويل إلى جناح 701، وكان يعم الممر سكون مريب، والإضاءة خافتة فإن معظم النزلاء يحتفلون فى الصالة الرئيسية، حيث تتواجد الفرقة الموسيقية. شعر عماد أن أحدًا يتبعه فالتفت للخلف فلم يشاهد أحدًا استمر فى السير وسمع خطوات شخص ما يتبعه، فتوقف فجأة فتوقفت الخطوات . ترك عماد مائدة الأكل المتحركة وذهب حيث المصعد فلم يجد أحدًا فذهب لآخر الممر فلم يجد أحدًا.

رجع عماد بسرعة للمائدة المتحركة فلم يجدها !!!

عماد لنفسه : هذه ليلة مربكة أين المائدة ؟ سمع عماد صوت المائدة تتحرك فى ناصية الممر. أسرع عماد ليرى من أخذ المائدة، وكان عليه أن يجرى لكن ممنوع الجرى فى الهوتيل حتى لا ينزعج النزلاء. سمع عماد صوت المصعد رقم 3 فحاول أن يلحق به ولم يتمكن، لكنه لحق بالمصعد رقم 4 . إذ لكل ممر به مصعدان، وكل طابق به 4 ممرات .

(19)

ذهب عماد مرتبكا ومتوترا للمطبخ ليبلغ تونى بما حدث لعشاء مستر والتر فوجد المائدة المتحركة بالصندوق الساخن فى المطبخ . قالوا له فى المطبخ إن أحد ضباط الأمن أحضرها وكان يعتقد أن المائدة تركت هناك بالخطأ.

عماد أخذ المائدة مرة أخرى لجناح 701 وطرق الباب بلطف فتحت له الحسناء مسسز والتر.

مسسز والتر : كيف حالك ياعماد وكيف أسرتك ؟

عماد : نحن بخير وقد رزقت بطفل جديد وزنه كيلو وربع.

مسسز والتر متعجبه : كيف هذا ؟ يجب أن تحكى لى كل شئ.

كثير من أشخاص الطبقة الأرستقراطية والحاكمة يرغبون فى سماع حكايات وأخبار الطبقة الدنيا، ففيها تسلية لهم، وكذلك معرفة بما يجرى بين الطبقات الدنيا.

عماد : سوف أحكى لك كل شئ بعد إحضار بقية الطعام.

مسسز والتر : فى هذه الحالة خذ المفتاح معك لأنى سوف أكون مشغولة، فعليك أن تدخل بنفسك وتقوم بعملك.

ذهب عماد للمطبخ مسرعا وأحضر المائدة الثانية بالصندوق البارد والمشروبات، وعليه أن يسرع فإن الوقت يمر سريعا .خرج عماد من المصعد فى الطابق السابع وسار سريعا للجناح رقم 701 وسمع أحد الأشخاص يمشى وراءه مسرعا، نظر عماد خلفه فلم يجد أحدًا. لكنه وجد المصباح أمام الجناح لا يعمل والمكان مظلم ومرعب . واعتقد أن أحد الأشخاص يقف فى الظلام يراقبه .

فإن هذا الهوتيل قديم جدا ، وقد ظل خاويا لسنوات طويلة حتى اشترته الشركة الحالية وجددته وأصبح عامرا مرة أخرى لكن كثيرًا من العاملين القدامى يحكون قصصًا مخيفة حدثت معهم.

هذه الليلة كل النزلاء فى الحفلة الموسيقة بالطابق الأول ما عدا مستر ومسسز والتر فهما يحتفلان بعشاء خاص بابنتهما وصديقها الذى سوف يتقدم رسميا لخطبتها. وبعد هذا سوف ينضموا للجميع فى الحفل الغنائى.

عماد مرة أخرى يسمع خطوات قريبة منه بل أنفاس شخص أو أشخاص يتنفسون بحشرجة وراء رقبته بهواء ساخن

عماد مرعوب وفى صوت خافت : من هناك ؟ فلم يتلقّ أى جواب!!

عماد مرعوب، وقرأ :بسم الله الرحمن الرحيم ثلاث مرات . نرجو من الله أن تمر الليلة على خير.

رغم أن عماد معه مفتاح الجناح 701 إلا أنه من الأدب أن يطرق الباب أولا. عماد يطرق الباب بلطف وهو مرعوب.

مسسز والتر : ادخل يا عماد.

دخل عماد الجناح ووجد الحسناء مسسز والتر ترتدى روب الحمام وهى تبكى.

عماد لمسسز والتر : ماذا حدث ؟

(20)

عماد يسأل نفسه: هل مسسز والتر رأت ما رأيت وشاهدت ما شاهدت ؟ ولهذا تبكى.

مسسز والتر منتحبة: جيمس والأولاد مقطوعون فى مطار شيكاغو بسبب الجليد، وكل رحلات الطيران أُلغيت وسوف ينامون هم فى هوتيل المطار وأنا سوف أنام هنا وحدى.

عماد : لماذا لا تنضمى للجميع فى الحفل الساهر فى الطابق الأول ؟

مسسز والتر: لا أستطيع هذا، فإن الصحفيين سوف ينشرون صورتى وحدى فى ليلة رأس السنه، وسوف ينسج القراء قصصًا خيالية عنى وزوجى وأولادى الذين لم يحضروا معى الحفل الساهر.

عماد: ماذا أفعل الآن ؟

مسسز والتر: اعمل لى مشروب مارتينى أولا والعشاء ثانيا، واعمل لنفسك نفس الشئ.

عماد : ليس مسموح لى بمجالسة العملاء فى الهوتيل. لو عملت ذلك سوف يتم فصلى.

مسسزوالتر: هذا هراء فإننى أسمح لك أن تجلس معى، فأنا أشعر بالوحشة فى ليلة كهذه وجيمس وأولادى بعيدون عنى، ولن يستطيع أحد أن يفصلك، فإن جيمس زوجى يمتلك 20 فى المائة فى الشركة المالكة لهذا الهوتيل.

عماد: حتى لو مستر والتر يتملك مائة بالمائة فى الهوتيل فإننى يجب أن أتبع قوانين الهوتيل . تفضلى المارتينى.

شربت مسسز والتر ثلاثة كؤس من المارتينى قبل أن تتناول العشاء، وشاب وجهها الأبيض بحمرة جميلة على وجناتها ذات النموش الرقيقة، وقد قررت أن تظل بروب الحمام بما أنها لن تذهب إلى الحفل، وقررت أن تقضى السهرة على هواها بغير قيود فستان السهرة السوارية الأنيق.

قدم عماد حساء البصل الفرنسى بالجبنة السويسرى . وبعدها السلطة بحباش السيزر الذى خلطه عماد أمام مسسز والتر.

أعد عماد طبق الشاتوبوريان بعد أن أعاد تسخينه فلامبيه ووضع شرائح الشاتوبوريان المشوى وسط الطبق، وعلى جانبه الأيمن الأسبرجس بصلصة البرنيز الصفراء، وعلى الجانب الأيسر وضع الجزر الصغير البرتقالى. وكان الطبق كأنه لوحة فنية مرسومة بعناية. وقال فى نفسه : أين المدير العام يرى كيف أصنع الطعام.

عماد لمسسز والتر : تفضلى العشاء وكذلك النبيذ الفرنسى الأحمرالمعتق.

مسسز والتر : شكل الطبق جميل جدا كنت أتمنى أن تأكل معى لكنك مصمم على اتباع القوانين. الآن احْكِ لى عن مولودك الجديد.

عماد : لقد ولد طفلى مبتسرا وحجمه صغير جدا لكنه بخير. وزجتى كذلك بخير.

مسسز والتر : وهل زوجتك إيطالية مثلك ؟

عماد : إننى مصرى وزوجتى مصرية.

مسسز والتر: هل أنت مصرى؟ كنت أعتقد أنك ايطالى لأنك تعمل فى محلات إيطالية. على فكرة أنا ذهبت لمصر عدة مرات مع أزواج مختلفين كانوا يعملون فى مصر، وكنت أقابل كبار المسؤلين المصريين، ولو أردت أى شئ فى مصر فإن لى أصدقاء كثيرون هناك ولهم مراكز كبيرة فى الحكومة المصرية.

عماد : شكرا لا أريد أى شئ من المسؤلين المصريين، وربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم. فإن كل شئ فى مصر يسير بصعوبة.

مسسزوالتر: هل تعرف ياعماد الشركة المصرية اى بى ام ؟

عماد: لا أعرفها.

مسسز والتر: هذه الشركة ملكية مصرية خالصة وهى....اى ومعناها إن شاء الله.. بى معناها بكره....أم معناها معلش.. معنى اى بى أم شركة الكمبيوتر العالمية.

عماد لنفسه حتى الأمريكان يسخرون من المصريين ويطلقون عليهم النكات . شئ محزن ولا يطاق!!

(21)

شربت مسسز والتر وأكلت طعامًا يكفى أربعة أفراد، وهذا ما يعرفه عماد عنها، فهى تشرب وتأكل بشراهة ولها قدرة عجيبة بالاستمتاع بالأكل وشرب الخمور والحياة عموما، ومع هذا تحتفظ بقوام ممشوق، ووجه ساحر وابتسامه جذابة وأنوثة فياضة وتفكير صافٍ منتظم، رغم أنها فى الستين من عمرها، ولها أربعة أولاد وثلاثة أحفاد. وقد تولت أعمالًا مهمة فى الحكومة الأمريكية، وكذلك مهام خطيرة خارج البلاد، ولها طريقة خاصة بالتعامل مع القادة حول العالم، وبالذات مع قادة العالم الثالث أو النامى او النايم .

مسسز والتر مخمورة : فى صحتك ياعماد تعال اشرب معى.

عماد : فى صحتك وشكرا.

مسسز والتر وقد سقط نصف روب الحمام من على كتفها الأيسر وظهر نصف صدرها : افتح زجاجة نبيذ أخرى.

عماد لنفسه : عملها المدير وأوقعنى فى هذه السيدة اللعوب، ولو استمر الحال بهذه الطريقة فسوف أفصل من العمل وربما أروح فى ستين داهية.

عماد لمسسز والتر: أعتقد أنك شربت كفاية هذه الليلة.

مسسز والتر : إننى لست مخمورة بعد. والليلة احتفال رأس السنه وكل شئ مباح.

عماد لنفسه : ليس كل شئ مباحًا لى انا .

عماد يفتح زجاجة نبيذ فرنسى فاخر وتشرب مسسز والتر باستمتاع.

مسسز والتر : هل أحضرت الشمبانيا يا عماد ؟

عماد: نعم معى كل شئ.

مسسز والتر والروب مازال يغطى نصف صدرها فقط : إننى لست مخمورة. هل تعرف أن تغنى ؟

عماد يتصبب عرقا ويأمل أن تتنهى هذه الليلة أو هذا العام على خير : لا أعرف الغناء .

مسسز والتر تنظر إليه وتبتسم بخلاعة وتغمز بعينيها الجميلتين : أنا أعرف أغنية مصرية تعلمتها فى مصر وهى تقول :

تعال لى يا بطة... وأنا مالى هه.

عماد يتصبب عرقا وقد خلع رباط العنق وقال لنفسه: أنت غزالة لعوب وأنا لست ببطة وأنا فى مكانى لن أتحرك حتى العام القادم.

فتح عماد زجاجة شمبانا وفى تمام الساعة الثانية عشر مساء صب عماد كأس شمبانيا لمسسز والتر، وصب لنفسه كأس مياه مثلجة، وشربت مسسز والتر وعماد فى صحة كل منهما وصحة الأولاد والزوجات والأزواج وأمريكا وشعبها ومصر وشعبها، وأمل فى عام جديد مليئ بالحب والسعادة والصحة والسلام العالمى .

رن تليفون مسسز والتر وكان أولادها وأحفادها يهنئونها بالعام الجديد، ودخلت مسسز والتر بالتليفون إلى غرفة أخرى وتحدثت بهمس نحو نصف الساعة، وخرجت بالتليفون وناولته لعماد وقالت له إنه مستر والتر يريد أن يتحدث معك.

عماد: هالو سانتوروالتر كل عام وأنتم بخير.

مستر والتر فى التليفون : عام سعيد عليك وعلى أسرتك ومبروك للمولود الجديد. لو سمحت لا تترك مسسز والتر حتى تخلد إلى النوم، فهى حزينة جدا هذه الليلة وهى تحتفل بالعام الجديد وحدها.

عماد : لا تخف فهى فى أيد أمينة وأرجو أن نراك غدا.

عماد لنفسه : إننى لا أرى أى حزن على مسسز والتر التى تأكل وتشرب ما يكفى لأربعة رجال وتغنى وترقص لشارع محمد على بأكمله.

ومنذ ان تعرف عماد عليها وزوجها من عشر سنوات لم تكبر يومًا واحدًا.

مسسز والتر تواصل شرب الشمبانيا وترقص وتغنى : تعال لى يا بطة... وانا مالى هه..

وروب الحمام يغطى نصف صدرها والنصف الآخر عارٍ تماما. وأحيانا يظهرنصف جسمها بأكمله بساقيها الطويلتين من فتحة الروب الذى انحل حزامه ولم تهتم بإعادة

إحكامه كأنها تريد أن تكون شبه عارية إمعانا فى التنكيل بعماد المرتعش والمتصبب عرقاً.

عماد يتصبب عرقا ويفكر ماذا يفعل لينتهى من هذه الليلة ؟ لكن ريقه جاف جدا وقد شرب ثلاث زجاجات مياه مثلجة

مسسز والتر لعماد وهى تضحك بخلاعة وأنوثة ودلع : اخلع الجاكيت فإنك سوف تموت من الحر وسوف تغرق فى عرقك.

عماد مرتبك وبحشرجة : أنا بخير، قالها وهو يشرب زجاجة المياه الرابعة.

وفجأة ارتمت مسسز والتر فى أحضان عماد وهى تبكى.

(22)

وقفت الحسناء المخمورة مسسز والتر وبيدها كأس شمبانيا فارغ واقتربت من عماد لكى يصب لها الشمبانيا وهى تغنى بلغة عربية مضحكة لكن بأنوثة طاغية ومغرية.

تعال لي يا بطة.... وانا مالى هه.

عماد لنفسه : هذه السيدة الجميلة المخمورة سوف ترسلنى إلى السجن هذه الليلة، فأنا إنسان من لحم ودم وأعصاب ماذا أفعل معها أو لها ؟

عماد لمسسز والتر : لا تتحركى فسوف أحضر لك الشمبانيا.

لكن مسسز والتر خطت خطوتين صغيرتين فى اتجاه عماد، فسقط روب الحمام عنها على الأرض فتعثرت به فالتقفها عماد قبل أن ترتطم على الأرض وهى عارية تماما، وبدأت فى البكاء، لكن عمادًا تمالك أعصابه ووضعها على الأريكة بعد أن ألبسها الروب.

مسسز والتر باكية : أعطينى شمبانيا لكى أنسى أزواجى وكل الناس الذين وراء جسدى وثروتى.

عماد لنفسه : وأنا ذاهب وراء الشمس . هذه السيدة المخمورة أخذت ملايين الدولارات من ثلاثة أزواج سابقين . فمن وراء ثروة من ؟ هل هى تعتقد أن الناس لا يعرفون عنها شيئًا، فكم من المرات أوقعت أثرياء الرجال فى حبائلها بجمالها وأنوثتها ودهائها الذى ليس له حدود. فقد تسببت فى فضائح غرامية وقضايا طلاق فى أمريكا وخارج أمريكا. وسوف تتسبب فى فقدانى وظيفتى وربما زوجتى الغيورة.

عماد لمسسز والتر : كل الزجاجات فارغة وسوف أذهب لمنزلى فقد انتهت ليلة رأس السنه وسنه سعيدة.

مسسز والتر : أحضر لى زجاجة شمبانيا أخيرة واتركها لى فسوف أشرب أنا وحدى واذهب أنت لزوجتك وأولادك، فإنك جينتل مان، وأنا ومستر والتر نحترمك لهذا أشد الاحترام.

تنفس عماد الصعداء وأخذ صندوق حفظ المؤكلات على المنضدة المتحركة إلى المطبخ فى الطابق الأول. وسوف يعود بزجاجة شمبانيا جديدة ويأخذ الصندوق الثانى.

خرج عماد من الجناح 701 وكان الممر خاويًا ومرعبًا والإضاءة ضعيفة . فإذا سأل مسسز والتر أن ينتظر ساعتين للصباح لن تمانع. لكنه عليه أن ينتهى من هذه ولم يهتما به ولم ينظرا إليه بأية طريقة.

سار عماد فى الممر يدفع المنضة المتحركة أمامه لكنه سمع خطوات تسير وراءه. ارتعب عماد ولم ينظر وراءه لكنه سار بخطوات سريعة مع قراءة الفاتحة حتى وصل للمصعد رقم 3 ، فتح باب المصعد فوجد رجلًا وامرأة يتعانقان ولم يشعرا به فدلف إلى المصعد ومعه المنضدة وأخذ المصعد للدور الأول، وهذان المتعانقان لم يهتما به الليلة لم ينظرا إليه كذلك، عماد لم يلق إليهما أى اهتمام، إنه يريد أن ينتهى من هذه الليلة المرهقة.

رجع عماد بزجاجة شمبانيا جديدة للمصعد رقم 3 فوجده واقفًا فى الطابق السابع حسب الإشارات أعلى باب المصعد.

استعمل عماد المصعد رقم 4 فى العودة وعند وصولة للدور السابع نظر فى المصعد رقم 3 فوجد بابه مفتوحًا لكنه خالٍ . قرأ عماد الفاتحة للمرة المائة، فإن هذا

الهوتيل الأثرى بالتأكيد مسكون عفاريت ومنهم العفريته مسسز والتر الجنية الحسناء اللعوب.

وفى الممر سمع خطوات وراءه لكنه نظر خلفه هذه المرة وزجاجة الشمبانيا فى يده مستعدة للاستعمال، لضرب صاحب هذه الخطوات التى تتبعه فى الذهاب والإياب طوال هذه الليلة المشئومة. لكنه لم يجد أحدًا.

(23)

وصل عماد للجناح رقم 701 وقرر أن يستعمل المفتاح ولايطرق الباب فلعل مسسز والتر أخلدت للنوم بعد هذه الليلة الراقصة اللاهية، ولا يريد أن يزعجها. فإذا استيقظت سوف تغنى ....تعاليلي يا بطة ..وانا مالى هه.

دلف عماد إلى الجناح بهدوء حتى لا تشعر به مسسز والتر إذا كانت نائمة.

عماد لنفسه : ياساتر يارب . فقد كان ماردا أو إنسانا فى ملابس سوداء منكفئًا على مسسز والتر يخنقها بكيس بلاستك شفاف وهى تتحشرج وتحاول أن تدفع هذا المارد عن نفسها، لكنه كان أقوى منها وقد شاهدت عماد من طرف عينيها من داخل الكيس الشفاف أثناء مقاومتها، فنظرت إليه من داخل الكيس بعين جاحظة وهى تحاول أن تقول شيئًا لكن عمادًا لم يسمعها

عماد لنفسه: يجب عليّ أن أتصرف بسرعة، فإن هذا المارد سوف يقتل مسسز والتر ويقتلنى.

هجم عماد على هذا المارد بزجاجة الشمبانيا لكى يضربه بها على رأسه .وفوجئ المارد بعماد فترك مسسز والتر وحاول أن يتفادى الضربة . لكن زجاجة الشمبانيا حطّت على كتفه الأيمن فصرخ من شدة الألم وسمع عماد عظام هذا المارد تتكسر مثل البسكويت من قوة الضربة.

وكان هذا المارد إنسانًا يلبس ملابس سوداء ويغطى رأسه ووجه بقناع أسود، ولا تظهر منه إلا عيناه. لكنه قفز على عماد رغم الضربة القوية على كتفه الأيمن . وسدد لعماد ضربه قوية بقدمه اليمنى فى وجهه مثل ما يفعل أفراد القوات الخاصة ولاعبو الكنج فو، وعرف عماد أنها معركة حياة أو موت مع هذا المارد وأنه لن ينتصر فيها أبدا.

لأنه من الواضح أن هذا إنسان مدرب على القتل، بالتأكيد إنه من مخابرات دولة من الدول التى كانت تعمل فيها مسسز والتر مع زوجها السفير وهى مع المخابرات الأمريكية، أو ربما من المخابرات الأمريكية نفسها. كل هذا مر بثوان فى ذهن عماد الذى يندب حظه فى هذه الليلة المشؤومة التى أوقعه فيها مديره مع مسسز والتر ومغامراتها ومصائبها التى لا نهاية لها.

لكن عمادًا أنقذ وجهه وتفادى قدم المارد بسنتيمتر واحد. فتعلقت قدم المارد فى جاكت الطكصيدو. واكتشف عماد أن هذا المارد صغير الجسم قصير القدمين.

التقف عماد قدم المارد القصير وأمسك بها بكلتا يديه يحاول أن يطرحه أرضا. لكن القصير المخيف سدد لعماد ضربة أخرى بقدمه اليسرى، فتركه عماد وحاول أن يلتقط كرسيًا أو سكينًا من على المنضدة لكى يدافع بها عن نفسه وهو يصرخ النجدة ...النجدة.

وفجأه شعر عماد بضربة قوية على خلف رأسه فترنح وسقط على الأرض بجانب مسسز والتر التى تحتضر ، لكنه يعتقد أنه شاهد الرجل والمرأة المتعانقين فى المصعد من دقائق.

(24)

ضج نزلاء الجناح 703 التالى لجناح مستر ومسسز والترمن الضوضاء فطلبوا ضابط أمن الفندق.

حضر ضابط الأمن وطرق باب الجناح عدة مرات، فلم يفتح أحد وحاول أن يتصل

بمسسز والتر أو عماد تليفونيا فلم يجب أحد فاستعمل مفتاحه ودخل الجناح وقد تجمع حوالى أربعة أو خمسة من النزلاء يريدون أن يعرفوا سبب هذه الضجة، لكن عددًا من ضباط الأمن تجمعوا وطلبوا من النزلاء أن يرجعوا إلى أجنحتهم شاكرين.

فى هذه الأثناء تنبه عماد لنفسه وقد أفاق من أثر الضربة على خلف رأسه، وأول شئ فعله هو محاولة إيقاظ مسسز والتر شبه العارية طريحة الأرض.

دخل ضباط الأمن فوجدوا عماد منكب على مسسز والتر فاعتقدوا أنه قتلها. فطلبوا منه أن لا يتحرك . وطلبوا شرطة واشنطون والأسعاف.

فى أقل من ثلاث دقائق حضرت الشرطة والإسعاف، وتم نقل مسسز والتر للمستشفى وتم القبض على عماد وهو لا يعى شيئا، فإن رأسه تدور والعالم يدور من حوله ولا يفهم ولا يسمع شيئًا من أثر الضربة خلف رأسه.

ضباط الشرطة حوله يكلمونه وهو لا يفهم ولا يسمع وإنما يرى أفواهم وشفاههم تفتح وتقفل، لكنه لا يسمع أو يفهم ما يحدث، محتمل جدًا أنه فقد حاسة السمع من الضربة على رأسه. إنما هو متأكد أنه فى مصيبة جديدة وكالعادة عليه أن يواجهها وحده.

***

حضر المدير العام وسأل ضابط الشرطة... ماذا سوف يحدث لعماد ؟

الضابط : سوف نأخذه مقيدًا بالكلبشات على القسم وبعده لسجن المحكمة لاستكمال التحقيقات.

المدير العام : لن أسمح لكم أخذ احد العاملين فى الكلبشات من هذا الهوتيل فإنه هوتيل عالمى وله اسمه وشهرته.

عماد جالس ومقيد من خلاف بالكلبشات فقال لنفسه : لو اتهمونى بقتل مسسز والتر فسوف أقول إن الإدارة دبرت هذه المصيبة لكى أقع أنا فيها.

الضابط : هذا هو القانون ولن نخالفه من أجل الهوتيل.

اتصل المدير العام بعمدة واشنطن ومدير الأمن، فهو له معارف كثيرة فى الدوائر

الحكومية بواشنطن . فاتفقوا على أن المدير العام وعلى عهدته أن يأخذ عماد لقسم الشرطة بصحبة أحد الضباط فى سيارته الخاصة وبدون كلبشات . وكل هذا حرصا على سمعة الهوتيل وكذلك وظيفة المديرالعام المهددة بالضياع.

دخل عماد قسم الشرطة فتم تفتيشه وتصويره وعمل فيش وتشبيه، وأخذوا كل مالديه من ممتلكات شخصية. فطلب عماد أن يتصل بزوجته على المحمول فرفض الضابط وقال : عليك أن تستعمل التليفون الأرضى للقسم، ولك مكالمة واحدة، فالأفضل أن تطلب محاميًا وليس زوجتك.

عماد: اليوم واحد يناير وكل الناس فى عطلة فسوف أكلم زوجتى وهى تكلم المحامى غدا.

عماد فى ذهنه : ماذا سوف أقول لجى جى ؟ فإن المصائب تتكالب علينا من كل حدب وصوب.

عماد فى التليفون : صباح الخير يا جى جى وكل عام وأنت والأولاد بخير.

جى جى باكية : كل عام وأنت بخير... أين أنت ؟ ولماذا لم تأت بعد احتفالات رأس السنة، وإننى وباسم وتامر كنا منتظرينك .ماذا حدث؟

عماد يحاول أن يطمئن جى جى : كيف حال باسم وتامر؟ أنا محجوز فى القسم بسبب مخالفة مرور ولا تخافى، فقط أنا محتاج إلى محامٍ فعليك طلب المحامى وتليفونه موجود على ورقة بجانب الكومبيوتر.

جى جى : خبر أسود انت تطلع من المستشفى تروح السجن. سوف أموت أنا من الخوف والنكد والمصائب . أنا مش حمل البهدلة فى الغربة . هو أنا ليس لى أهل ام كنت ميتة من الجوع فى مصر.

عماد يحاول أن يهدئ من روع جى جى : هذه أشياء بسيطة وسوف تنتهى سريعا. هل شاهدتى الأخبار هذا الصباح.

جى جى : وهل المخالفة المرورية سوف يقولون عليها فى الأخبار؟ أنت عملت أية مصيبة بالضبط ؟ الفار بدأ يلعب فى عبى.

عماد وقد ضاق صدره : جى جى إذا كنت غير قادرة على احتمال مصايبنا فى الغربة. عليك شراء تذاكر طيران لك وللأولاد وعودى لمصر.

جى جى : ليس هذا حلًا وهل أسافر وأتركك فى مصيبتك ؟ بالطبع لن أفعل ذلك، فإن مصيبتك هى مصيبتى، ولكن أقول لك انت يوم فى المستشفى وأيام لا تعمل وليس معنا نقود والآن أضفت عليها السجن.

عماد : أنا لست مسجونًا، وسوف يحضر المحامى ويخرجنى إن شاء الله (طبعا عماد يكذب . فلو قال إنه متهم بجريمة قتل فسوف تموت جى جى من الفاجعة)

(25)

فى الشرطة الأمريكية لا يوجد عساكر وضباط، وإنما كل شرطى هو ضابط برتب مختلفة، فإنهم جميعا خريجى الجامعات المدنية وبعدها يتم تدريبهم فى أكادمية الشرطة.

اقتاد ضابط الحراسة عماد إلى غرفة عملاقه محاطة بأعمدة حديدية من الأرض للسقف فى جانب واحد والجانب الآخر به كرسى بعرض الحائط يجلس عليه حوالى عشرين شخصًا وحوالى ثلاث أو أربع أشخاص واقفين والجميع يتسامرون ويضحكون.

امتنع الجميع عن الكلام عندما شاهدوا عمادًا والضابط الحارس. ونظروا لعماد نظرة ريبه وشك واستغراب.

عماد فى ذهنه : هل هؤلاء المساجين توقفوا عن الكلام خوفا من الضابط أم احترامًا لى، بما أنى برباط العنق السوداء والطكصيدو ؟

دخل عماد القفص الحديدى صامتا واتجه إلى طرف الكرسى وجلس مذهولاً. ماذا سوف يحدث معه ؟ وهل مسسز والتر قُتلت فعلا أو مازالت فى المستشفى على قيد الحياة؟ وماذا سوف يحدث لأسرته من غيره؟ لو حكم عليه بأى عقوبة فعلى جى جى

والأولاد ان يرجعوا مصر. فإن جى جى لها وظيفة فى مصر، وسوف تتمكن من إعالتهم بإذن الله.

وأثناء استغراق عماد فى التفكير فى مصيبته سمع أحد المساجين ينهر كل المساجين الآخرين بألفاظ قبيحة حتى يصمتوا عن الكلام . انتبه عماد لهذا المسجون فرآه طويل القامة عريض المنكبين مفتول العضلات، ويقف قبالة الجميع كالفيل الهائج، ويطلب منهم عدم الكلام وإلا سوف يكيل لهم الضرب واللكم جميعا ومرة واحدة. فسكت الجميع بدون مناقشة. وبعد بضعة دقائق وقد كاد عماد يغفو من الإرهاق سمع الفيل يتحدث إليه بلغة آمرة.

الفيل : أنت ماذا تفعل هنا ؟ هل تعتقد أنك مدير السجن وأتيت بهذه الملابس لكى تفتش علينا نحن المساجين؟ ما هى تهمتك ؟

عماد : نظر فى عيون هذا الفيل الأحمق بعيون ثاقبة وبعدم اكتراث وقال: أنا هنا فى جريمة قتل .

فوجئ الفيل بنظرات عماد الثاقبة والغير مكترثة بحجمه وبجريمة عماد المحترمة.

الفيل : واه واه عفوا يا مستر.

عماد : اسمى عماد.

الفيل: اسمى تشارلى تشرفنا مستر عماد.

عماد : تشرفنا مستر تشارلى.

كان كل المساجين من السود الفقراء من سكان أحياء واشنطن الفقيرة، وهم فى سجن القسم حتى يعرضوا على القاضى فى اليوم التالى. وكانت معظم قضياهم سرقة ومخدرات.

ما عدا مارك مسجون صغير الجسم وعيناه متنفختان من الضرب ورأسه مضمدة بالشاش متهم بقضية اغتصاب، وقد أوسعته المجني عليها ضربا حتى حضرت الشرطة لإنقاذه منها واقتياده للقسم. وكانت نصيحة كل الزملاء المساجين لمارك أن يقول للقاضى إن المجنى عليها هى التى كانت تريد اغتصابه.

انتبه المساجين لعماد فهو واحد منهم بل هو أفضلهم، فإن جريمة القتل لها احترام. وبدأوا يتسامرون معه وأتى أحد المساجين واسمه عبد الودود يسأل عمادًا على سجائر.

عماد : السلام عليكم عبد الودود.

عبد الودود وقد فوجئ بسلام عماد : السلام عليكم أخى عماد هل أنت مسلم ؟

عماد : الحمد لله أنا مسلم، وهل أنت مسلم ؟

عبد الودود : نعم أبى وأمى مسلمان، وأنا كذلك لكنى لا أمارس شعائر الإسلام.

حضر أحد الضباط واقتاد عماد لغرفة التحقيق.

(26)

عادة المساجين لا يتحركون فى القسم من مكان لآخر إلا والكلبشات فى أيديهم، ودائما فى أرجلهم ايضا. لكن بالنسبة لعماد فإنه انتقل من القفص إلى غرفة التحقيق بدون كلبشات، وكل المساجين يتابعونه هو والضابط بنظرات استفهام واستغراب لكن باحترام، فقد صار عماد واحدًا منهم بسبب جريمته المحترمة. وينادونه بالأخ العزيز أو مستر عماد.

كان فى غرفة التحقيق مائدة وشخصان فى ملابس ملكية وفى منتهى الأناقة. طلبوا من عماد الجلوس على الكرسى الثالث.

المحقق الأول : مستر عماد لقد اطلعنا على تحقيقات الأمس وقد وجدنا بها ثغرات كثيرة.

عماد متماسكًا لكنه قلق من كلام المحقق : أولا ما هى حالة مسسز والتر ؟ وماهى الثغرات هذه ؟

المحقق الثانى متجاهلا سؤال عماد : لقد قلت إن مائدة الطعام المتحركة أخذها أحد ضباط الأمن فى بداية السهرة للمطبخ. وقد سألنا كل ضباط الأمن فنفوا هذا، كذلك عمال المطبخ نفوا هذا أيضا.

المحقق الأول : فى التحقيق قلت إن المصباح أمام الجناح 701 لا يعمل وقد أكد كهربائى الهوتيل أنه كان يعمل طوال الليل ولم ينطفئ أبدا.

المحقق الثانى : مستر عماد لقد قلت فى تحقيق الأمس إنك أخذت زجاجة شمبانيا ثالثة من المطبخ وقد نفى عامل المطبخ ذلك وأنه لم يرك بعد أن أخذت الطعام أول مرة.

المحقق الأول : لقد قلت إنك استعملت زجاجة الشمانيا فى ضرب القاتل ولكن لم نجد أية زجاجات فارغة فى الجناح 701 مملؤة أو مكسورة.

عماد وقد تضاربت دقات قلبه سريعا: معنى ذلك أن أى شئ حدث بالأمس غير صحيح، يعنى الهوتيل مسكون فعلا لكنه قال بانفعال : ما زلت لا أعرف ما هى تهمتى بالضبط، ولا اعرف ماذا حدث لمسسز والتر ؟ إن هذا الهوتيل مسكون بعفاريت والكل يعرف ذلك ولن أجاوب على أى سؤال إلا بحضور المحامى.

المحقق الأول : مستر عماد سوف تنتدب المحكمة محاميًا لك على نفقتها الخاصة إذا لم يكن فى استطاعتك دفع أتعاب المحامى .

عماد : أريد محامى المحكمة وأنا شاكر.

المحقق الثانى : سوف يستغرق هذا أسبوعًا أو أسبوعين على الأقل.

عماد : هذا وقت طويل وهل سوف أظل بالحبس حتى تحضر المحكمة محاميًا .

المحقق الأول : ممكن تقتصد هذا الوقت لو تعاونت معنا.

عماد : وما هى المعونة التى تريدونها منى ؟

المحقق الثانى : تقول لنا من هو الذى دفعك لقتل مسسز والتر وما هو المبلغ الذى أخذته ؟

عماد لم يجاوب على هذين السؤالين، فلعل هذين الشخصين من أغبياء الأمريكان الشقر. فإن العرف فى أمريكا أن أى شخص أشقر اللون فإنه يوصف بالغباء وبالذات السيدات الشقروات الحسنوات.

عماد : امتنع عن الإجابة.

طرق الباب فخرج المحقق الأول ليستفسر من الطارق ورجع مرة أخرى وأشار لزميلة وخرجا دون أن يقولا شيئًا، وطلب المحقق الأول من عماد أن يبقى مكانه فإن محققين آخرين سوف يتوليان التحقيق معه. فحاول عماد أن يستفسر عن مسسز والتر وسبب التغير فقال المحقق الأول : أنت لا تتعاون معنا ولن نتعاون معك وحظ سعيد مع المحققين الجدد.

(27)

عماد فى حيرة من أمره فإنه للآن لم يعرف إذا كانت مسسز والتر على قيد الحياة أو قُتلت. وإذا استعان بمحامٍ على نفقته الخاصة فبالتأكيد لن يتمكن من دفع مصاريف المحامى الباهظة وليس متأكدًا أن هذا المحامى سوف يخرجه فى خلال أيام أو سنين. فاستقر رأيه أن يستعين بمحامى المحكمة وعلى جى جى أن تتصرف وحدها. وعليها أن تعتبر أنى حدث لى حادث سيارة أو قتلت فى أحد شوارع واشنطن.

وقد حدث هذا فعلا العام الماضى بعد ليلة متأخرة فى العمل وكانت ليلة بارده. كان عماد ذاهبًا لسيارته، وفجأة وجد شابين أمامه بالأسلحة البيضاء وطلبا منه نقوده، فأخرج عماد محفظته لكنه رماها فى الأرض ولاذ بالفرار .

طرق الباب بلطف ودخلت سيدة كورية أو صينية ورجل ملامحه شرق أوسطية وعرفا نفسيهما إنهما من المخابرات الأمريكية. وبدأ لغز مسسز والتر وهوتيل اكس يزداد غموضاً وتعقيداً.

عماد يسأل : المخابرات الأمريكية سوف تحقق معى لماذا !!!؟ إننى لا أستطيع أن أفهم ماذا يحدث !!؟؟.

السيدة تتحدث برقة لعماد : هون عليك يا مستر عماد إن الأمر ليس بهذا السوء.

عماد منفعل : ماذا تعنين ؟ إننى متهم بجريمة قتل . هل هذا ليس بسئ ؟ إنها مصيبة كبرى.

الرجل ذات الملامح الشرق أوسطية يتكلم بطريقة جدية ومحددة : لا يوجد جريمة قتل ومسسز والتر تم إنقاذها بأعجوبة. والفضل لك فقد أنقذت حياتها ونحن ممتنين لك بهذا.

عماد يقفز من على كرسيه يريد أن يقبل الرجل بسبب هذا الخبر السعيد، فابتعد الرجل عنه وقال: لا تقبلنى وإنما ممكن تقبلها هى وأشار الى السيدة التى اخذته بالأحضان والقبلات وقالت له إننا نعرف مدى الألم والعذاب الذى أنت به وسوف ينتهى كل شئ فقط بعد إجابتك عن بعض الأسئلة.

عماد مبتهجا وسعيدا ويكاد يرقص على كرسيه : لى سؤال من فضلكم.

الرجل : تفضل.

عماد : من هم الذين ممتنون لى بإنقاذ حياة مسسز والتر ؟

الرجل ينظر إلى السيدة كأنه يأخذ منها الأوامر فالواضح أنها رئيسته .فاستدارت السيدة إلى عماد وقالت : سوف تعرف هذا فى الوقت المناسب وعليك أن لا تسأل كثيرا ويكفيك أنك غير متهم، وسوف تذهب إلى منزلك فى أقرب فرصة.

الرجل لعماد : صف لنا الرجل الذى هاجم مسسز والتر

عماد : لم أر منه شيئًا لأنه كان يلبس قناعًا أسود وملابس سوداء، وإنما طوله حوالى 140 إلى 150 سنتيمتر.

الرجل ينظر إلى السيدة وكأنهما يعرفان هذه الأوصاف وسأل عماد : صف لنا الرجل والسيدة فى المصعد.

عماد : كذلك لم أر ملامحهما فقد كان يحضن كل منهما الآخر، لكنى رأيت الرجل من الخلف فكان على الأقل 180سنتيمتر، عريض المنكبين، واعتقد أنه يلبس باروكة شعر سوداء، أما السيدة فكانت نحيلة وطويلة وبالتأكيد شقراء لأنى رأيت شعرها الأحمر.

السيدة:هل أحد يعلم بمقتل مسسز والتر من أصحابك أو جيرانك أو زملائك فى السجن.

عماد : لا احد من طرفى يعرف أى شئ، لكن المساجين فى الحجز يعرفون أنى متهم فى جريمة قتل فقط ولا يعرفون من هو القتيل.

السيدة لعماد: سوف تخرج معنا الآن ولا تقل أى شئ لأى أحد، ولا لزوجتك ولا تذهب للعمل حتى نسمح لك بهذا.

عماد : وكيف أعيش بدون عمل ؟ وهل ضباط الشرطة هنا سوف يسمحون لى بالخروج معكم ؟

الرجل : بالنسبه لعملك فسوف تعوضك المخابرات على الأيام التى لن تعملها . اما الشرطة فهى مسؤليتنا.

السيدة : عليك بتغير ملابسك حتى لا يتعرف عليك أحد بسهولة وأنت فى التكصيدو وقد احضرت لك غيارًا من منزلك. أراك مرعوبًا ولك أسئلة كثيرة. نعم لقد ذهبنا هذا الصباح وتحدثنا مع جى جى وأعلمناها أنك راجع المنزل اليوم، ولم نقل لها أى شئ عن مسسز والتر.

عماد لا يستطيع الكلام بسبب هذه المفاجآت المتتالية، لكنه يعرف أنه ذاهب إلى منزله لزوجته وأولاده وهذا كفاية عليه اليوم . وغدا سوف يفكر فيما يفعله مع كل هذه الأحداث السعيده والسيئة معاً.

وصل عماد إلى منزله لكنه رأى سيارة غريبة قريبة منه وبها سائقها كأنه يراقب الشارع وبما فيه من منازل وسكان.

دخل عماد المنزل وقابلته جى جى وباسم بالأحضان والقبلات والبكاء لكنه رأى شيئًا لم يكن يتمناه أبدا.

(28)

كاد عماد يغمى عليه أثناء تقبيل جى جى، وهذا ليس من شدة الفرح أو السعادة وإنما من هول المفاجئة . فإن مسسز والتر بلحمها وشحمها تجلس على الأريكة فى غرفة الجلوس وفى منزله !!!

مسسز والتر تجلس على الأريكة وهى فى كامل الاسترخاء والاستمتاع وتلبس ملابس جى جى وتنظر إلى عماد من وراء ظهر جى جى وتبتسم ابتسامتها اللعوب وتغمز له.

عماد لنفسه هذه الجنية كانت تحتضر من يومين، واليوم فى بيتى لتخرب بيتى ماذا أفعل يا ربى؟ ؟ أنا فى مشاكل من شهور مرة مع المدير وثانية فى المستشفى والثالثة عفاريت هوتيل اكس والرابعة جريمة قتل والخامسة فى السجن والسادسة تحقيقات الشرطة والسابعة تحقيقات المخابرات والأخيرة مسسز والتر اللعوب فى بيتى. هذه ليست حياة وإنما أشغال شاقة . لكنى لن أنهار فهذه هى حياتى أخرج من حفرة وأقع فى بئر والحياة مستمرة رغمًا عن الجميع وربنا دائما معى. .

بعد أن قبلت جى جى عماد سحبته من يده إلى المطبخ.

جى جى لعماد : ايه حكايتك معايا خرجت من المستشفى ذهبت للسجن واليوم تحضر لى واحدة ست.هل أنت ناوى تموتنى ؟

وبدأت جى جى تبكى بكاء صامتًا وعماد منفعل بسبب الظروف التى ليس له فيها يد، ويحاول أن يشرح لجى جى موقفه الذى ليس من صنعه.

عماد : أنا مظلوم وأنت مظلومة ، ويجب أن نساعد بعضنا البعض. وأنا لم أحضر هذه السيدة هنا ولا أعرف أنها سوف تأتى إلى هنا. كذلك فهي سيدة كبيرة فى السن وعندها أحفاد فلا تغيرى منها فقد قلت لك عليها من قبل فهى مسسز والتر من أحسن عملاء الهوتيل.

جى جى : أنا لا أغار من أحد، فأنا واثقة من نفسى لكن هذه السيدة الجميلة اللعوب أتت بعد خروج الأثنين اللذين قالا إنهما من أصدقائك وأنهما سوف يساعدانك فى الخروج من السجن. لقد أتت مسسز والتر بملابس المستشفى وطلبت منى ملابس من عندى لكى تتخلص من ملابس المستشفى، وكأن بيتى هو بيت أبوها أو ملحق بهوتيل اكس.

جى جى باستنكار وغضب : وأنا لا أعرف من مسسز والتر هذه وماذا تريد منك ؟

عماد : إننى لا أعرف شيئًا وسوف أعرف منها حالاً الإجابة على كل هذه الأسئلة .

جى جى : اعمل حسابك هذه الست يجب أن تخرج من بيتى حالاً. بيتى ليس ملحقًا بالهوتيل وعليها الذهاب إليه أو إلى هوتيل آخر.

عماد لجى جى : اخفضى صوتك فإنها تعرف بعض اللغه العربية.

جى جى : لا تهمنى إذا سمعت كلامى أو لا، فإن أهم شئ لى هو بيتى واولادى. وكذلك أنت يجب تفكر مثلى.

عماد : طبعا يا روحى أنت والأولاد وبيتنا أهم شئ فى حياتى .

جى جى : إننى لا أرى ذلك بدليل الست اللعوب التى أتيت بها إلى البيت.

نظر عماد إليها حزينًا لكنه فى نفس الوقت كان سعيدا فإن جريمة القتل المزعومة لم تعرف جى جى عنها شيئًا وإلا كانت جى جى مسحت بمسسز والتر البيت والحديقة والشارع لكى تصبح جريمة دفاع عن الحياة الزوجية من وجهة نظر جى جى.

عماد يستفسر من مسسز والتر على انفراد وبهمس : لماذا أتيت إلى هنا ؟

مسسز والتر هامسة وقد ذهب عنها ابتسامتها اللعوب وبدت شاحبة وترتعش من الخوف، وقد اصفر وجهها الجميل، وظهر عليها سنها الحقيقى وقالت : لقد هربت من المستشفى قبل أن يقتلونى بها، لأنه يوجد ناس مهمة فى واشنطون يريدون تصفيتى لأنى أعرف عنهم أشياء خطيرة، وقد نصحنى جيمس أن أحضر إليك لأنه يثق فيك، واخترت أن أحضر لك لكى تخفينى فى أى مكان مجهول لعدة أيام فقط حتى يعرف جيمس من وراء هذه المحاولة ؟

عماد فى حيرة قائلاً : مسسز والتر هذه مشكلة كبيرة وأنا لست على قدرها. هذه المهمة ليست عشاء فاخرًا أو سلطة سيزير أقلبها -واستطرد هامسا- ولماذا الشرطة أو المخابرات لا تقوم بهذه المهمة ؟

(29)

مسسز والتر هامسه : جيمس والتر زوجى وأنا نعتقد أن المخابرات نفسها أو أحد العاملين بها يريد التخلص منى.

عماد : إذا كان هذا اعتقادك فإن حياتى وحياة أسرتى فى خطر.

مسسز والتر : نعم إننى أعرف ذلك، وليس لك اختيار غير أنك تساعدنى، وهذا أفضل من قضية قتل أو شروع فى قتل التى انقذتك منها.

عماد لمسسز والتر محتدا : هل تبتزينى؟ يمكنني أن اتصل بالإعلام وأقول لهم على كل شئ.

مسسز والتر وهى تسترضى عماد : إننى لا أبتزك وإنما استسمحك ولن أقول لك شيئًا عن الإعلام الذى لم يعلن شيئًا عن محاولة قتلى حتى الآن، وكان هذا مقصودا تحت ضغط مستر والتر حتى نعرف من المسؤول أو المسئولون. فان القتلة يعتقدون أنى قُتلت فعلا. لذلك يجب أن اختفى فإذا عرفوا إنى مازالت على قيد الحياة فسوف يحاولون مرة أخيرة وقاطعة.

عماد مهموما ومرعوبا وبعد فترة صمت وتفكير قال لمسسز والتر: سوف تتنكرى فى زى إسلامى وتتحجبى وسوف يصبح اسمك زينب. سوف أنام ساعتين وبعدها سوف أجد لك مكانًا اخر.

عماد لجى جى : سوف أنام ساعتين وعليك مساعدة مسسز والتر لتلبس مثل المسلمات المحجبات وسوف أنقلها لمكان آخر بعيد عنا.

جى جى ساخرة : الأفضل لهذه السيده أن ترتدى بكينى، فهذا سوف يعجبكم أنتم الاثنين وليس زيًا إسلاميًا .

لم يعلق عماد على مقولة جى جى وأخلد إلى النوم كأنه لم ير سريرًا فى حياته، وكان شخيرة مسموعًا فى كل أنحاء المنزل.

جى جى : عماد..عماد عليك الاستيقاظ والتخلص من هذه السيدة قبل أن أتركك معها وأذهب أنا وأولادى إلى مصر ولو تريدنا عليك اللحاق بنا.

لم يعلق عماد على أقوال جى جى، فهذا ليس الوقت المناسب، فعليه مهام أخرى عاجلة أهم من النقاش معها، فهي تغار منها مهما قالت على ثقتها بنفسها.

اتصل عماد بمستر محمد جاكسون، أبو عبدالودود زميل الزنانة، وعرّفه بنفسه وطلب منه إذا أمكنه أن يستقبل الأخت زينب التى أتت من كاليفورنيا حديثاً وليس لها سكن وهذا لعدة أيام فقط.

مستر جاكسون مستفسرا : هل الأخت زينب أمريكية بيضاء أو أمريكية سوداء؟

عماد : هى أمريكية بيضاء.

مستر جاكسون : إذن عليها ان تلبس خمارًا حتى لا يراها أحد من الجيران، فإن الأمريكان البيض ليس مرحبًا بهم فى الحى الذى أقطن به.

اتفق عماد مع جى جى أن تحرق خبزًا فى التوستر حتى ينطلق صفارة إنذار الحريق فى البيت وتطلب المطافئ وعند قدومهم تخرج ومعها باسم وتتحدث إليهم وتشغلهم لمدة دقيقتين أو اكثر قبل أن تصرفهم .فى هذه الأثناء سوف يخرج هو ومسسز والتر من الباب الخلفى للمنزل ويستقلان السيارة التى فى موقف السيارات الذى يقع خلف هذا الرجل الذى يراقب المنزل.

أتت سيارة المطافئ أمام المنزل وحدث هرج ومرج وخرجت إليهم جى جى وباسم يبكى ويصيح: حريق... حريق. فى هذه الأثناء خرج عماد مع مسسز والتر من الباب الخلفى.

(30)

خرجت جى جى وباسم للتحدث مع رجال وسيدات الإطفاء وكانو أربعة رجلين وسيدتين، وأخبرتهم أن الخبز قد حرق فى التوستر، فأصرت رئيس حملة الإطفاء لأن

ترى التوستر والمنزل من الداخل بنفسها لتطمئن أن كل شئ على ما يرام حفاظا على حياة سكان المنزل.

وأثناء هذه الجلبة خرج عماد من الباب الخلفى للمنزل مسرعا ومن ورائه مسسز والتر المنتقبة أسود فى أسود وتحمل على كتفها كاميرا تصوير كأنها سائحة مسلمة، فوجد أمامه جارتهم برندا تستفسر عن الحريق فتظاهر عماد أنه لا يراها أو يسمعها لكنه رأى الرجل الذى يراقب المنزل يتحدث فى تليفونه المحمول وهو يتابع حملة الإطفاء وجى جى تتحدث إليهم .

أسرع عماد الخطى هو ومسسز والتر حتى السيارة واختفوا عن أعين الرجل المراقب الذى كانت كل أنظاره على بيت عماد وسيارة المطافئ.

ذهب الهاربان إلى محطة مترو الأنفاق القريبة من المنزل وتركا السيارة فى مكان انتظار السيارات واستقلا المترو إلى وسط واشنطن ولكنهما غيرا خط سيرهما عدة مرات حتى وصلا الى محطة قريبة من منزل عبد الودود فاستقلا تاكسى وتركا التاكسى، وسارا عدة شوارع حتى وصلا الى المنزل، وقد فعلا كل هذا حتى يتأكدا أن أحدًا لا يتبعهما أو يراقبهما.

كان عماد يسير سريعا وملامحه تنم عن الجدية والإصرار وينظر خلفه دائما ومسسز والتر تتبعه وهى صامتة لكنها خائفة. وأحيانا كان المارة ينظرون إليهما على اعتبار أنهما من سائحي البلاد الإسلامية الذين لهم عادات غريبة مثل أن تسير المرأه خلف الرجل لكنهم لا يعلمون أن هذه المرأة المسلمة المهانة فى نظرهم ليست إلا مسسز والتر زوجة السياسى المعروف.

استقبلهما مستر ومسسز محمد جاكسون بترحاب على أنهما إخوة مسلمين من الشرق الأوسط، دلف عماد وزينب إلى غرفة الجلوس وسألهما مستر جاكسون إذا كانا يريدان أى مشروب فطلبا عماد وزينب مياه شرب.

بعد عدة دقائق من تبادل كلمات الود والترحاب من مستر جاكسون .

قالت مسسز جاكسون : عليك يا أخت زينب أن ترفعى الخمار حتى نتعرف عليك.

فوجئ عماد ومسسز والتر بهذا الطلب فحاولت زينب أن تتملص من هذا الطلب بحجة وجود رجال غرباء، فقال لها مستر جاكسون لن نسمح بوجودك هنا حتى نرى وجهك، وأعتقد أن هذا حق شرعى لى فإنك فى بيتى وإنى شيخ طاعن فى السن .

رفعت زينب الخمار عن وجهها فلم يتعرف عليها مستر جاكسون لكن مسسز جاكسون ظهر عليها الحيرة والاستفسار فقامت إلى التليفون وتحدثت بصوت خافت، وعادت إليهم وقالت إن حفيدتى المحامية سوف تأتى بعد الانتهاء من عملها للتعرف عليك يا أخت زينب.

ظهر الخوف والرعب على مسسز والتر ونظرت إلى عماد لكى ينقذها من هذه الورطة.

(31)

نظر إليها عماد مبتسما وهو لا يبالى بخوفها ورعبها كأنه تعمد أن يحضرها لهذا المكان بحى الزنوج الأخطر فى واشنطون بل فى العالم لكى تسحل وتقتل بما أنها امرأة بيضاء دخيلة على هذا الحى.

تحدثت زينت أو مسسز والتر مع عماد على انفراد بصوت خافت وقالت له :

عليك التصرف وأن لا تبوح بشخصيتى الحقيقة.

عماد : ليس من عادتى الكذب وقد كذبت على مستر محمد جاكسون مرة ولن أكذب مرة اخرى فإن أفضل شئ فى هذه الحالة للجميع هو الصدق.

مسسز والتر : وإذا لم يوافقوا ببقائى هنا . ماذا سوف نفعل ؟

عماد ساخرا : سؤالك إذن ماذا سوف تفعلى أنت وليس نفعل نحن ؟ فأنا سوف أذهب وأنام مع اولادى ولست على استعداد لتحمل أى شئ يحدث، وسوف أطلب حماية بوليس المنطقة على أساس أن المافيا الروسية تهددنى وعائلتى بسبب تعاملى

مع شخصيات روسية مكروهة منهم فى الهوتيل . فالأفضل أن تبوحى بسرك لمستر جاكسون وزوجته وتطلبى منه البقاء فى بيته بنفسك.

الأخت زينب أو مسسز والتر تتحدث لمستر محمد جاكسون وزوجته.

مسسز والتر : إننى سوف أقول لكم على شخصيتى الحقيقة فأنا اسمى جولى والتر زوجة سانتور جيمس والتر.

مسسز جاكسون : وهل اعتنقتى الدين الإسلامى وأصبحتى زينب والتر ؟

مسسز والتر :إننى أحب الإسلام والمسلمين، لكنى لست مسلمة وأنا آسفه لهذه الكذبة فإن حياتى فى خطر وإننى أرجوكم أن تستضيفوني لعدة أيام حتى أجد مكانًا آخر.

مستر جاكسون متعجبا : وهل الحكومة الأمريكية نفسها غير قادرة على حمايتك وتريدين من إنسان لا حيلة له مثلى حمايتك؟

هذا خبر لأخبار الساعة السادسة مساء.

مسسز والتر : إننى أشك أن المخابرات الأمريكية أو أحد عملائها يريد تصفيتى لذلك لا أريد حماية الحكومة، وإنى هنا بعيدة عن أنظارهم حتى أعرف من وراء محاولة قتلى.

مستر ومسسز جاكسون وهما فى سن السبعن من عمرهما لكن الاثنين بصحة جيدة إلى حد ما فهما قليلا الطعام كثيرا العبادة والقراءة فى كل المجالات. فانتحى الاثنان فى غرفة أخرى ليتحدثا بصوت خافت ليقررا أن يستضيفا الأخت زينب أو لا.

(32)

رجع مستر جاكسون ليتحدث مع مسسز والتر أو الأخت زينب كما يحب أن يناديها.

مستر محمد جاكسون : أيتها الأخت زينب، قبل أن نستضيفك فى بيتنا يجب أن تعرفى بعض الأمور عن هذا الحى، فإن حى جنوب شرق واشنطن هو أخطر مكان فى العالم . وشرطة واشنطن تخاف أن تدخل هذا الحى وخاصة هذا الشارع بعد غروب

الشمس، فكل ليلة يقتل شاب أو اثنان من شباب الحى، إذْ غالبيتهم يعملون فى تجارة المخدرات ومعهم أموال كثيرة وأسلحة أكثر، وقد تكونت عصابات فى الحى لسرقة إخوانهم أو جيرانهم تجار المخدرات، معظم شباب الحى لا يعيش لسن العشرين، فإما يقتل بالرصاص، أو بجرعة مخدرات زائدة. وأنت هنا فى مأمن مادام لم يعرفك أحد، حيث لا يجرؤ غريب علي دخول هذا الشارع إلا إذا كان يعرف أحد به، فأنا وأبى مولودان بهذا المنزل وعائلتى تقطن هذا الحي بعد أن هربوا من ولاية جورجيا أثناء الحرب الأهلية لتحرير العبيد، وهذا من أكثر من مائة وخمسين عاما. وقد أحضرك الأخ عماد للمكان المناسب.

مسسز جاكسون : لكن يا أخت زينب لنا مطالب.

عماد : اسمحوا لى من فضلكم الذهاب الآن قبل غروب الشمس، وبداية إطلاق النار، السلام عليكم جميعا.

مستر ومسسز جاكسون وعليكم السلام أخ عماد.

مسسز والتر : عماد أريد منك خدمة صغيرة جدا.

عماد : ليس الآن ولا تتحدثى معى أو مع أحد فى التليفون، فإن تليفوناتنا جميعا مراقبة، وسوف أحضر هنا غدا بعد زيارة المحامى.

مسسز والتر مزعورة : لماذا المحامى ؟

ذهب عماد للمحامى حسب الميعاد .

المحامى لعماد : لقد اتطلعت على ملفك الوظيفى فإن الشركه محصّنة نفسها قانونيا تماما ولا يوجد أية شبهة عنصرية فى حالتك.

عماد لم يذكر أى شئ للمحامى عن أحداث ليلة رأس السنه أو مسسز والتر. وإنما كانت المقابلة من أجل الوظيفة التى يتطلع عماد للحصول عليها فى الهوتيل.

عماد : هل يوجد أمل فى أن أقاضى الشركة؟

المحامى : سوف يكون صعبًا جدا إثبات العنصرية فى هذه القضية، وسوف تخسرها بعد مصاريفها الباهظة. وهذه شركة عالمية عملاقة ولن تتركك تشوه سمعتها.

عماد : هل ممكن أن أذهب إلى النقابة ؟

(33)

المحامى : ممكن تذهب إلى اى مكان تريده. لكنى أعتقد أن النقابة لن تفيدك.

خرج عماد من عند المحامى وهو غاضب وحائر، ماذا يفعل فقد انهارت آماله بفعل تدبير قانونى خبيث من مديره المباشر ومدير شئون الأفراد..

عماد فى نفسه حزينا لكنه قوي بإرادته وعون الله . إنه وحيد هو وزوجته فى هذه البلاد ولديه طفلان، وقد اشترى منزلًا جديد وعليه أن يدفع أقساطًا عالية لهذا المنزل .

منذ أن عرف بعض زملائه بشرائه هذا المنزل فقد بدأت الحرب ضده وبالذات ماليسا وهى راقصة استربتيز فاشلة، وتوماس النيجيرى الذى يريد أن يأخذ مكانه.

عماد لنفسه لن أستسلم فعلى الآن الصبر والاحتفاظ بوظيفتى الحالية مهما حدث لى حتى أجد وظيفة أخرى . لن تتركنى الشركة فى حالى كما قال المحامى، وسوف يجدون وسيلة قانونية للتخلص منى لأنى أصبحت غير مرغوب فيه من الإدارة . وبعد الأحداث الأخيرة الوضع تغير وتعقد وهو الأن فى صالحى إلى حد ما، وورقة مسسز والتر اللعوب والتعامل مع الإعلام الذى له قوة جبارة فى هذه البلد ربما يفيدنى إلا إذا تمكنت الشركة ومحاميها من حيلة جديدة.

***

خرج عماد من مكتب المحامى وهو يستشيط غضبا ويفكر ماذا يفعل فى كل هذه المشاكل وحده، والوظيفة التى عمل لها بكل جهده ذهبت أدراج الرياح، ولديه أقساط عالية جدا للمنزل الجديد، وزوجة لا تعمل ولحسن الحظ ليس لها طلبات إلا الضروريات، ولديه طفلان واحد منهما مبتسر بالإضافة إلى مشكلة المشاكل مسسز والتر والقتلة الذين يتتبعونها، وبالتأكيد يتتبعونه هو أيضا. عماد لديه إرادة حديدية، إنه سوف يتغلب على هذه المشاكل بعون الله تعالى.

ذهب عماد ليرى مسسز والتر ومستر محمد جاكسون. وبعد أن ترك سيارته

فى شمال واشنطون استقل المترو واستبدله عدة مرات حتى وصل إلى جنوب شرق واشنطون، وبعد أن تأكد أن أحدا لا يتبعه ذهب مباشرة لمنزل مستر محمد جاكسون.

عماد : السلام عليكم.

مستر ومسسز جاكسون وحفيدته شانيتا جاكسون : عليكم السلام أخ عماد.

عماد : أين مسسز والتر ؟

مستر جاكسون : إنها فى غرفتها التى خصصناها لها، وهى تكتب خطابًا لزوجها الذى سوف تقوم بتوصيله شانيتا.

خرجت مسسز والتر من غرفتها وقد بدى عليها الراحة والاطمئنان وذهب عنها الخوف، وظهر وجهها أجمل بالحجاب الإسلامى، وأعطت الخطاب لشانيتا وهو عبارة عن مظروف صغير مغلق بإحكام.

(34)

مسسز محمد جاكسون تنظر لحفيدتها ومسسز والتر فقالت : يا أخت زينب بما أنك وزوجك لكما مراكز سياسية مهمة فإننا لنا طلبات مهمة كذلك، وهى ليست من أجلنا شخصيا وإنما للحى الذى نقطن به، ويقوم الآن بحمايتك. لقد أهملت حكومة واشنطن المحلية هذا الحى لسنوات طويلة، وإننا نريد مكتبة عامة وقسم شرطة بهذا الشارع، وأعتقد أنها طلبات معقولة وليست شخصية.

مسسز والتر وهى تفكر بعمق وعلى وجها مشروع ابتسامة: سوف نقوم أنا وسناتور والتر بكل جهدنا والضغط على الحكومة المحلية لتلبية رغباتكم، وإذا تحججت الحكومة بقلة الموارد أو ضعف الميزانية سوف أتولى بنفسى وبمالى الخاص بناء مكتبة عامة فى هذا الشارع، وهذا وعد منى وسوف أقوم بكتابته على وثيقة، وعلى مستر جاكسون الاحتفاظ بها حتى أوفى بوعدى لكم. والآن بعد إذنكم فإنى أريد التحدث مع

عماد على انفراد، وأشارت مسسز والتر لعماد لكى يتبعها لغرفتها . رفض عماد أن يتبعها فإنه لا يأمن هذه السيدة اللعوب فذهب للمطبخ وأشار اليها لكى تتبعه.

مسسز والتر لعماد : أريد منك أن تذهب للهوتيل وتحضر لى سى دى قد لزقته أنا فى أسفل المائدة المتحركة التى كان عليها الطعام ليلة رأس السنه.

عماد : ومتى فعلتِ هذا ؟

مسسز والتر : لقد فعلت هذا عندما طلبت زجاجة شمبانيا جديدة وتركتنى وذهبت لإحضارها.

عماد فى نفسه يا بنت العفاريت وقال : أنا ممنوع من الذهاب للهوتيل كذلك محتمل جدا ألا أجده فى مكانه.

مسسز والتر : لقد وضعت علامة زد على المائدة وكتبت اسمك علي السى دى، فإذا وجده أحد سوف يحتفظ به بالأمانات ولن يستطيع أحد قراءته بدون كلمة السر.

عماد :لن أقوم بهذه المغامرة حتى أعرف محتويات هذا السى دى، وماذا سوف يعود على بعد كل الذى فعلته لك ؟

مسسز والتر : هذا السى دى به أسماء بعض أفراد المخابرات الروسية وبعض الأفراد الأمريكان المتعاونين معهم، المحتمل تدخلهم فى الانتخابات الأمريكية لصالح أشخاص مشكوك فى أمانتهم السياسية والمالية. أما بالنسبة لك فإنى سوف أعوضك ماليا على كل وقتك، وسوف أجد لك وظيفة مهمة فى أى هوتيل تملكه شركتنا وتختاره أنت بنفسك.

خرج عماد وهو يفكر فى مسسز والتر التى تريد تصفيتها كل من المخابرات الروسية والأمريكية، ومحتمل مخابرات دول أخرى كثيرة، وكذلك فكما لها من أصدقاء ومعارف مهمين فلها عداوات كثيرة مع أزوجها السابقين الذين أخذت منهم ملايين الدولارات، وأعداء كثيرون غير معروفين، وعليه أن يجد وسيلة للعودة لهوتيل اكس وإحضار السى دى.

اتصل عماد هاتفيا بتوم زميل العمل : توم أنا عماد وأريد منك خدمة.

(35)

اتصل عماد تليفونيا بتوم زميله فى العمل بهوتيل اكس لكى يجد وسيلة لدخول الهوتيل خلسة وبدون معرفة أحد.

عماد : هالو توم أنا عماد كيف حالك ؟

توم : هالو عماد أنا بخير وكيف حالك أنت ولماذا لا تحضر للعمل ؟ الكل يسأل عنك وعن أسباب تغيّبك الذى يربطه معظم الزملاء بالأحداث الأخيرة بالهوتيل.

لم يجاوب عماد على أسئلة توم بل استفسر عن آخر الأحداث بالهوتيل ؟

توم : هذا الصباح اجتمع بنا مدير عام جديد للهوتيل والذى حضر اليوم فجأة وقد قال لنا إن الإدارة سوف تتغير بالكامل وعلى وجه السرعة، ولم يقل لنا عن أسباب هذه التغيرات المفاجئة . لكن الإشاعات بين العاملين تقول إن المدير العام متهم بالتحرش الجنسى بسكرتيرته الحسناء التى اختفت هى بالتالى، ويقال إنها تقاضى الهوتيل وتطلب تعويضات تبلغ ملايين الدولارات. وأن تونى مديرنا المباشر مع مدير شئون الأفراد تحت التحقيق فى مكتب المدعى العام لواشنطن بعد اتهامهما من بعض العاملين بالهوتيل أنهما تقاضيا منهم رشاوى مالية ورشاوى جنسية لكى يتم تعينهم بالهوتيل . وكذلك يقال إن لك ضلعًا فى كل هذه الاتهامات وهذا سبب تغيبك عن العمل بالهوتيل. وآخرون يقولون إن أشخاصًا مهمين فى الكونجرس وراء كل هذه الاتهامات فكل الزملاء على احر من الجمر ليسمعوا منك سبب تغيبك عن الهوتيل ؟

عماد : إننى فى إجازة مؤقتة وسوف أعود قريبا . لكنى أريد منك خدمة صغيرة وهى أن تفتح لى الباب الجانبى حوالى الساعة التاسعة مساء قبل انتهائك من العمل بالفترة المسائية.

توم : إننى لن أعمل فى الفترة المسائية حتى نهاية الأسبوع القادم، ولماذا لا تدخل الهوتيل من باب العاملين وتمر من خلال رجال الأمن الذين يعرفونك جيدا ؟

عماد : شكرا يا توم وهذا ما سوف أفعله.

لم يقل عماد لتوم سبب السرية التى يريد بها الدخول والخروج من الهوتيل فعليه أن يجد حيلة لتنفيذ هذه المهمة بعيدا عن أنظار الزملاء وأسئلتهم.

(36)

رجع عماد إلى منزله ووجد أسرته بخير وسألته جى جى: أين كنت طوال اليوم ؟

عماد : أبحث عن عمل.

دخل عماد غرفته وارتدى ملابس عربية كان قد أحضرها من مكة أثناء أداء فريضة الحج ونظارة سوداء، واتصل بصديقه رجب الذى يقود سيارة ليموزين فاخرة وأخبره أن يأخذ زائرًا خليجيًا اسمه حسين نصر الدين أبكم وأصم من المطار إلى هوتيل اكس، وسوف يدفع عماد الفاتورة التى اتفق عليها مسبقا مع الزائر الخليجى عندما كان فى الهوتيل من عدة أيام .

وضع عماد (التكصيدو) فى حقيبة سفر صغيرة وخرج من غرفته .

جى جى : ما هذا الزى يا عماد هل أنت ذاهب لحفلة تنكرية ؟

عماد : شبه ذلك فسوف أعمل فى حفلة خاصة.

جى جى : هذه الحفلات الخاصة جابت لنا الهم والنكد.

عماد : إن شاء الله خير هذه المرة. أين الأولاد ؟

جى جى :الأولاد نائمون من الإرهاق، فباسم يبكى كثيرا عندما يرانى أحمل تامرًا، ويرفصه إذا جلس معه على رجلى.

عماد يبتسم : سوف يتعود باسم على أخيه فى خلال أسابيع، سوف أعود متأخرا فلا تقلقى على. السلام عليكم.

ذهب عماد إلى مطار واشنطن وترك سيارته فى الموقف اليومى وانتظر الليموزين على رصيف القادمين، ولم يجد رجب صعوبة فى التعرف على الزائر الخليجى، لكن الزائر وبالإشارة طلب من رجب أن يرى رخصة القيادة لكى يتأكد من شخصيته.

جلس عماد مسترخيا فى الليموزين وقد ذهب عنه ارتباكه وخوفه، فإن صديقه لم يتعرف عليه بملابسه الخليجية، وإن شاء الله لن يتعرف عليه أحد فى هوتيل اكس.

وصلت الليموزين إلى هوتيل اكس وفتح بابها للزائر البل مان، وحاول أن يأخذ الحقيبة منه ويسأله عن اسمه لكى يبلغ مكتب الاستقبال، فرفض الزائر أن يترك حقيبته، فقال رجب للبل مان إن الزائر أبكم وأصم فعليه أن يتركه ليتصرف وحده مع مكتب الاستقبال، لكن البل مان أعاد النظر فى الزائر كأنه يعرفه. لكن عماد تجاهل نظراته ودخل مسرعا للهوتيل

واتجه الى الرستورانت الفرنسى مباشرة فلا أحد يعرفه فى هذا المكان وطلب أن يجلس على مائدة فى مكان شبه مظلم وبعيدا عن الأنظار .

(37)

أمسك عماد بالمنيو وقربه جدا لوجه حتى لا يراه أحد. حضر الوايتر وسأل عماد على طلبه فأعطاه عماد ورقة قد أعدها مسبقا بها أنه يريد فنجان قهوة أثناء انتظاره لصديقه .

انتظر عماد حوالى عشرين دقيقة ليتأكد من ازدحام فترة العشاء وأصبح لا يهتم أحد بوجوده .ترك عماد قيمة فاتورة القهوة. ودخل دورة المياه وغير ملابسه العربية إلى (التكصيدو) ووضع الحقيبة بالملابس العربية فى صندوق المهملات أسفل الكيس المتغير.

دخل عماد مسرعا إلى المطبخ الفرنسى كأنه أحد العاملين، ومنه لمكان الموائد المتحركة وقد عرف المائدة فورا التى قالت عليها مسسز والتر.

وضع عماد يده أسفل المائدة وتحسسها بحثا عن السى دى ولكنه لم يجد شيئا. فتحسسها مرات لكنه لم يجد شيئا. ارتبك عماد وأصبح يندى عرقا باردا وقلبه يدق

سريعا ووجهه وجسمه كله يغلى بالسخونة وهو يفكر سريعا ماذا يفعل، هل يخرج سريعا من هذا المكان ؟ قبل أن ينكشف أمره أو ماذا ؟؟؟

سمع عماد خطوات سريعة وصوت عجلات مائدة متحركة تتحرك بسرعة فاختبأ خلف دولاب المفارش وفتح الدولاب واختفى فيه بالكامل. دخل أحد العاملين وهو يدفع مائدة متحركة أمامه وعماد يراقبه من مخبئه . نظر العامل إلى الدولاب وهو يقول لنفسه بصوت مسموع لقد كان هذا الدولاب مقفولًا من دقائق. وهم أن يقفله فتسمر عماد من الخوف فإذا قفل العامل الدولاب فسوف يجد عمادًا خلفه، فأمسك عماد بأحد الأوانى النحاسية القريبة منه ليباغت هذا العامل على رأسه.

وفجأة سمع صوت ينادى : ارنست ... ارنست ماذا تفعل عندك ؟ تعال بسرعة وساعدنى إننا مشغولون جدا ..جدا ولا وقت للتلكع. أسرع ارنست ناحية المنادى وترك الدولاب. تنفس عماد الصعداء وجفف عرقه وخفف من رباط عنقه.

قرر عماد أن يبحث عن السى دى مرة أخرى، وإذا لم يجده فى خلال ثلاث دقائق فسوف يخرج من هذا المكان قبل أن ينكشف أمره . قرأ عماد الفاتحة وهو يتصبب عرقا ويسمع قلبه يدق بسرعة قطار ابوقير فدعا «اللهم راد الضالة رد على ضالتى» وجد عماد السى دى ملزقًا اسفل مائدة متحركة فى أخر المكان ناحية الحائط.

رجع عماد إلى دورة المياه مرة اخرى واسترد حقيبته ولم يستبدل ملابسه، وإنما ارتدى بالطو خفيفًا قد أحضره معه فوق (التكصيدو). خرج عماد من الباب الخلفى لهوتيل اكس حتى لا يراه البل مان مرة ثانية ويتعرف عليه.

(38)

حاول عماد أن يستقل تاكسى لكنه لم يجد تاكسى يذهب إلى منطقة جنوب شرق واشنطون بحجة أنها خطرة جدا فى هذا الوقت من الليل. بالإضافة إلى أن سائقى التاكسى نظروا إليه بعيون الريبة، وفهم عماد أنهم يفكرون فى الحقيبة التى معه،

فمحتمل جدا أنهم يعتقدون إنه تاجر مخدرات.لكنه وجد سائق تاكسى على استعداد أن يأخذه إلى هذه الضاحية وإن يتركه على بعد ميلين من عنوان مستر محمد جاكسون.

فكر عماد وقرر أن يتخلص من الحقيبة والسى دى، فاستقل تاكسى إلى (يونيون استاشين) محطة القطارات الرئيسة والقريبة من مبنى الكونجرس، دخل عماد المحطة وهى كبيرة جدا وجميلة ونظيفة جدا، وتأكد أن أحدًا لا يتبعه، فوضع الحقيبة والسى دى فى خزاناتين مختلفين للأمانات، وأخذ المفتاحين برقمى 147 و149

خرج عماد من المحطة واستقل الحافلة التي أوصلته قريبا من منزل مستر جاكسون. سار عماد مسرعا وقد كان الجو باردا جدا فى هذه الليلة، فأحكم عماد أزرار البالطو جيدا والتف بكوفيته الفلسطينية حول نصف وجهه وأنفه ليتقى الهواء البارد، بالإضافة إلى قبعة صوف تحمى رأسه وأذنيه فلا يظهر منه إلا عيناه العسليتان. ولم ير أحدًا من أهل المنطقة فى الشارع، فالجو بارد والشارع خالٍ تماما من المارة والسيارات.

فجأه سمع أصوات أقدام وارتطام أشياء معدنية، ارتعب عماد وقال فى نفسه: متى تمر هذه الليلة الغبراء ؟ نظر عماد خلفه لم يجد شيئا وإنما أصوات عواء قطة من الرصيف المقابل وسيدة عجوز تنادى قطتها : كيمبرلى... كيمبرلى أين أنت يا عزيزتى؟ تعالى هنا فى الداخل الجو بارد جدا عليك فى الخارج.

أخيرا وصل عماد إلى منزل مستر جاكسون، فتحت له الباب مسسز والتر. نظر عماد حوله فسأل : أين مستر ومسسز جاكسون ؟

مسسز والتر : لقد ذهبا مع ابنتهما لصلاة العشاء وحضور الدرس المسائى فى الجامع وهم على وشك الحضور.

عماد مرتابًا : لم أكن أعرف أنهم يفعلون ذلك ؟

مسسز والتر : نعم إنهم يفعلون ذلك دائما عندما يجدون أحدًا يقود سيارتهم فإنهم يخافون أن يقودوا سيارتهم فى الليل.لكن لم تقل لى هل أحضرت السى دى ؟

عماد : لقد انتقل السى دى من تحت المائدة إلى خزانة الأمانات.

مسسز والتر وقد ظهر عليها الغضب لكنها سألته بلطف راسمة ابتسامة على شفتيها: وأين هذه الخزانة ؟

عماد وهو يفكر سريعا وعميقا : سوف أقول لك فى الوقت المناسب.

بومب ... بومب.. طلقات نارية اخترقت شباك غرفة الاستقبال حيث عماد ومسسز والتر

ارتمت مسسز والتر على الأرض.

وبسرعة أطفأ عماد نور الغرفة وارتمى على الأرض بجانب مسسز والتر.

نادى عماد بصوت خافت: مسسز والتر..... مسسز والتر.

لكنها لا تجيب إنها جثة هامدة ودماء على يد عماد

عماد ملتاع : خبر أسود ومصيبة سوداء، الولية ماتت.

(39)

مرت ثوان على عماد كأنها العمر كله وهو يفكر ماذا سوف يحدث له ولعائلته بعد مقتل مسسز والتر؟ هل التحقيقات سوف تثبت أن المخابرات الروسية أو الأمريكية قتلتها لما تعلمه عن الأمريكان الخونة المتعاونين مع الروس فى الانتخابات الأخيرة أو أحد أزواجها السابقين الناقمين عليها بما أخذته منهم والذى يقدر بملاين الدولارات؟. ولو حدث وأن خرج من هذه المحنة بخير هل سوف يرجع عمله مرة أخرى أو يجد عملًا آخر بعد هذه المصائب، وماذا سوف يتم مع جى جى وأولاده وبالذات المولود الجديد المبتسر؟ وكيف ومن أين سوف يدفع أقساط بيته الجديد ؟ هذه ليست حياة وإنما أشغال شاقة مدى الحياة. إن شاء الله سوف تمر هذه المحن على خير وسوف ابتسم عندما أتذكرها.

فى ظلام الغرفة الدامس أحس عماد بيد مسسز والتر على فمه تمنعه من الكلام. فى البداية ارتعب عماد فقد كان يعتقد أن مسسز والتر قُتلت، لكنه فرح جدا واستعاد ثقته بنفسه. ولكن من أين هذه الدماء ؟ ربما مسسز والتر أصيبت وهذه هى دماؤها.

بمب ... بمب واخرى من بعيد بمب... بمب... وأحد الأشخاص يجرى بعيدا، وآخرون يجروا قريبا وهرج ومرج . ظلام دامس فى حجرة الاستقبال، وعماد ومسسز والتر مستلقيان على الأرض بدون حراك أو نفس.

فجأة فتح باب البيت ودخل مستر ومسسز محمد جاكسون وحفيدتهما وأضاءوا الأنوار.

مستر جاكسون : السلام عليكم.

عماد بصوت خافت : السلام عليكم لو سمحت أطفئ الأنوار.

مستر جاكسون : اطمئنوا لقد تم القبض على الشخص الذى كان يحاول قتل الأخت زينب بمعرفة شباب الحى، وهم فى انتظار الشرطة لتسلمه بعد أن قام الشباب باستجوابه وتعديل ملامحه.

وأثناء الحديث سمع الجميع صوت صفارات الإنذار لعربات الشرطة تمر أمام المنزل مسرعة.

مسسز جاكسون : عماد إننى أرى زراعك ينزف دما.

نظر عماد إلى زراعه فوجد به قطعة زجاج صغيرة اخترقت ملابسه وجرحته وحمد الله أنها قطعة زجاج صغيرة وليست رصاصة قاتلة . ضمدت زراع عماد حفيدة مستر جاكسون. وأصبح الجميع ينظرون إلى بعضهم البعض.

(40)

نظر عماد الى مسسز والتر متسائلًا : هل اتصلت بأحد اليوم.

مسسز والتر والهم والغضب والحزن والحيرة على وجهها الذى تقدم به العمر فجأة : نعم لقد انتهزت الفرصة بغياب الجميع وكلمت ابنى وأحفادى من تليفون مستر جاكسون. اطرقت مسسز والتر برأسها إلى الأرض وبدأت فى بكاء صامت حزين.

نظر الجميع إلى بعضهم البعض وهم لا يصدقون ما سمعوا.

عماد: هل تعتقدين أن ابنك وراء محاولة قتلك ؟ فسوف يرث الكثير من ورائك؟

مسسز والتر : لقد فكرت فى هذا الأمر كثيرا وأننى استبعد هذا، فإن ابنى رجل أعمال ناجح، ويملك الكثير وهو يحبنى جدا. لكن زوجته تضمر لى العداء من سنوات كثيرة فقد كنت أرفض لابنى هذه الزوجة.

عماد : هل مازلت تعتقدين أن المخابرات تحاول قتلك ؟

مسسز والتر: كل شئ فى الحسبان حتى تظهر نتيجة التحقيقات.

بعد أن تحدث مستر محمد جاكسون فى الهاتف لمدة ليست بالقصيرة. اتجه إلى مسسز والتر بالحديث.

مستر جاكسون : أخت زينب لقد تم القبض على المحترف الذى كان يحاول قتلك ويجب أن تعتبرى نفسك محظوظة للغاية فان هذا المحترف لم يخفق أبدا فى أي مهمة قتل من قبل. ولقد تقاضت المافيا الفيتنامية نصف مليون دولار من أحد الأشخاص فى نيويورك لتنفيذ هذه المهمة . وقد قال لى الشباب الذين استجوبوه وعدلوا كثيرًا من ملامحة قبل حضور الشرطة أنه قال لهم إنه ينتمى لهذه المافيا وأنه يفضل الموت ولا يعود إلى نيويورك، فإن المافيا سوف تقوم بتصفيته بسبب إخفاقه فى هذه المهمة. توقف مستر جاكسون قليلا قبل أن يستطرد فى كلامه.

مستر جاكسون : أخت زينب هل تعرفين أو تشتبهين فيمن وراء هذا التعاقد لقتلك؟ إنه من الواضح أن يكون ثريا لكى يدفع هذا المبلغ.

مسسز والتر : كل أفراد أسرتى وكل أصدقائى ومعارفى من الأثرياء. فهل أشبته فيهم جمعا؟

***

(41)

عاد عماد إلى منزله ذلك المساء متأخراً مرهقاً فوجد جى جى بانتظاره.

جى جى : أين كنت طوال اليوم ؟

عماد : أبحث عن عمل.

جى جى : لقد اتصل بك المدير العام الجديد لهوتيل اكس بنفسه مرتين وقال إنه منتظرك غدا الساعة العاشرة صباحا، وإذا لم تتمكن من الحضور فى هذا الميعاد فعليك عمل ميعاد جديد وفى أقرب فرصة. كذلك اتصل قسم شئون الأفراد بهوتيل «ذى» ويريدونك الاتصال بهم فى أقرب فرصة.

فى اليوم التالى اتصل عماد بقسم شئون الأفراد بهوتيل «ذى» فأخبروه أن طلبه لوظيفة مدير الرستورانت الرئيسى بالهوتيل مرحب به جدا فى الإدارة وأن عليه أن يقابل المدير العام فى أقرب فرصة. ذهب عماد للمقابلة وكانت ممتازة استعرض فيها عماد خبرته بعمله ومؤهلاته الدراسية، فتم تعيينه بالوظيفة الخالية على أن يبدأ العمل فى بداية الأسبوع التالى .

ذهب عماد لهوتيل اكس لمقابلة المدير العام الجديد فوجد كل شئ مختلفًا، فالمدير العام الجديد له مكتب واحد لمقابلة أى أحد والمكتب الذى كان مخصصًا للعاملين فقط قد أغلق وأصبح العاملون يقابلون المدير العام لمناقشة احتياجاتهم إذا تطلب الأمرذلك فى نفس مكتب كبار الزوار والعملاء أصحاب المراكز والملايين.

عماد للمدير العام : لقد حضرت لمقابلة حضرتك حسب الميعاد.

المدير العام : أنا شاكر جدا لاهتمامك والحضور فى الميعاد رغم المدة القصيرة التى تم إبلاغك بها. وكما تعلم أنى فى هذا المنصب منذ أسبوع وقد أجريت تعديلات كثيرة وأخرى قادمة، وهذا لصالح العاملين الذين هم أهم عوامل نجاح الشركة، وتقدمها والزيادة فى الأرباح.

عماد : إننى أرى ذلك وأتمنى لك التوفيق.

المدير العام : لقد اطلعت على طلبك لوظيفة مدير الرستورانت الإيطالى وأراك مناسبًا جدا لهذه الوظيفة، ولكن يوجد بعض الإجراءات التى يجب الانتهاء منها.

عماد : إجراءات بخصوصى أنا ؟

المدير العام مستطردا بدون الإجابة على سؤال عماد : لقد علمنا بوسائلنا الخاصة أن القاتل المحترف الذى كان يحاول اغتيال مسسز والتر قد تم القبض عليه. وأن هوتيل اكس سوف يقيم حفل عشاء فاخربمناسبة نجاتها، وسوف يحضر علية القوم فى واشنطون والإعلام المرئى والمكتوب هذه المناسبة السعيدة، وسوف يكون نجم الحفل هو عماد ممثلا هوتيل اكس الذى أنقذ حياة مسسز والتر.

عماد : أشكرك على اهتمامك واهتمام الهوتيل بشخصى لكنى محتاج بعض الوقت للتفكير فى هذا العرض .

المدير : لقد علمت بظروفك بهوتيل اكس، لكن الظروف تغيرت للأحسن وسوف يكون لك مستقبل معنا فى الشركة، وإننى أريد إجابتك غدا فى نفس هذا التوقيت وشكرا على حضورك اليوم.

(42)

شكر عماد مديرعام هوتيل اكس على الوظيفة التى عرضها عليه لكنه طلب فرصة للتفكير فى هذا العرض المغرى، فإنه بعد الحفلة التى وعد المدير بإقامتها بمناسبة نجاة مسسز والتر من القتل فإنه سوف يصبح من نجوم واشنطون بما أنه هو الذى أنقذها من القتل، وسوف يصبح إنسانًا مشهورًا مثل مسسز والتر، وسوف تنهال العروض عليه بالوظائف المختلفة فى هوتيلات شهيرة. لكنه لا يأمن إدارة هوتيل اكس فإنهم لن ينسوا أنه حاول أن يقاضيهم بتهمة العنصرية، ولن تأمن الشركة بوجوده معهم. لكن

هوتيل ذى اصغر وأقل شهرة، ومرتبه أقل قليلا من هوتيل اكس، لكن المنافسة فيه أقل، والقليل من العاملين به يعرف عماد ومشاكله مع هوتيل اكس.

رجع عماد مباشرة لمنزله ليزف بشرى الوظيفة الجديدة لجى جى.

عماد : السلام عليكم

جى جى : عليكم السلام..خير إن شاء الله . لماذا أنت فى البيت مبكرا ؟

عماد : أبشرى فقد عرض على وظيفتان فى نفس الوقت فى هوتيل اكس وهوتيل ذى، وسرد عماد لجى جى تفاصيل المقابلتين وبالذات عرض هوتيل اكس بالشهرة والوظيفة المرموقة.

جى جى : هوتيل اكس تعامل معك بخبث ودالة بعد أن قضيت ست سنوات فى العمل معهم، وسوف يتعاملون معك بنفس الطريقة عندما تنتهى فترة الشهرة، وبالتأكيد سوف تعود مسسز والتر إلى ولاية جورجيا ولن يهتم إعلام واشنطون بك لأن شهرتك مرتبطة بها. وفى هذه الحالة سوف يتخلص الهوتيل منك لأن الإدارة لن تنسى ذهابك للمحامى، ولن تنسى أنك سبب رئيسى فى التخلص من ثلاث من كبار المسؤلين بالهوتيل. فعليك قبول وظيفة هوتيل «ذى» ورفض وظيفة هوتيل اكس.

عماد : نعم إننى كنت أفكر بنفس الطريقة، وكذلك هذا ما نصح به المحامى .

(43)

اتصل عماد بمديرعام هوتيل اكس وأخبره برفضه للوظيفة. فاستشاط المدير غضبا وقد تبدل صوته وطريقة كلامه وطلب من عماد الحضور لمكتب شئون الأفراد ويوقع أوراق انتهاء خدمته فى الهوتيل.

ذهب عماد لهوتيل اكس فى ميعاد راحة زملائه القدامى لكى يودعهم ويستفسر عن آخر أخبار الهوتيل .

توم لعماد : هل سوف تعود للعمل قريبا ؟

عماد : لقد قبلت وظيفة مدير الرستورانت الرئيسى فى هوتيل «ذى» وسوف أبدأ الأسبوع القادم بإذن الله .

جورج : عماد هل كنت السبب فى اختفاء المدير العام السابق وتونى ومدير شئون الأفراد ؟

عماد : ليس لى دخل بكل هذه الأحداث.

توم : لكن معظم الزملاء يعتقدون هذا وهم مسرورون لذلك.

جورج : وقد أطلقوا عليك «عماد مشاكل إدارية» نسبة إلى شئون إدارية.

عماد : لم أتسبب لأى أحد بمشاكل وإنما هم الذين سببوها لأنفسهم.

ذهب عماد لمكتب شئون الأفراد فتم الترحيب به ولكن فى حذر وريبة وكان المسئولون فى المكتب يتهامسون وظاهر عليهم القلق.

عماد : لقد أبلغنى المدير العام أنه يوجد بعض المستندات لديكم للتوقيع عليها. الهوتيل مدين لى بأجر أسبوعين إجازة سنوية وأجر الأسبوعين الماضيين.

مدير شئون الأفراد : سوف نعطيك شيكًا بأسبوعي الأجازة السنوية فقط. أما الأسبوعين الماضيين فقد انقطعت عن العمل بدون عذر.

عماد : لقد انقطعت عن العمل حسب أوامر المخابرات والمدير العام يعلم ذلك.

مدير شئون الأفراد : إذن فعليك طلب مستحقاتك منهم.

عماد يعلم ذلك لكن سوف يمر بعض الوقت للحصول مستحقاته من الحكومة.

عماد : إذن لن أوقع على اى شئ وعليكم التعامل مع مسسز ومستر والتر، وأعتقد أنكم تعرفون من هما هذان الشخصان ؟

مدير شئون الأفراد : إننا نعرف كل شئ لكن عندى أوامر بهذا.

عماد : أوامر من أين ؟

(44)

عماد : أوامر من أين ؟

لم يجب مدير شئون الأفراد على سؤال عماد، لكنه قال: عليك بتوقيع هذا المستند وسوف نحصل لك نحن علي مرتب هذين الأسبوعين من المخابرات، لكن سوف نخصم منك عشرة بالمائة مصاريف إدارية لتحصيل هذا المبلغ.

عماد وقد فرغ صبره : لن أوقع على شئ ولا أريد شيئًا وعليكم التعامل مع سناتور والتر والنقابة والمخابرات والصحافة والإذاعة والتليفزيون، وأضاف متهكما ومحتمل البيت الأبيض. فإننى سوف أسبب لكم مشاكل أنتم فى غنى عنها.وعليك سؤال المدير العام السابق والحالى.

نظر مدير شئون الأفراد إلى عماد والغيظ يأكله، وابتسم ابتسامة صفراء وقال : مستر عماد لا داعى للغضب فقط وقع على هذه المستندات وعليك الذهاب لقسم الحسابات وأخذ مستحقاتك كاملة.

عماد : ليس مستحقاتى المالية، فقط كذلك خطاب من الهوتيل يشهد بعملى المتميز به.

خرج عماد من هوتيل اكس آسفًا حزينا كاسف البال، فقد كان يأمل أن يستمر فى هذا الهوتيل العملاق لسنوات قادمة لكنه حمد الله أنه خرج منه مرفوع الرأس وبدون أي مصائب قانونية أو غيرها مثل المدير العام السابق وتونى ومدير شئون الأفراد السابق والمحجوزين بنيابة واشنطن، وأنه يأمل فى مستقبل أفضل فى هوتيل «ذي».

عماد متحدثا في المحمول : السلام عليكم جى جى لقد حصلت على مرتب أربعة أسابيع كاملة من هوتيل اكس هل لك الرغبه فى العشاء فى رستورانت فاخر ؟

جى جى : طبعا أرغب فى ذلك دائما لكن باسم حرارته مرتفعة ولن نقدر على الخروج اليوم لكن ممكن غدا إن شاء الله.

عماد : وكيف حال تامر ؟

جى جى : تامر ما شاء الله بخير أغيرله ملابسه ويأكل وينام ملء جفنيه .

عماد : سوف أتأخر قليلا اليوم فلا تقلقى ولا تسألى أين ذاهب ؟

جى جى : لن أسأل فإنى أعرف كل شئ وربنا يهنى سعيد بسعيده،

عماد فى نفسه: مصريات نكد أبدى.

(45)

اقترب عماد من منزل مستر محمد جاكسون فوجد ثلاث سيارات شرطة وسيارة ليموزين سوداء أمام المنزل .

سألوا عماد عن اسمه ووجهته، وبعد أن اتصلوا تليفونيا برؤسائهم ومستر محمد جاكسون سمحوا له بالدخول إلى المنزل.

دخل عماد غرفة الجلوس فاستقبلوه جميعًا بحفاوة: مستر ومسز جاكسون وسناتور والتر ومسز والتر ومدير امن واشنطن الذى يعرفه من صوره فى الجرائد، وقال لعماد لقد سمعت عنك كلامًا جميلًا وصافحه بحرارة.

جلس عماد صامتا ومتطلعا لمعرفة ما يجرى فى هذه الجلسة أو الاجتماع الذى لم يعرف عنه شئ مسبقا.

بدأ الحديث سناتور والتر فوجه الحديث لمستر جاكسون وعماد فقال : إننى أشكر عماد لإنقاذه حياة جولى وأشكر مستر محمد جاكسون للمحافظة على حياتها وللأسف قد انتحر القاتل المحترف أثناء التحقيق، وقد كان يحتفظ بكبسولة سامه تحت لسانه طوال الوقت ولم تسفر التحريات والتحقيقات لمعرفة من وراءه ومن دفع هذا المبلغ الضخم له، ومن معه لكى يتم التخلص من جولى وقد قفل التحقيق على ذلك.

مدير الأمن : سوف يتم بناء قسم للشرطة فى هذا الشارع فى خلال شهور حسب رغبة مستر محمد جاكسون وأهالى المنطقة.

سناتور والتر : وسوف أتبرع أنا وجولى لبناء مكتبة عامة بجانب قسم الشرطة، كذلك حسب رغبة مستر ومسز جاكسون وأهالى المنطقة التى ندين لهم بالكثير.

عماد يجلس صامتا لكنه يفكر سريعا هل الحكومة الأمريكية بجلالة قدرها لا تعرف من المحرض على قتل مسز والتر وأن القاتل المحترف ينتحر وهو فى حمايتها وأثناء التحقيق ؟ إنه لا يستعوب هذه القصة. فنظر إلى مسز والترفوجدها مهمومة وتفكر بعمق لعلها تفكر فيما يفكر به عماد.

ونظرت إلى مدير الأمن وهمت بالكلام

(46)

مستر ومسز جاكسون يجلسان فى صمت لكنهما فى منتهى السعادة، لقد وعدت الأخت زينب وأوفت بوعدها إنها ليست مسلمة لكن لها أخلاق حميدة وأنها سيدة محترمة مهما قيل عنها.

طلب مدير أمن واشنطن أن يدبر لمؤتمر صحفى لكى يعلن كل هذه الأخبار السعيدة لكن مسز والتر رفضت بشدة وقالت كفانى شهرة وما حدث لى بسببها. إننى سوف أعتزل العمل فى واشنطون وسوف أعود إلى بلدتى الصغيرة بولاية جورجيا واستمتع بحايتى مع أحفادى.

سناتور والتر : وإننى كذلك لن أرشح نفسى مرة أخرى، وسوف أعتزل العمل السياسى.

تصافح الجميع على أمل اللقاء مرة اخرى، وقد دس عماد فى يد مسز والتر مفتاح خزينة محطة القطار الرئيسة بواشطن والتى بها السى دى الخاص بها. نظرعماد إليها يتساؤل: هل هى سوف تعتزل العمل بواشنطن؟ إنه لا يعتقد هذا، فهي بالتأكيد سوف تمل السكون والراحة وسوف تعود مرة أخرى لواشنطن حيث المؤامرات والتجسس والجاه والنفوذ والثروة.

استيقظ عماد مبكرا كالعادة للذهاب لعمله

جى جى : صباح الخير ياعماد هل أنت عطلة اليوم ؟

عماد : لا، وهذا لفترة معينة حتى أثبت وجودى وسوف أخصص لنفسى يوم عطلة أسبوعية إن شاء الله.

جى جى : شهران من التحاقك بعملك الجديد ولم تأخذ إجازة إلا يومين وكنت أعتقد أنك عندما تصبح مديراً سوف يكون عملك قليلًا وتزيد إجازاتك.

عماد : لسنا فى مصر حيث يذهب المدير الى عمله متأخرا وينام أثناء العمل حتى يذهب إلى منزله مبكرا، والعاملون يفعلون مثله ومصالح الناس وخدماتهم آخر شئ يُنظر إليها . والبلد كلها نفس الشئ لذلك أصبحت مصر فى ذيل الأمم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

جى جى تنظر إلى عماد مستنكرة : مصر أحسن بلد فى الدنيا.

عماد : إننى لم اقل غير هذا، وإنما ثقافة العمل واحترامه غير موجودة فى مصر، وقد كانت موجودة أيام أبى رحمه الله. إنما هنا المدير يذهب إلى عمله قبل مرءوسيه ويترك عمله بعد مرءوسيه وهو مسؤول عن كل كبيرة وصغيرة، ونفس الشئ فى كل الدول المتقدمة وهذا هو الفرق بين مصر والبلاد المتقدمة، وهو احترام الوقت والعمل ومصالح الناس.

تمت

***

عابر محيط

(1)

كان الظلام حالكا وهواء المحيط الأطلنطى شديد البرودة، وعابرة المحيطات العملاقة تشق طريقها وسط مياه المحيط فى ثقة وتحد فى طريقها إلى فيلادلفيا قادمة من جنوة الإيطالية وكانت الأمواج متوسطة القوة والرياح معتدلة لكنها شديدة البرودة.

كان معظم الضباط والبحارة فى صالة الطعام الرئيسية يحتفلون بليلة رأس السنة الميلادية بالرقص والأكل والشرب ما عدا تامر، فإنه لا يشرب. اطمأن تامر أن الجميع فى حالة سكر تام وخاصة كبير الضباط (باسيلى)، فقد شرب حتى الثمالة ومع ذلك لم ينس استفزاز تامر.

- تامر لماذا لا تشرب ؟ فإنها رأس السنة فعليك بالشراب حتى لو لمرة واحدة فى السنة.

- لا أشرب حتى لو لمرة واحدة فى العمر.

- هل تخاف الله ؟ إنه لن يراك فى الليل. كابتن باسيلى يقهقه ضاحكا.

نظر إليه تامر بامتعاض ولم يقل شيئًا.

ذهب تامر لقمرته وأخذ الجوال الذى أعده لمهمته فى هذه الليلة شديدة البرودة . فقد عقد العزم على أن يقذف بالفأر فى المحيط بعد أن يلبسه الجوال حتى لا يسمعه أحد إذا صرخ.

والفأر هو الاسم الذى أطلقه تامر على باسيلي بينه وبين نفسه. فقد كان كابتن باسيلى يشبه الفأر فمنخاره المدبب وجسمه الصغير وصوته الرفيع مثل صوت الفئران.

قرر تامر هذه الخطة بعد أن حاول الفأر أن يقتل تامر مرتين. فالعين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم.

وقد درس تامر خطته بعناية وأعد عدته بحذرشديد وسرية تامة . والخطة هى :

- فك السلاسل الموجودة فى فتحة سياج السفينة أمام السلم الذى يُستعمل فى الموانئ. وقد كان للسفينة فتحتان بسلاسل فى الجانب الأيمن والجانب الأيسر.

- الاختباء أسفل سلم قمرة الفأر وهى تقع على الجانب الأيسر.

- كان بين مكان اختباء تامر وفتحة السياج ثلاثة أمتار.

- عند عودة الفأر لقمرته ثملا من حفل رأس السنة سوف يلقى تامر الجوال على رأسه من الخلف ويدفع به من فتحة السياج إلى المحيط.

- لن يسمع أو يرى احد الفأر بسبب الظلام الحالك وصوت المحركات الصاخب لهذه السفينة العملاقة .

- لن يبقى الفأر على قيد الحياة أكثر من عدة دقائق فى المياه الشديدة البرودة، هذا إذا لم يلتهمه رفاص السفينة العملاقة.

- يعيد تامر السلاسل مكانها ويذهب للاحتفال مرة أخرى . حتى لا يشعر أحد بغيابه فالكل فى حالة سكر تام.

اختبأ تامر فى الظلام الحالك أسفل سلم قمرة باسيلى. يترقب وصوله. وكانت دقات قلبه سريعه صاخبة يكاد يسمعها رغم صوت المحركات العملاقة للسفينة وصوت ارتطام الأمواج فى مقدمة السفينة . كان جسمه يرتعش من الخوف والبرد القارس لكنه صمم على هذه الخطة فإن الفأر كان يخطط لتسليمه لبوليس فيلادلفيا بحجة...

(2)

أحكم تامر معطفه حماية لنفسه من هواء البحر شديد البرودة . ورغم أن تامرًا كان مختبئًا أسفل سلم قمرة باسيلى، إلا أن الهواء البارد المحمل برزاز مياه المحيط الباردة والمالحة كان يرتطم بوجه تامر كأنه حبات رملية دقيقة ترتطم يوجهه فتؤلمه بدون رحمة، رفع تامر ياقة المعطف لتغطى الجانب الأسفل من وجهه وسحب طاقيته الصوف على الجانب الأعلى من وجهه فكان وجهه كله مغطى عدا جزء صغير لعينه لكى يرى باسيلى والفتحة فى سياج السفينة التى سوف يدفعه فيها بعد أن يلبسه الجوال المعد لهذه الخطة الخطيرة.

راجع تامر خططته فى مخيلته للمرة الأخيرة فقد تدرب عليها بينه وبين نفسه لمدة ستة أسابيع . فعند رجوع باسيلى لقمرته مخمورا سوف يمشى بجانب سياج السفينة الأيسر ليكون قريبا من قمرته. وقد راقبه تامر لستة أسابيع وعرف أن هذا هو طريقه المفضل عند عودته بعد العشاء من صالة طعام الضباط يوميا . فعند بلوغ باسيلى لفتحة السياج وقبل أن ينتبه أنها غير مغلقة بالسلاسل سوف يخطو تامر من خلفه بهدوء تام بثلاث خطوات فقط ويلقى عليه الجوال ويدفعه من فتحة السياج إلى المحيط وهذا سوف يتم فى 30 ثانية.

سوف يعيد تامر السلاسل إلى مكانها ويذهب بعدها إلى الحفل الساهر.

وقد خطرت هذه الفكرة لتامر من عدة شهور عندما كانت السفينة فى نيواورليانز الامريكية. وحضر باسيلى أو الفأر كما يصفه تامر إلى صالة استراحة البحارة وهو يحمل جريدة يونانية وقرأ المانشيت الرئيسى.

اسمعوا : أربعة بحارة مصريين متوحشين يحملون قبطان السفينة العاملين بها ويلقونه فى مياه ميناء هيوستن الامريكية .

نظر الفأر إلى تامرمتحديا ساخرا مستفزًا.

نظر تامر بدوره إلى الفأر فى عينيه وابتسم ابتسامة شيطانية، فقد أُعْجب تامر بالخبر وقال فى نفسه إن الفأر ليس بحاجة لأربع بحارة، فإن بحارًا واحدًا يكفى.

نظر الفأر إلى تامر وقد اصفر وجهه وخرج قبل أن يكمل قراءة الخبر. وقد ندم على قراءة هذا المانشيت وبالذات أمام تامر.

ورغم برودة هواء المحيط القارسة بدأ تامر يشعر بالسخونة والقلق بسبب الانتظار فمن الممكن جدا أن ينام الفأر فى إحدى القمرات الخلفية مع أحد الضباط أو البحارة الآخرين، ولن يحتاج أن يمشى وهو ثمل على سطح السفينة وسط المحيط فى ليلة كهذه. وهذا هو القرار الصحيح لو خُيّر تامر بهذا. وبدأ تامر يراجع نفسه.

هل يرجع إلى مكان الحفلة ويبحث عن الفأر أو ينتظر بضعة دقائق أخرى ؟

بدأ تامر يشك فى نجاح خطته.

تامر لنفسه: ماذا أفعل ؟ هل أنسى هذه الخطة من أساسها وألغيها؟ هل أعمل خطة أخرى؟

وأثناء حيرة تامر فُتح باب صالة الطعام الرئيسية وتسرب الضوء منها.....

(3)

خرج اثنان من المحتفلين. وانكمش تامر فى مكانه زيادة فى التخفى وكذلك من الخوف من أن يراه أحد وينكشف أمره . تحفز تامر لتنفيذ مهمته التى عمل وخطط لها طويلاً.

لكن هذان الشخصان ظلا فى مكانهما يتحدثان ويدخنان السجائر، وقد تعرف تامر

على أصواتهما، فإن أحدهما ضابط ميكانيكى، والآخر بحار، وبعد عدة قائق مرت ثقيلة على تامر عاد الاثنان إلى الحفل الساهر.

قرر تامر أن يمكث مكانه لمدة نصف ساعة أخرى أو حتى يفقد احتماله للبرد. رغم نحافة تامر لكنه كان يتمتع بطول القامة وجسم رياضى قوى رشيق، وكان شديد البأس، قوى الإرادة قمحى اللون، ذا عيون سوداء كبيرة وشعر أسود غزير يغطى رأسه.

رجع تامر بأفكاره إلى عام سابق عندما التحق بالعمل بهذه السفينة العملاقة عابرة المحيطات بوظيفة نصف بحار، أو مساعد بحار بمرتب سبعون جنيهًا استرلينيًا. وقد دفع حوالى شهر مرتب للسمسارحامد السويسى فى ميناء بيرية اليونانى لكى يوفر له هذه الوظيفة. والجميل للذكرى أن السمسار أعاد له بعض المبلغ الذى أخذه منه لما رأى من تامر دماثة الخلق وحسن المعاملة.

سافر تامر بالطائرة من اليونان بصحبة ثلاثة بحارة يونانين إلى امستردام ليلتحق بالعمل بعابرة المحيطات هذه، وكانت السفينة فى عَمرة للإصلاح بالحوض الجاف بهولندا، وقد انبهر بحجمها وضخامتها وضخامة الحوض الجاف الذى يحتضنها، وهذا عندما أحضرهم وكيل الشركة من المطار.

تعرف تامر على القبطان والضباط والبحارة، وكانوا جميعا من اليونانين ولا يتحدثون غير اليونانية ما عدا القبطان وبعض الضباط الذين كانوا يتحدثوا الإنجليزية واليونانية.

لم يجد تامر أى صعوبة فى التعامل مع بقية الطاقم البحرى فإنه يعرف كفاية من الانجليزية التى تعلمها فى الدراسة واليونانية التى تعلمها من أسرته بالأسكندرية.

على مدى ستة شهور كان تامر هو البحار الوحيد الأجنبيى من أربعين بحارًا وضابطًا يونانيين يعملون على هذه السفينة العملاقة. وقد ترقى إلى رتبة بحار فى خلال ثلاثة شهور بمرتب تسعون جنيهًا استرلينيًا، وهذا بتوصية الشيف اؤفسر وموافقة القبطان السابقين .

وكان كل شئ يسير جيدا وفى صالح تامر حتى ...

(4)

على مدى ستة شهور كان تامر البحار الوحيد المصرى ضمن أربعين ضابطًا وبحارًا من اليونايين على ظهر السفينة العملاقة عابرة المحيطات والتى تسمى « بطلة الأطلنطى». هذه السفينة بها سبعة عنابر عملاقة لتحميل الغلال . أربعة منها وسط السفينة بين الموخرة التى بها قمرات البحارة والضباط، وصالة طعام كبيرة للبحارة وأخرى صغيرة للضباط، وبينهم المطبخ، وأسفل كل هذا غرفة عملاقة بها المحركات الرئيسية التى تدير الرفاص العملاق لكى يدفع السفينة للأمام . يلى الأربعة عنابر وفى وسط السفينة مبنى من ثلاثة أدوار. الدور الأرضى به مخزن بويات وبعض احتياجات السفينة من عدد وآلات والدور الثاني به سكن القبطان ومكتبه، كذلك سكن الشيف اؤفسر ومكتبه. والدور الأخير والثالث به غرفة القيادة الرئيسية والتى تطل على ثلاثة عنابر أخرى تليها المقدمة التى بها خطافان عملاقان يُستعملان عند الحاجة فى الانتظار خارج أي ميناء إذا لم يكن لها رصيف ترسو به. وكذلك تطل غرفة القيادة من الخلف على باقى السفينة الخلفى .

بعد ستة شهور من عمل تامر على السفينة وأثناء وجودها فى ميناء فالنسيا فى اسبانيا ترك السفينة بضعة بحارة لانتهاء مدة عقودهم وحضر للعمل بضعة بحارة جدد من اليونان، وكان بينهم محمد محمد سليم بحار مصرى من عزبة البرج بضواحى دمياط، وقد فرح تامر كثيرا بهذا التغير، فإن بإمكانه الآن التحدث بالعربية مع مصرى مثله.

وكان أول لقاء بين تامر ومحمد عندما أحضره أحد البحارة إلى قمرته وعرفه به على أنه بحار مصرى مثله.

رحب تامر بمحمد.

- حمد لله على السلامة.

- الله يسلمك.... بقالك قد إيه على السفينه يا تامر ؟ فوجئ تامر بسؤال محمد فى أول لقاء.

- ستة شهور.

- كيف أحوال الضباط وبقية البحارة اليونانيين معك ؟

استنتج تامر أن محمد يخاف الضباط واليونانيين.

- كل الضباط والبحارة فى منتهى التفاهم والتعاون والاحترام معى والحمد لله.

- هل كنت البحار المصرى الوحيد هنا لمدة ستة شهور ولم تخف؟

- أخاف من ايه ؟ العمر واحد والرب واحد وأحظى بحب واحترام مع البحارة اليونانيين. وهل كنت تعرف أنه يوجد بحارة مصريون قبل التعاقد للعمل على هذه السفينة؟

لم يجاوب محمد هذا السؤال لكن ظهر من ملامحه أنه كان يعلم بوجود بحار مصرى على ظهر السفينة.

استغرب تامر من أسئلة محمد المباشرة فى أول لقاء لهما لكنه لم يهتم بالأمر.

لاحظ تامر أن محمدًا يكبره كثيرا فى العمر، قد يكون عمره 45 عامًا، يعنى ضعف تامر. وأخبره محمد أنه عريس جديد .

قال تامر فى نفسه هذا المحمد حديث النعمة ولبس الحذاء على كبر.

يتظاهر محمد بالمعرفة والخبرة والثراء .وفى إحدى الليالى وبعد الانتهاء من العمل حضر محمد لاستراحة البحارة مرتديًا جلبابًا بلديًا فسخر منه البحارة وأطلقوا عليه محمد جلا بية. لم يهتم تامر بهذا كله وكان اهتمامه بأن محمدًا مصري مثله وهذا أهم شئ.

كل هذه الأفكار والذكريات تدور فى ذهن تامر أثناء اختبائه فى الظلام الحالك والبرودة الشديدة انتظارا للفأر لكى يقذفه فى اليم.

وكاد تامر يفقد الأمل فى قدوم الفأر...

وكادت يداه وقدماه تتجمد رغم القفازات والحذاء والملابس الثقيلة التى يرتديها .

تامر لنفسه: قد لا أقدر على تنفيذ مهمتى وأنا فى هذه الحالة... لكن ليلة رأس السنه هى مرة واحدة فى العام .. فعلى الاحتمال وبضعة دقائق وأنفذ الخطة أو أعود لقمرتى الدافئة.

فجأة فُتح باب صالة الطعام وخرج منها شخص يسير وهو يتمتم أو يغنى وقد تعرف عليه تامر من حجمه الصغير وصوته الرفيع إنه الشيف اؤفسر أو الفأر.... إنه قادم لحتفه ابن....

لكنه لا يسير بجانب سياج السفينه إنه يسير بجانب حائط العنابر وبعيدًا عن سياج السفينة بحوالى أربعة امتار.

تامر يتنفس بصعوبة بل تنفسه أصبح فحيحا مدويا أعلى من صوت الأمواج التى ترتطم بقوة بمقدمة السفينة وأعلى من صوت المحركات التى تزمجر وهى تدفع السفينة العملاقة لكى تشق طريقها فى المحيط الساكن المظلم المخيف.

قرر تامر أن ينفذ خطته بعد تعديل بسيط وهو أن يلقى الجوال على الفأر من خلفه ويحمله هذه الأمتار الأربعة ويلقيه من فتحة السياج،فإن الفأر لا يزيد وزنه عن خمسين أو ستين كيلو جرامًا.

تامر متحفز بعد أن فتح الجوال وأمسك به بيديه مستعدا لإلقائه على رأس الفأر من خلفه.

الفأر يقترب ببطئ شديد .

تامر لنفسه : الفأر قادم....قادم... ثمانى خطوات فقط باقية ويكون أمامى وتنتهى هذه الليلة الملعونة.

تسيل دموع تامر دافئة بطئية على وجنتيه.

تامر: هل هذه دموع الفرح أم الخوف أم البرد الشديد ؟ مهما كان نوع هذه الدموع فإن كل شئ سوف ينتهى فى ثوان..

فجأة فُتح باب صالة الطعام الرئيسية.

تجمد تامر فى مكانه.....

(5)

تجمد تامر فى مكانه عند سماع صوت محمد جلابية، وهذا الاسم الذى أطلقه البحارة اليونانيون على محمد محمد سليم وهو ينادى :

كابتن باسيلى ...كابتن باسيلى ... انتظرنى أنا قادم معك...

وقف الفأر يترنح... ثمانى خطوات فقط من مكان لقاء حتفه المحتوم...وقف الفأر فى انتظار محمد جلابية...

فكر تامر بسرعة فى هذا الوضع الجديد...وقرر أنه ليس فى مقدرته تنفيذ خطته هذه المرة مع وجود محمد جلابية.

لكنه قرر أن ينتظر حتى يخلد الفأر إلى النوم ويعود محمد جلابية إلى قمرته فى الجزء الخلفى من السفينة. لكى يضع السلاسل مكانها حتى لا يسقط أحد فى المحيط ثم يعود إلى قمرته الدافئة وغداً يفكر فى خطة جديدة .

طوق محمد جلابية الفأر وكان ثملاً هو الاخر بزراعه اليمنى وسارا سويا يغنيان بلغة عربية مضحكة.

بابورى رايخ ...بابورى جاى .... بابورى خمّل سكر شاى.

بابورى رايخ ....بابورى جاى..... بابورى خمّل سكر شاى.

نعم الفأر يتكلم العربية بطريقة الخواجات، فهو يونانى ولد بمحرم بك بالاسكندرية وعاش بها عيشة الأمراء حتى سن الثانية والعشرين، وكان يعمل مع أبيه الذى كان يملك حصة فى شركة كوتيريلا للسجائر، وبعد التأميمات توفي أبوه بأزمة قلبية حسرة على مدخرات عمره الذى أُخذت منه فى دقائق. وترك الفأر مصر هو وأمه وأخته . وقد عانوا أشد المعاناة فى اليونان بعد أن فقدوا ثروتهم بقرار التأميم. وأصبح كابتن باسيلى يكره مصر وكل ما هو مصرى، ما عدا محمد جلابية فإنه جاسوسه الوحيد على طاقم السفينة من بحارة وميكانيكية وضباط.

أنقذ محمد جلابية الفأر من موت أكيد وهو لا يعلم.

انتظر تامر حوالى ربع ساعة... وكاد يتجمد من شدة البرودة...فهو يرتعش وأسنانه ترتطم فى بعضها البعض، وكانت أصواتها تواكب ارتطام الأمواج فى مقدمة السفينة... بوم...دوش... بوم...دوش. وأسنان تامر تك توك....تك توك.

الخطة فشلت . والجو بارد . والسماء حالكة الظلام تتحد مع مياه المحيط العميقة المظلمة كأنهما جسد واحد لوحش عملاق أسود مخيف .

كل الناس فى السفينة وحول العالم يحتفلون بليلة رأس السنة ما عدا تامر الذى قضى الليلة فى انتظار الفأر وكاد يلقى حتفه متجمداً.

تامر لنفسه متألماً حزيناً كسيف البال : الجيات أكتر من الريحات يا فار الكلب !!!

تأكد تامر أن أحدًا لم يره، وكان الجميع نيامًا أو فى حفل رأس السنة مستمرين فى الرقص والأكل والشرب.

وضع تامر السلاسل مكانها فى فتحة سياج السفينة حتى لا يسقط أحد فى المحيط.

قرر تامر أن يرجع لقمرته مباشرةً ولا يذهب للحفل الساهر.

رجع تامر إلى قمرته فى مؤخرة السفينة لكنه استعمل الجانب الأيمن من السفينة، وسار بحذا العنابر الأربعة بعيدا عن سياج السفينة، وكان يمشى بسرعة قريبا جدا من حائط العنابر يكاد يحتضنها لكى يقى نفسه، من الرياح التى بدأت تقوى والمحملة بالرزاز المالح الشديد البرودة.

تامر لنفسه: كل هذا التخطيط والانتظار فى هذا الصقيع المميت ولم يتم المخطط بسبب محمد جلابية ولو الفأر عرف هذا...

لكن أحدًا لم ولن يعرف شيئًا عن هذه الخطة وهذه الليلة الملعونة.

اقترب تامر لقمرته ... وفجأة قابل كوستا الميكانيكى يخرج من غرفة المحركات التى تدور بهمة ونشاط لا ينقطع.

وحاول تامر أن يتكلم يا... يا... يا... لكنه غير قادر على الكلام، إن وجهه متجمد.

نظر إليه كوستا مستوضحا...

(6)

تجاهل تامر كوستا ودلف إلى قمرته مسرعاً.

تامر يرتعش من شدة البرودة. نظر تامر الى المرآة ليرى وجهه مغطى بمياه البحر المالحة المتجمدة.رغم أنه كان مغطى بياقة المعطف والطاقية الصوف لكن تسربت المياه المالحة خلالهما.

وجهه أبيض مثل الطباشير. تامر لا يستطيع فتح عينه اليمنى، فقد كانت مغطاة بمياه البحر المالحة المتجمدة. وبالكاد يرى بعينه اليسرى الشبه مقفولة.

شعر تامر بالدفء يتسرب تدريجيا إلى جسمه النحيل.

فتح تامر الصنبور على المياه الباردة وبدأ يغسل وجهه وعيناه بقليل من الماء. بلل تامر طرف فوطة بالمياه البارده وأخذ يمسح بها عينيه بحذر حتى لا تدخل المياه المالحة فى عينيه.

بدأ تامر يرى ما حوله فجلس على الكرسى وخلع حذاءه وتحسس قدميه فقد تجمدت مياه البحر التي تسربت إلى حذائه حول أصابع قدميه. خلع تامر الجوارب المتجمدة على قدميه وعند لمسها الأرض شعر كأن نارًا أمسكت بقدميه . رفع تامر قدميه من على الأرض بسرعة تجنبا لهذه الالآم المبرحة. خلع تامر معطفه والقاه على الأرض ووضع قدميه عليه.

خلع تامر ملابسه بسرعة وألقاها بغير انتظام فى كل مكان بالقمرة الصغيرة وأخذ فوطة وذهب إلى الحمام ليستحم بالماء الساخن. المياه كانت شبه ساخنة لكنها محتملة. القمرة تحتوي على سرير ومكتب صغير للكتابة وكرسى ودولاب صغير وحوض ومرآة وكنبة صغيرة، وكل البحارة والميكانيكيين والضباط لهم قمرات مثل قمرة تامر. ما عدا القبطان وكبير الضباط فإن قمرتيهما مزودتان بحمام صغير خاص.

ارتمى تامر على سريره ودخل تحت البطانية وهو يدلك جسمه حتى يعيد الدماء إلى جسمه البارد والمنهك.

وهو يتمتم : سأموت من البرد. سأموت من البرد. آرررررررررر.

راح تامر فى إغماءة طويلة وليس نومًا عميقًا. وكل بضعة دقائق ينتفض ويستيقظ فزعا فكأنه يرى محمد جلابية ومعه الفأر يمسكان بقدميه وذراعيه ويلقانه فى مياه المحيط الباردة.

نعم محمد جلابية قليل الأصل الذى ساعده تامركثيرا وبكل استطاعته.

ويتذكر تامر كيف ساعد محمد جلابية بكل استطاعته.

رايح فين يا تامر ؟

عندى وردية فى غرفة القيادة.

ممكن تعطينى مفتاح قمرتك لسماع أم كلثوم فى جهاز التسجيل ؟

تفضل .

محمد جلابية يكبر تامر بخمسة وعشرين عاما ويكبره كذلك حجما، لكن محمد جلابية دائما يطلب العمل مع تامر لأن تامر يقوم بعمله ومعظم عمل محمد.

كان تامر لا يهتم بهذه الأشياء التى يراها بسيطة ولا تستدعى أن يأخذها على محمد.

رجع تامر مرة إلى قمرته مبكرا من الورديه فوجد محمدًا يقرأ خطاباته التى تأتيه من أهله بالاسكندرية.

لم يهتم تامر بهذا الأمر فإن الخطابات ليس بها أسرار يخاف عليها. لكنه اعتبر هذا عملًا غير محترم من محمد جلابية

وعندما اشترى محمد جلابية جهاز تسجيل جديد طلب منه تامر أن يتفحصه فرفض محمد جلابية.

نظر تامر إلى محمد جلابيه، وتعجب: وفجأه انتبه من هو هذا الشخص؟ فبعد أكثر من ثلاثة شهور من استعمال كابينتي لسماع أم كلثوم وقراءة خطاباتي ومساعدتي له والآن يرفض أن يطلعني على جهاز التسجيل الجديد.

نعم هذا الشخص أنانى وصولى قليل الأصل فهلوى يتكلم ولا يعمل، يأخذ ولا يعطى.

قرر تامر أن يقاطع محمد جلابية.

فجأة استقيظ تامر من إغماءته ووجد نفسه فى سرير نظيف دافئ، فقرأ الفاتحة وراح فى نوم عميق فغدًا راحة، إذ هو أول أيام السنة الجديدة وتامر ليس فى جدول الورديات، فسوف ينام حتى الظهر وبعد أن يستيقظ من النوم سوف يفكر ماذا يفعل مع الفأر .

مرت ثوانى أو ساعات لا يعرفها تامر لكنه استيقظ مذعورًا ووجد أمامه ....

(7)

مرت ثوانى او ساعات لا يعرفها تامر لكنه استيقظ مذعورًا ووجد أمامه الفأر يقف وسط القمرة ينتفض من شدة الغضب ويصرخ فيه :

لماذا لم تحضر إلى وردية القيادة ؟

ليس لى وردية اليوم.

الفأر ينزع الغطاء من على تامر.

يجب عليك القيام الآن والذهاب لغرفة القيادة.

لن أذهب لغرفة القيادة لأننى غير مدرج بجدول الورديات.

لكنى أقول لك يجب أن تذهب للوردية الآن.

إننى لست مسئولًا عن أخطائك فى جدول الورديات ولن أذهب إلى أى مكان.

لم يهتم تامر بالفأر وأدار ظهره، واستمر فى النوم مع استمرار الفأر بالصياح.

وأثناء صياح الفأر حضر أحد البحارة وقال:

كابتن باسيلى لقد حضر البحار المسئول عن الوردية وقد كان متأخرا لبعض الوقت.

فجأة امتنع باسيلى عن الصياح وخرج من كابينة تامر يرتعد حنقاً وذلاً ويجر أذيال الهزيمة.

كان تامر مرهقًا بسبب الليلة الماضية، وغير قادر على العمل بالإضافة إلى أن هذا اليوم عطلة رسمية.

لكن باسيلى شعر بالهزيمة أمام تامر، وسوف يجد بقية البحارة فرصة للسخرية منه بعد هذا الخطأ وقد انتصر عليه تامر.

بعد ساعتين أو اكثر طُرق باب الكابينه بلطف.

ادخل

إنه عامل صالة الطعام وكان شابًا يونانيًا صغيرا كثير الابتسام قليل الكلام.

لقد أحضرت لك طعام الإفطار بما أنك لم تحضر لصالة الطعام هذا الصباح.

شكرا. وهل أحضرته بنفسك؟

لا.. وإنما كابتن باسيلى أمرنى بذلك.

شعر تامر بالخوف وعدم الاطئنان لهذه الخطوة من الفأر. إذ من الممكن أن يضع الفأر بعض السموم فى طعام تامر. وإذا مات تامر مسموما والسفينة فى عرض المحيط لن يهتم أو يعرف أحد بهذا. فإن أهله فى مصر وهو يعمل فى سفينة يونانية متجهة لأمريكا. فإذا تغيب عن أهله لن يعلموا أى شئ عنه إلا بعد شهور أو سنين. أو ربما لن يعلموا عنه أى شئ أبداً.

نظر تامر إلى الطعام ولم يلمسه. وقرر أن يذهب لصالة الطعام فى ميعاد الغداء ويأكل مع بقية البحارة فهذا أسلم له.

تقوس تامر على نفسه فى السرير الدافئ، فإن النوم والراحة بعد تعب البارحة أهم من أى إفطار أو غداء .

وعلى الرغم من صوت المحركات العملاقة فإنه أخلد إلى النوم العميق. فقد كانت ليلة أمس قاسية باردة، ومازال جسمه النحيل يرتعد من جراء تلك الليلة المرعبة.

استيقظ تامر قبل الواحدة بقليل، وذهب لصالة الطعام الرئيسة لتناول طعام الغداء، وجد تامر صالة الطعام شبه خالية إلا من بعض البحارة والميكانيكيين المسؤلين عن الورديات أثناء العطلة الرسمية . فقد كان معظم البحارة والضباط نيامًا بعد ليلة امس الصاخبة بالموسيقى والرقص والخمور . وقد كان تامر يحب العمل فى هذه العطلات لأن أجرها مضاعف، لكن اسمه لم يدرج فى الجدول للعمل هذه المرة.

توجه تامر بالحديث للحضور : عام سعيد للجميع.

عام سعيد تامر.

تناول تامر طعام الغداء وهو صامت لكنه يفكر لماذا ينظر إليه الحضور ضاحكين أو مبتسمين ؟

بعد الغداء ذهب الجميع لصالة التدخين ومعهم تامر.

تامر : لماذا كل هذا الضحك والغمز واللمز؟

لم يجاوبوا على سؤاله وإنما استمروا فى الضحك.

أحد البحارة ضاحكا وقد أمسك بذراع تامر: لقد عرف الجميع ماذا حدث هذا الصباح بينك وبين كابتن باسيلى الذى أصبح أضحوكة العام الجديد.

تامر يعرف أن الفأر مكروه من معظم البحارة.

إننى لم أخطئ بل هو المخطئ.... قال تامر مستطردا

إننا نعرف هذا ولذلك فإننا فخورون بك لتمسكك بحقك.

كابتن باسيلى يعتقد أنه فى سفينة حربية يونانية فيأمر ويطاع، وإنما هذه سفينة تجارية وتتبع قانون البحار الدولى .

توجه بحار آخر لتامر بالحديث وقال له : عليك ترك هذه السفينة فإن كابتن باسيلى مريض نفسيا، وأصبح العمل معه صعبًا وخطيرًا جدا. لذلك سوف أعود أنا إلى اليونان لبضعة شهور، وسوف أبحث عن سفينة أخرى للعمل عليها وأنصحك أن تفعل مثلى.

(8)

رجع تامر إلى قمرته مهموما وجلس على كرسيه وهو يفكر فى نصيحة البحار اليونانى.

هل يترك عمله فى هذه السفينة بسبب الفأر ؟

لن تسمح له الشركة بالعودة إلى اليونان إذا ترك عمله بالسفينة، فسوف يرجع إلى مصر مباشرة. ومن مصر عليه الحصول على تأشيرة جديدة لليونان والذهاب إلى بيرية للبحث عن سفينة أخرى لكى يعمل عليها، وهذا كله يأخذ وقتًا ومصاريف كبيرة بالنسبة له، وأن حالته غير حالة البحار اليونانى. فقرر أن يصبر على الفأر وتذكر مثل أمه الذى يقول :

اصبر على الجار السو ..يا يرحل.. أو تجيله مصيبة تاخده !!!

لقد أمضى عامًا فى العمل على هذه السفينة ويحتاج عامًا آخر فقط ليجمع مبلغًا ويعود إلى مصر، ويشترى سيارة أجرة يعمل عليها بالاضافة إلى وظيفته الحكومية المتواضعة. وهذا كل أمله من هذه الرحلة الخطيرة.

كانت الخطة تسير بنجاح حتى التحق بالعمل على السفينة محمد جلابية، قليل الأصل، والفأر المريض.

فعندما عانى محمد جلابية من شراسة كابتن باسيلى، ولكى يتقى شره قرر أن يكون جاسوسا له على البحارة، وبالذات على تامر ابن وطنه الذى ساعده كثيرا.

لكن تامرًا كان يعرف أنه فى وضع أحسن من محمد جلابية، فهو صغير السن وله وظيفة فى مصر، وحاصل على الثانوية العامة. حتى لو ترك السفينة الآن فإن شاء الله سوف يعوض صبره خير من أجل أمه وإخوته البنات. فقد توفى أبوه في الأسبوع الذي ظهر فيه نتيجة التنسيق، وتم قبول تامر بكلية علوم الاسكندرية. لكنه سحب أوراقه وانتسب لتجارة الاسكندرية، والتحق بالعمل فى وزارة حكومية بمساعدة بعض الأقارب، وتحمل المسئولية بمساعدة أمه فى تربية أخواته البنات الثلاثة، فقد أصبح رجل البيت

كما تقول أمه. لكن بعد مرور عامين على هذه الأحداث وجد تامر أن دخله بالإضافة إلى معاش أبيه لا يكفى حاجة الأسرة، هذا بالإضافة إلى أنه غير قادر على تكوين نفسه لكى يبدأ حياة خاصة به، فقرر السفر إلى اليونان ويجرب حظه كبحار فى البواخر اليونانية كما فعل صديقه ممدوح.

أخرج تامر رسائل أسرته ليعيد قراءتها فهو لا يملك أى كتب أو جرائد عربية لقراءتها . وكان من الصعب الحصول على الجرائد العربية فى الموانى التى يذهبون إليها . فكان تامر يقرأ خطابات أسرته، إذْ هي الشئ الوحيد الذى يعينه على مشقة الغربة والعمل فى هذه السفينة العملاقة.

هذا خطاب من أمه تقول فيه : أختك جالها عريس لكننا رفضناه على أساس أنها لا زالت فى الثانوية.

وخطاب ثانٍ من أخواته البنات يطلبن مصاريف للدروس الخصوصية.

وكان تامر يرسل إليهن ما يطلبنه كلما أتاحت له الظرف عن طيب خاطر وحب وإحساس بالمسؤلية نحوهن.

والغريب والعجيب أن ظروف تامر وظروف كابتن باسيلى متشابهة .فإن كابتن باسيلى مسؤل عن أمه وأخته بعد وفاة أبيه وفقدان ثروته فى مصر بسبب التأميمات. وإن كابتن باسيلى عليه أن يجمع مالًا كثيرًا لكى يعطيه لعريس أخته المنتظر كدوطة، فإن البنت فى اليونان يأتيها العريس حسب حجم الدوطة التى أعدها لها أبواها. لكن باسيلى كان يطمع فى كثير من المال حتى يصاهر عريسًا له اسم ومكانة اجتماعية، وأنه غير قادر على الاعتراف أنه فقد ثروة أبيه، ولهذا هو مريض نفسيا يكره كل ما حوله وبالذات مصر والمصريين.

ذهب تامر لتناول طعام العشاء لكنه وجد البحارة اليونانيين مجتمعين على محمد جلابية وهو يصرخ بالسباب والشتائم؟؟

(9)

كان الصراع الذى أشعله محمد جلابية مع تامر على أشده يذكيه الفأر بخبث ودالة، وقد أضاف إليه محمد جلابية من عنده أساليب كثيرة من الخداع والكذب والنميمة حتى يتقى شراسة كابتن باسيلى. فكان من بعض أساليبه أن يهزأ من حداثة سن تامر وقلة خبرته فى الحياة، ويتهمه دائما بعدم معرفته بعمله والحقيقة هي العكس، فإن تامرًا كان سريع التعلم وساعده صغر سنه وثقافته وسعة اطلاعه للإلمام بأشياء كثيرة لم يستطع محمد جلابية استيعابها. وكان تامر بالتالى يسخر من جهل محمد جلابية وغبائه وضحالة معلوماته وكبر كرشه وتقدم سنه.

وفى إحدى الليالى ذهب تامر لصالة طعام البحارة ليتناول طعام العشاء بعد يوم عمل شاق. فوجد محمد جلابية يصرخ ويسب وقد التف حوله مجموعة من البحارة اليونانيين يضحكون مستفسرين!

لم يمنع تامرًا فضوله من النظر فوق أكتاف البحارة ليرى ماذا حدث لمحمد جلابية.

محمد جلابية ممسك بصورتين الاولى له وعروسه وهما يرتديان ملابس الزفاف وتظهر عروسه أصغر منه سناً وحجماً. والصورة الثانية لزوجته وحدها وقد أصبحت أكبر منه سنًا وحجماً.

أحد البحارة : لقد أرسلت لها نقودًا كثيرة فاشترت بها جميعا طعامًا ولذلك انتفخت وأصبحت بلونه.

محمد جلابية ثائرا : لا لا لقد طلبت منها أن تأخذ بالها من وزنها لأن أمها سمينة.

بحار آخر : لا ترسل إليها نقودًا فتتضور جوعا وتفقد سمنتها...ها ...ها

بحار ثالث : أنت نفسك سمين ...فلماذا هى لا تكون سمينة ؟

محمد جلابية : أنا سوف أخسس نفسى.

بحار : لا تلومها فهى توفر لك مالا كثيرا، فأنتم المسلمون مسموح لكم بأربعة زوجات .فلديك زوجة بأربعة وعليك أن تشكرها لذلك.ها..ها.

بحار: محتمل جدا أن زوجتك لم تعرف أن تقرأ خطاباتك، وماذا تريد منها فعليك أن تستعين بتامر ليكتب لك خطابًا. ها ..ها..

انتبه محمد جلابية لوجود تامر فغادر صالة الطعام فورا وهو غاضب مع ضحك الجميع بما فيهم تامر.

كان يوما مشمساً جميلا والسماء زرقاء صافية ومياه البحر صافية وأمواجها رقيقة هادئة ترتطم بجسم السفينة العملاقة بحنان كأنها أم حنون تربت على ظهر طفلتها الصغيرة بلطف ومحبة. ومحركات السفينة العملاقة تزمجر فى مياه المحيط الساكنة. تحسها على إفساح الطريق.

ملأ تامر رئتيه بنفس عميق بهذا الهواء النقى المنعش، فغداً سوف تصل السفينة إلى ميناء فيلادلفيا الأمريكية، وأخيرا سوف يرى أناسًا غير البحارة الذين مل صحبتهم، ومبانى وشوارع غير المياه والسماء الذى ظل لا يرى غيرهما لمدة أربعة وعشرين يوما.

رئيس البحارة : محمد، عليك بطلاء العمود الأيمن بعد غرفة القيادة.

وتوجه بالحديث لتامر: عليك بطلاء العمود الأيسر.

ذهب تامر فوجد محمد جلابية متسلق العمود الأيسر وبدأ فى العمل. لم يهتم تامر، وتسلق العمود الأيمن وبدأ فى الطلاء. فإن عمل البحارة هو قيادة السفينة مع الضباط أثناء النوبة.

والنوبة تتكون من ضابط وبحار أو اثنين ومعهم القبطان يقومون بقيادة السفينة .

أما بقية البحارة فإذا لم يكن لديهم نوبة قيادة فإنهم يقومون بطلاء أجزاء السفينة التى طالها الصدأ بفعل مياه البحر. فالطلاءعمل أساسى للبحارة، لأن مياه البحر تزيد من صدأ السفينة الذى يأكل جسمها الحديدى ويقصر من عمرها.

رأى تامر الفأر يجرى مسعوراً صائحاً صارخاً.

تامر لنفسه : ياصباح يا كريم...يا فتاح يا عليم... ربنا يتوب علينا من هذا الهم والنكد الصباحى والمسائى !!

الفأر يصرخ : محمد ...محمد ...ماذا تفعل ؟

تامر لنفسه فى حبور : ليس أنا هذه المرة.

(10)

كابتن باسيلى يصرخ....

محمد . ماذا تفعل عندك ؟

محمد جلابية جالساً على السقالة الخشبية المربوطة بالحبال فى أعلى العامود الحديدى بطول رأسى عشرون مترا تقريبا : إننى أطلى العامود الأيمن كما قال لى رئيس البحارة .

الفأر : هذا ليس العامود الأيمن إنه العامود الأيسر.

محمد جلابية اكتشف أنه أخطأ فقال كاذبا : لقد وجدت تامرًا متسلقًا العامود الأيمن فتسلقت أنا العامود الأيسر.

أحد البحارة : لا تكذب يا محمد فقد حضرت أنت إلى هنا أولاً وتسلقت هذا العامود قبل أن يأتى تامر.

اكتسى وجه محمد جلابية خوفاً ، وعرف أنه فى مكان خطير فى وقت غير مناسب وربما يسقط على أرض السفينة الحديدية وتتكسر عظامه، أو يقتل فجمد فى مكانه وهو يرتعش .

الفأر : لا تتحرك يا محمد.

حضر رئيس البحارة ومعه بحاران آخران يحملان أحبالًا سميكة، وخطاطيف حديدية وتسلقوا السلالم الصغيرة التى بالعامود حتى الكوبري الصغير الذى يصل بين العامودين. وربطوا محمد جلابية جيدا حتى لا يسقط من على السقالة .وربطوا الأحبال فى الكوبري الحديدى الصغير بين العامودين. وأدلوا بمحمد جلابية مثل الدلو حتى وصل إلى أرض السفينة تقريباً لكن محمد جلابية قفز فجأة إلى الارض صارخا:

الحقونى.. رجلى اتكسرت.

جلس محمد جلابية على الأرض يبكى مثل الأطفال ويـتألم بسبب قدمه التى يدّعى أنها كُسرت والجميع ينظر إليه ضاحكاً متعجباً.

ذهب محمد جلابية إلى قمرته بمساعدة البحارة وهم يتهمونه بالتمثيل والتمارض.

رئيس البحارة: تامر عليك بدهان العامود الأيسر بعد انتهائك من العامود الأيمن.

تامر اختبر الحبال فى العامود الأيسر فوجد أن أحدها به قطع صغير لا يُرى من النظرة الاولى .

تامر لنفسه: هذه الحبال والسقالة كافية لكى أسقط أنا من ارتفاع عشرين مترا . لقد حفظني الله من أجل أمى وأخواتى. أحمدك وأشكرك يارب.

استبدل تامر الحبل المقطوع واستمر فى العمل.

وفجأة ظهر فى الأفق البعيد.....

(11)

وفجأة ظهر فى الأفق خط دقيق يميل إلى اللون الأخضر إنه ساحل القارة الأمريكية.

تامر يدق قلبه بالفرح والسعادة فغداً سوف تصل السفينة إلى فيلادلفيا وتصل الخطابات من مصر من الأهل والأحبة . ولم يشعر تامر بهذا الحب الفياض نحو وطنه مصر وأهله إلا فى الغربة وشعوره الموحش القاسى بالوحدة، وأنه سجين لغته وجنسه وعمله فى السفينة، والذى يراه ليل نهار هو السماء والبحر . ورغم أنه تغلب على عامل اللغة لكنه سوف يظل غريبا فى أى مكان يذهب إليه بعيدا عن أهله ومصر المحروسة.

قرر تامر أن يخلد إلى النوم بعد العشاء مباشرة حتى يستقيظ مبكراً ويرى ميناء فيلادلفيا قبل شروق الشمس.

استيقظ تامر حوالى الرابعة صباحاً . ارتدى ملابس العمل وعليها الجاكيت الوحيد الذى يملكه وهو ثقيل إلى حد ما كى يحميه من برودة هذا الصباح.

ذهب تامر إلى صالة الطعام ووجد بعض البحارة يشربون القهوة وقد استيقظوا مبكرين لنفس الغرض، وهو رؤية الساحل الأمريكى.

تامر صنع لنفسه فنجان قهوة كبيرًا بعد أن أضاف إليه بعض الحليب. فإن ميعاد الإفطار هو الساعة الثامنة صباحاً.

خرج تامر مع البحارة الآخرين وكل منهم يمسك بقهوته .

تامر: إنه منظر رائع خلاب.

كان هواء قليل البرودة يلفح وجه تامر وهو منتعش وسعيد برؤية هذا المنظر البديع.

كان الليل حالكاً ومياه المحيط سوداء مثل السماء، والسواحل بعيدة يتخللها أشرطة من أنوار الشوارع وأنوار بعض المبانى العملاقه كأنها نجوم تزين السماء المظلمة .

وتقترب السفينة من الميناء بتؤدة شيئاً فشيئاً.

رأى تامر مع الآخرين كشافات السيارت المسرعة فى اتجاهات مختلفة من الميناء، آحد البحارة : هولاء لديهم عمل مبكر ربما يكونوا فى انتظارنا.

رئيس البحارة : سوف نتناول طعام الإفطار مبكراً، فعلينا أن نكون على سطح السفينة قبل الثامنة صباحاً.

وأضاف : أنا وتامر وثلاثة بحارة آخرين وكابتن باسيلى سوف نذهب للمقدمة. وبحاران سوف يتوليان سلم الرصيف فى وسط السفينة الأيمن . وأربعة بحارة آخرون مع الضابط الثانى سوف يكونوا فى المؤخرة.

أحد البحارة مستفسرا : أين محمد جلابية ؟

رئيس البحارة متهكما غاضباً: محمد جلابية ذاهب للمستشفى عند وصولنا الميناء.

وأضاف : محمد جلابية دائما مريض عند حاجة العمل إليه، فله مهمة عمل أخرى يعرفها كابتن باسيلى.

بقية البحارة يضحكون.

بحار آخر هامسا: سوف أفعل هذا فى الميناء القادم .

(12)

عند اقتراب السفينة من الميناء حضر لنش صغير عليه قبطان الميناء الذى صعد إلى غرفة القيادة لكى يتولى قيادة السفينة داخل الميناء.

حضر ثلاث لنشات كبيرة قوية والتصقت بجانب السفينة الأيسر بمسافات متساوية تقريبا .

السفينة أوقفت محركاتها العملاقة. وأخذت اللنشات القوية فى دفع السفينة من الجانب الأيسر حتى وصلت السفينة إلى الرصيف من جهة جانبها الأيمن.

ألقى البحارة فى المقدمة والمؤخرة الحبال السميكة إلى رصيف الميناء، التقط عمال الرصيف الحبال وربطوا السفينة برصيف الميناء.

نظر تامر إلى رصيف الميناء ورأى سيارة إسعاف وضابط بوليس وبضعة أشخاص آخرين.

أول شخص تسلق سلم السفينة الأيمن كان ضابط البوليس الذى دخل إلى مكتب القبطان.

تامر يدق قلبه خوفا من أنه البوليس الذى هدد الفأر بتسليمه له عندما تشاجر مع أحد البحارة .

لكن تامرًا عرف من البحارة الآخرين أن البوليس الأمريكى ليس له سلطة فى السفينة اليونانية، وأن كابتن باسيلى قال ذلك لكى يرهب تامرًا.

وعرف تامرًا أن هذا ضابط الجوزات الذى يحصر عدد الموجودين على السفينة ومراجعة جوازاتهم. وكان الضابط يستقبل كل بحار منفردا وجهًا لوجه، لكى يعطى له تأشيرة مؤقته لزيارة الميناء وما حوله.

ذهب ضابط الجوازات لقمرة محمد جلابية .

محمد جلابية يصرخ ويبكى من الألم فأعطاه الضابط تأشيرة مؤقته.

وقف البحارة والميكانيكيون صفًا أمام مكتب القبطان لاستلام التأشيرة من ضابط الجوزات.

طلب عمال الإسعاف من القبطان المساعدة من بعض البحارة لحمل محمد جلابية حتى سيارتهم.

القبطان صائحا : أربعة بحارة من الذين حصلوا على التأشيرة عليهم مساعدة عمال الاسعاف.

ذهب أربعة بحارة إلى قمرة محمد جلابية للمساعدة وكان تامر واحدًا منهم.

تامر : سلامتك يا محمد إن شاء الله ترجع لنا بالسلامة.

محمد جلابية وقد فاجأه وجود تامر مع البحارة الذين سوف يحملونه للإسعاف. نظر محمد جلابية إلى تامر ولم يقل شيئا وكأنه يفكر ماذا يقول.

لاحظ تامر أن ملابس وجيوب محمد جلابية منتفخة.

وقد كانت المهمة صعبة جداً على البحارة وعمال الإسعاف أن يحملوا محمد جلابية ضخم الجثة من قمرته إلى سلم السفينة الضيق إلى رصيف الميناء إلى سيارة الإسعاف، ومحمد جلابية يصرخ من الألم .

أحد البحارة لمحمد جلابية : كفاية تمثيل ... بقية البحارة يضحكون وتامر يفكر فى كلام البحارة وصراخ وبكاء محمد جلابية.

وعندما استقر محمد جلابية داخل سيارة الإسعاف ولم يبق إلا تامر معه

نظرمحمد جلابية حوله وامتنع عن البكاء والتألم فجأة وأمسك بيد تامر وقال له.

اسمع يا تامر...

(13)

اسمع يا تامر، سيب المركب دى وابحث عن مركب تانية للعمل عليها.

واستطرد محمد جلابية قائلاً : حتموت قتيل أو تروح فى داهية لو فضلت على المركب دي.

سمع تامر صوت محرك سيارة الإسعاف يعمل فترك محمد جلابية على الفور، وذهبت سيارة الاسعاف وهى تولول بحملها الثمين وتطلق صفاراتها تنذر السيارات الأخرى لكى تفسح لها الطريق.

بقية البحارة ينظرون إلى موكب الإسعاف المدوى وهم يضحكون ويتندرون على محمد جلابية الذى هرب من العمل أمام الجميع ورغماً عن الجميع، وفى زفة اسكندرانى. ولسانه حاله يقول للجميع: موتوا بغيظكم واشربوا من المحيط الأطلنطى.

تامر يفكر فى كلام محمد جلابية وهو مرعوب ماذا يعنى أنك حتموت قتيل أو تروح فى داهية ؟

تامر محتاج 12 شهرًا آخرين كى يتمكن من شراء السيارة الأجرة التى يمنى نفسه بها.

ممكن عشرة شهور أخرى فقط : تامر لنفسه.

هل محمد جلابية يعرف أشياء عن السفينة خافية عن تامر ؟

تامر لنفسه : مهما كانت المخاطر فى هذه السفينة فإنى لن أتركها قبل عشرة شهور، والله معى من أجل أمى وأخواتي .

أنابيب ضخمة تدلّت من صوامع الغلال فى عنابر السفينة العميقة تضخ فيها الغلال بهمة ونشاط.

فى نهاية يوم العمل الثانى فى ميناء فيلادلفيا ذهب تامر إلى صالة الطعام ليتناول العشاء.

تامر يأكل صامتا

أحد البحارة لتامر : وحشك محمد جلابية ؟

لم يجاوب تامر، إنه يفكر فى كلام محمد جلابية المخيف والمرعب.

بحار آخر : لن يعود محمد جلابية للسفينة مرة اخرى . لقد ذهبت لقمرته ووجدتها خالية تماماً من كل أغراضه .

استنتج تامر انتفاخ ملابس وجيوب محمد جلابية. فالواضح أنه اخذ كل ما يملكه فى جيوبه وهى قليلة وارتدى كل ملابسه فى طبقات الواحدة على الاخرى.

بحار ثالث : محمد جلابية هرب من العمل فى السفينة وهرب من زوجاته الأربعة، ولو أنا مكانه كنت فعلت ذلك .

دخل مانولى البحار العملاق وهو يهمس للجميع : عندى خبر لكم بمليون دولار

(14)

دخل مانولى إلى استراحة البحارة بعد انتهائه من نوبة المراقبة وهو يهمس للجميع : عندى خبر لكم بمليون دولار.

تامر والبحارة الآخرون يتطلعون الى مانولى بشغف لمعرفة الخبر الثمين.

لم ينتظر مانولى لإجابة البحارة بل استطرد بفرح وسرور بالخبر: لقد اتصل وكيل الشركة بفيلادلفيا بالقبطان وأبلغه أن محمد جلابية هرب من المستشفى بعد الكشف عليه وقرر الطبيب أنه ليس به أى شئ يستحق العلاج، وأنه فى صحة جيدة بل إنه يتمارض وعليه الرجوع للسفينة فى الحال.

واستطرد مانولى ضاحكا : والآن محمد جلابية فى أمريكا طليقا هارباً من السفينة ومن البلونه زوجته.

مانولى : وخبر آخر يساوى أكتر من مليون دولار .

تامر ساخرا : مليون واحد لكل أخبارك !.

مانولى ضاحكاً : محمد جلابية اقترض من كابتن باسيلى 500 دولار لكى يرسلها لزوجته الحامل . والآن باسيلى يلطم وجهه ويستغرب كيف أن محمد جلابية استغفله بعد أن بكى شر البكاء، وأقسم بأن زوجته حامل ومحتاجه عملية . والآن محمد جلابية فى خبركان.

تامر فى نفسه : ومن أعمالكم سلط عليكم.

معظم البحارة فى انتعاش عند سماع هذه الأخبار السعيدة شماته فى كابتن باسيلى المعقد المفترى.

وأما تامر فإنه يفكر فى محمد جلابية وكلامه وكيف تمكن من استغفال الفأر !!

وماذا يعرف من أشياء خطيرةعن السفينة لا يعرفها تامر ؟

تامر فى حيرة من أمره وماذا يفعل ؟ لقد عقد العزم على أن يستمر فى العمل على السفينة لعشرة شهور بدلًا من عام كامل .

لكن كلام محمد جلابية جعله يعيش فى قلق وخوف من السفينة ومن الفأر.

- سامحك الله يامحمد، أنت مشاكل فى وجودك وفى غيابك...تامر فى نفسه.

اتجه الجميع لصالة الطعام لتناول الإفطار وكان كالعادة كورن فلكس بالحليب وبيض مقلى وتوست وزبدة ومربى وقهوة. وكان تامر يحب الكورن فلكس الذى يأتى مسكّر فى علب ملونه صغيرة ومعه لعب أطفال صغيرة الحجم جدا، وكان يجمع هذه اللعب البلاستيكية الصغيرة للاحتفاظ بها لأخواته الصغار. ومع أن الإفطار على السفينة أفضل من الإفطار الذى كانت تعده أمه له المكون من الفول المدمس فى المنزل وبيض الفراخ من سطح المنزل أيضاً والجبنة القريش، لكن تامرًا كان يفضله بما إنه بين أخواته ومع أمه.

فى نهاية يوم عمل شاق قرر تامر أن يخرج مع بعض البحارة زملائه لرؤية المدينة والتنزه بها.

تامر ومانولى وكوستا استقلوا تاكسى إلى وسط المدينة وارتادوا عدة حانات ليلية حتى شعر الجميع بالإرهاق، وقد شرب مانولى وكوستا بما فيه الكفاية من البيرة والخمور، وتامر يشرب كولا أو عصير برتقال مع ضحك وسخرية الجميع.

وكانت نزهة البحارة المفضلة وتقريبا الوحيدة هى ارتياد الحانات الليلية وبيوت الدعارة.

وفجأة اختفى كوستا ومانولى من جانب تامر الذى كان يجلس على البار معهما يحتسى عصير برتقال. وأتت فتاة شقراء جميلة مثل ممثلات السينما الأمريكية، لكنها صغيرة السن طويلة القامة ممشوقة البنية ذات نهدين مدببين كأنهما مدفعان على أهبة الاستعداد للانطلاق على أى أحد يعترضهما، وعيون زرقاء وشعر أحمر ملامحها رائعة هادئة مبتسمة، ووقفت بجانبه الأيسر والتصقت به، ووضعت يدها اليمنى على ركبته اليسرى.

الفتاة الشقراء الجميلة : اسمك ايه ؟

تامر وقد سرت السخونة بجسده وقال بارتباك : تامر

الفتاة بلهجة دلع أنثوى وإغراء : اسمى كالى. هل يمكن أن تشترى لى مشروبًا؟

(15)

التصقت الحسناء الشقراء بجانب تامر الأيسر، ووضعت يدها الرقيقة الجميلة على ركبته اليسرى وسحبتها على فخده إلى أعلى الركبه ببطئ وحنان وقالت بإغراء وأنوثة طاغية : عزيزى تامر هل يمكن أن تشترى لى مشروبًا ثانيًا ؟

تامر مرتبك ومتردد لكنه لبى رغبتها على مضض.

وقد أصبح تامر فى حالة يرثى لها من السخونه والحيرة، وبدأ العرق البارد يتصبب على وجهه، وفى كل أنحاء جسده، فهو يعرف ماذا تريد هذه الشيطانة الجميلة، فإنها

تريده الذهاب معها إلى موتيل لكى يقضى معها ليلة حمراء مقابل مبلغ كبير من المال، وهذا ليس فى خطته أو حساباته.

ومازالت الحسناء الشقراء تسحب يدها على ركبة تامر من أسفل إلى أعلى فى حركة بطيئة جنسية مغرية مصحوبة بأنوثة فوارة.

ابتعد تامر قليلاً عنها لكنها سحبته فجأة من يده وهو يتبعها شبه معترضاً لكنه فى الوقت نفسه سعيد بصحبة هذه الحسناء.

أجلسته الحسناء فى مكان مظلم من البار وجلست على ركبتيه وأحاطت عنقه بكلتا ذراعيها الرقيقتين النحيلتين .

وبدون أن يدرى تامر ماذا يفعل، أحاط خصرها النحيل بذراعيه، وضم جسدها إلى جسده بقوة وقبلها قبلة طويلة وضع فيها كل الحب و الأشواق والحنين إلى وطنه وأهله وأصدقائه الذين يفتقدهم ليل نهار.

فى منتصف اليوم التالى شهد البحارة تاكسى يحضر تامر ومانولى وكوستا إلى سلم السفينه. صعد الثلاثة على سلم السفينة بصحبة صراخ ولعنات كابتن باسيلى. مع عدم اهتمام الفريق الثلاثى المتأخر عن العمل.

ولأول مرة لم يغضب تامر من الفأر بل على العكس فإنه مسرور أنه فعل شيئًا يستحق غضب الفأر.

ذهب تامر إلى قمرته واستبدل ملابس النزهة بملابس العمل وأكمل اليوم عملا مع زملائه البحارة.

كان تامر يعمل وهو سعيد ولكنه كان يحسب كم أنفق من الدولارات في هذه الليلة التى لن ينساها ؟

اكتشف تامر أنه أنفق مبلغاً كبيراً جدًا فى تلك الليلة الحمراء لكنه قرر أن يتذكر جمالها وليس ثمنها.

بعد انتهاء يوم العمل ذهب تامر مع بقية البحارة لتناول طعام العشاء.

مجموعة من البحارة ملتفون على الحائط الأيمن من صالة الطعام يقرأون خطابًا مثبتًا بلوحة التعليمات.

مانولى موجه كلامه لتامر : كابتن باسيلى موجه خطاب شكر لك .

تامر منزعجًا مستفسرا : لا أصدق هذا ؟!!!

(16)

وجد تامر مجموعة من البحارة ملتفين على لائحة التعليمات. وعندما اقترب منهم افسحوا له مكانًا لكى يقرأ خطاب الفأر الذى كان موجهًا للثلاثى المتأخر عن العمل، والخطاب موقع من كابتن السفينة ليونيدس بمجازات المتأخرين خمسة عشر جنيهًا استرلينيًا لكل منهم واعتبر الجميع أن هذا جزاء فادح للتأخير عن العمل ثلاث ساعات.

حزن تامر لهذا العقاب القاسى والمبالغ فيه وشاركه الرأي معظم البحارة. والجميع اتفقوا على أن هذا العقاب وراءه كابتن باسيلى المعقد نفسيا بسبب ضآلة حجمه وسرسعة صوته.

بعد العشاء ذهب تامر إلى قمرته وألقى بنفسه على السرير، وأخلد إلى النوم وهو مرهق . لكن بعد دقائق طرق الباب وأطل منه مانولي يسأل تامرًا إذا كان يريد الذهاب معه والآخرين إلى الديسكو؟

رفض تامر واستمر فى النوم .

استيقظ تامرحوالى الثامنه مساء فذهب إلى استراحة البحارة ووجد بعضهم يحتسون القهوة ويتسامرون.

تامر صنع لنفسه فنجان قهوة تركى، لكن اليونانيين يسمونها قهوة جريكى ويغضبون جدا من كلمة قهوة تركى، لأن هذا يذكرهم بخمسمائة عام من الاحتلال العثماني كما يزعمون.

تامر يحتسى القهوة وهو يفكر.

أحد البحارة يسأل تامرًا وقد كان أكبر سناً وخبرة : هل قضيت ليلة جيدة بالأمس ؟

تامر مبتسماً : نعم فقد كانت ليلة لن أنساها ولن أنسى ثمنها كذلك.

الجميع ضاحكون.

كلنا حدث معنا هذا، المهم أن تعمل بجدية لتعويض خسارتك .

وأخذ البحارة يتسامرون بسرور بما فعله محمد جلابية فى كابتن باسيلى ويعتبرونه تصفية حساب لهم جميعا معه.

وكذلك يؤكدون أن من أهم أسباب هروب محمد جلابية هو البالونة زوجته التى من المحال أن تعثر عليه فى القارة الأمريكية.

تامر : فعِل محمد جلابية نصب وخسة، ورغم أنى لا أحب كابتن باسيلى لكنى لن أفعل هذا أبداً .

بحار يسأل تامرًا : هل سوف تخرج غدا بعد العمل ؟

تامر : لقد صرفت دولارات بما فيه الكفاية ولن أخرج مرة أخرى، وإننى أعرف أننا سوف نبحر فى خلال أيام إلى المكسيك وهناك ممكن أخرج لأن أسعارها أرخص من أمريكا.

تامر : تصبحوا على خير جميعا

بقية البحارة : تصبح على خير.

دلف تامر إلى قمرته واستلقى على سريره وهو يحسب كم صرف ليلة أمس بالإضافة إلى 15 جنيهًا إسترلينيًا جزاء التأخير.

لكنه كان سعيداً بسبب تلك الليلة الجميلة، وكم كانت (كالى) وهو اسم الشقراء رقيقة حنونة ملساء بيضاء ذات عيون زرقاء، وقرر أن يفكر فى المصاريف الباهظة فى الصباح.

وكان تامر يستعد للنوم عندما طرق أحدهم باب قمرته.

(17)

تامر : ادخل

دخل مانولى ومعه كوستا . مانولى بحار عملاق ذو شعر ذهبى ناعم طويل يصل لكتفيه، أما كوستا الميكانيكى فقد كان قصيرًا وشعره أسود قصير، وكان يطلق شاربه الأسود طويلاً ليستعيض به عن قصر قامته. دلف الثنائى السعيد إلى قمرة تامر ليزفونه بالخبر الخطير، وهو أن كالى الجميلة تسأل عنه بكل الحب والشوق واللهفة.

تامر: إنها لا تحبنى بل تحب نقودى وأنا لست على استعداد أن أصرف عليها دولارًا واحدًا بعد الذى أخذته منى.

مانولى : لكنها تسأل عنك بشغف.

كوستا: من كلامها استشف أنها لا تريد مزيدًا من الدولارات.

تامر : لا أصدق هذا، والآن عليكم مغادرة القمرة لأنى أريد النوم استعداداً للعمل غدا... تصبحوا على خير.

غادرمانولى وكوستا قمرة تامر آسفين، لأن تامرًا لم يصدق ما قالوه عن كالى الجميلة.

مرة أخرى رجع تامر إلى ذكريات الليلة الماضية، وتذكر كم كانت ليلة جميلة بعد العناء والوحدة للأيام الطويلة فى المحيط بين السماء والماء، والأيام التى تمر بطيئة أثناء رحلاته بالسفينة والذى يراه كل يوم هو مثل الذى سابقه أو الذى يليه، العمل ثم الأكل ثم النوم أو مشاهدة مياه المحيط التى لا نهاية لها، والسماء التى تطبق عليها كأنهما قطعة واحدة من الظلام المخيف بالليل أو الزرقة البديعة بالنهار، ورغم جمال هذا المشهد لكن تامرًا والبحارة كانوا يسأمون منه وينتظرون وصولهم ورؤيتهم أى مدينه فى أى مكان. فإن العمل على سفينة عابرة محيطات يونانية ليس سهلًا، فهو بالنسبة لتامر غربة مضاعفة، ووحدة متناهية، فإنه غريب عن بلده وأهله ولغته فى وسط محيط ليس له أول ولا آخر.

فى الليلة التالية طرق باب قمرة تامر بعجلة وطرقات سريعة متتالية أزعجت تامرًا.

تامر: ادخل

دخل مانولى الطويل و كوستا القصير وهما يطيران من الفرح والسعادة وقالا : تامر عندنا مفاجأة لك بمليون دولار.

تامر: لا أريد منكم أي مفاجآت فأنتما سكرانان، اتركاني فى حالى.

كوستا يضع أصابعه فى فمه ويطلق صفارة طويلة خليعة.

مانولى : سوف تصدق حالا أننا نحبك ونريد مصلحتك، وفتحا باب القمرة على مصراعيه.

نظر تامر إلى الباب وقال: هذه ليست مصلحتى وأنتما من أصدقاء السوء.

خرج الثنائى المشاغب وهما يضحكان ونظر تامر إلى المفاجأة السعيدة وقد بهت وجهه وتحشرجت الكلمات فى فمه.

(18)

المفاجأة التى وعد بها الثنائى السكير، والتى تساوى مليون دولار هى أنهما أحضرا كالى إلى قمرة تامر.

خرج مانولي وكوستا من قمرة تامر وهما يضحكان من السعادة والشماتة معا معتقدان أنهما عملا عملاً جليلاً لتامر صديقهما.

دخلت كالى قمرة تامر وعلى شفتيها ابتسامة عريضة فى عرض الأطلنطى، وأغلقت الباب خلف الثنائى السكير، ووقفت خلفه كأنها تتأكد من أن أحداً لن يفتحه أو يفر منه تامر، ويفسد عليها انتصارها بالحضور إلى قمرته.

نظر تامر إلى كالى ذات الشعر الأحمر المتموج والمرسل على ظهرها، ووجهها الأبيض ذي النمش الخفيف حول عينيها الزرقاوين. وكانت ترتدى فستانًا شديد الحمرة

مفتوحًا من الجانبين، يظهر جزءاً كبيراً من ساقيها المرمرية، ومفتوح فى أعلى صدرها الأبيض المدبب الذى ظهر جزء كبير منه.

تامر لنفسه : يالها من إنسانة جميلة تعمل عملًا غير جميل بالمرة .

كالى : تامر ماذا بك ؟ كأنك رأيت شيطاناً.

تامر وقد احمر وجهه وغرق جسده بالعرق، وبدأ قلبه يسرع فى ضرباته : نعم لقد رأيت شيطانة .

نظرت إليه كالى معترضة . فقال تامر مستطردا : شيطانة جميلة.

جلست كالى بجانب تامر على الأريكة الصغيرة التى بقمرته. وأحاطته بذراعها الأيمن ووضعت يدها برقة على ركبته اليسرى

وقالت بلهجة مثيرة : سوف أقضى الليلة معك فى هذه القمرة الصغيرة النظيفة البديعة .

تامر وهو منزعج : ليس معى أي نقود.

كالى : لم أطلب منك نقودًا!!.

تامر : لا أصدقك.

كالى تخلع ملابسها بحركات جنسية مثيرة .

تامر وقد نفد صبره : عليك الذهاب لقمرة كوستا أو مانولي، ليس معى أي نقود.

كالى وقد استلقت على سرير تامر وهى شبه عارية : أجرة التاكسى فقط كل ما أريده.

نظر إليها تامرمتسائلا ولم يكن قادرا على أن يمنع نفسه من النظر إليها وإلى جسدها البديع: كم أجرة التاكسى ؟

كالى بصوت خافت لكنه مثير: أربعمائة دولار فقط.

تامر منزعجاً : لماذا هل أنت ذاهبه إلى القاهرة ؟

كالى : كم معك ...إننى ممكن أن أعطيك تخفيضًا كبيرًا.

تامر يفكر فى أن يطردها من قمرته لكن معظم طاقم البحارة نيام وسوف يستيقظون مذعورين بسبب هذه الشيطانة، وكذلك ممكن أن يستغل الفأر هذه الحادثة ويطالب بطرد تامر من العمل على السفينة.

وأخيرا قال تامر : قلت لك إننى ليس معى أي نقود، وإننى سوف أنام مكانى هنا على هذه الأريكة الصغيرة، ولن أطردك من قمرتى لأن الوقت متأخر والظلام مخيف والميناء خطيرة فى هذا الوقت المتأخر من الليل.

(19)

لكن كالى لم تجب تامرًا فقد استغرقت فى النوم.

نظر تامر إلى كالى وهى نائمة وقد تملكته الحيرة والرغبة وشهوة عارمة وامتناع.

أحضر تامر ملاءة بيضاء وألقاها عليها . وقال فى نفسه : نوم الشيطانة راحة.

استلقى تامر على الأريكة التى كانت فى حجم كرسى كبير ووضع وسادة تحت رأسه.. ساقاه خارج الكرس، إن الأريكة لا تتسع إلا للنصف الأعلى من جسم تامر، وحاول أن ينام.

تامر يحاول أن ينام لكنه يفكر ماذا يفعل فى اليوم التالى مع القبطان، وكذا مع الفأر الشرير المعقد. لكن غداً هو يوم الاحد عطلة للبحارة كذلك عمال الشحن فى ميناء فيلادلفيا. وقرر أنه فى الصباح يأخذ كالى إلى قمرة مانولى ليأخذها خارج السفينة كما أحضرها. وراح تامر فى النوم عندما استقر على ما سيفعله غداً.

شعر تامر بيد باردة تلمس جبهته فاستيقظ مذعورًا ووجد أمامه كالى ملفوفة بالملاءة البيضاء.

كالى مخاطبة تامر فى همس :تامر سوف نتجمد فإن التدفئة المركزية لا تعمل فعليك الانتقال بجانبى لكى يسير الدفء فى جسدينا معا.

تامر يحاول أن يقول شيئًا لكنه أخفق بسبب برودة جسده المرتعش، لكن كالى عاجلته.

وقالت مقلدة لكنته متهكمة : اننى ليس معى أية نقود ها ها ها.

وبدون أن تسأل تامرًا فتحت الدولاب الصغير وأخذت قميص وبنطال تامر وارتدتهما، وكان شكلها مضحكًا ومع ذلك فهي جميلة فى جميع الأحوال.

رجعت كالى إلى السرير الصغير وأفسحت مكانًا وأشارت لتامر بإبهامها بالنوم بجانبها.

ذهب تامر إلى السرير بدون اعتراض فهو يريد الدفء فى أى مكان وحبذا فى سريره المغتصب من الشيطانة كالى .

دلف تامر أسفل البطانية بجانب كالى وهو يرتعش وأعطى لها ظهره، احتضنت كالى تامرًا من ظهره وكأنها تبتلع جسده فى جسدها الدافئ الأملس الجميل، وأحاطته بذراعها الأيمن وساقها اليسرى، أحس تامر بأنفاسها الدافئة فى ظهره وحرارة جسدها فى بقية جسده. فحاول أن ينام وهو دافئ فى أحضان الشيطان الجميل لكنه سمعها تهمس إليه.

(20)

تامر: هل نمت بهذه السرعة ؟

همس تامر : ليس بعد لكنه لاحظ ثقوبًا كثيرة فى أوردة ذراعها الأيسر من تعاطى

حقن المورفين، وقد شاهد ذراع مريم فخر الدين فى أحد أفلامها التى تعالج مشكلة الإدمان بنفس حالة ذراع كالى.

كالى مستطردة : كنت عازمة اليوم الذهاب لأمى وأخذها للكنيسة.

هل تذهبين للكنيسة كل يوم أحد ؟

فى معظم الأوقات مع أمى المتدينة

وهل أمك تعرف ماذا تعملين ؟

بالطبع لا. فإنها تعرف أنى أعمل فى مكتب محام، فأنا خريجة شئون قانونية، لكنى تركت الدراسة قبل أن أكون محامية وتفرغت لهذه المهنة، فإن نقودها أفضل وأسرع، فأنا محتاجه من 500 الى 1000 دولار يوميا لأجل حاجتى الطبية، قالت هذا وكأنه شئ عادى ومعروف لكل الناس .

تامر شعر بالدفء يسرى فى جسمه فذهب فى نوم عميق. وكالى مستمرة فى الهمس.

استيقظ تامر على جلبة فى قمرته.

كالى فى كامل زينتها وجمالها ومعها مانولى وكوستا ومعهم صينية إفطار كونتنتال وهو عبارة عن توست وعصير برتقال وقهوة .

كوستا لتامر وهو منفعل من السعادة : عليك تناول الإفطار بسرعة فسوف نذهب للكنيسة مع كالى وأمها.

تامر : إننى مسلم ولست مسيحيًا مثلكم.

كالى : لن يسألك أحد عن ديانتك فإننا نرحب بكل الناس من كل الأديان فى كنيستنا، ولن يهتم أحد إذا كنت مسلمًا أو غيره لكن إذا كنت مسيحيًا كاثوليكيًا فهذا غير مستحب فى كنيستنا البروتستانتينية.

تامر : أقول لك إننى مسلم ولا أستطيع دخول الكنيسة.

مانولي : لا تُعقد الأمور يا تامر المهم أن نخرج من السفينة، فإنه آخر يوم لنا فى فيلادلفيا وعليك الأنتظار في السيارة أثناء القداس في الكنيسة.

تامر : هل كابتن باسيلى يعلم بوجود كالى معكما؟

كوستا بخبث ومشاكسة : إنها معك أنت.

كالى مبتسمة : اطمئن يا تامر لا يوجد أي مشاكل مع كابتن باسيلى او كابتن ليونيدس، وقد رأيتهما هذا الصباح في الجناج الأمامى مع اثنتين من زميلاتى، وقد تأكدت أن كل شئ على مايرام بالنسبة لكم أنتم الثلاثة.

كوستا مستهزئا مستفسرا: زميلاتك في مكتب المحاماة ؟

كالى تجاهلت كوستا

تامر : أنتظروني فى صالة البحارة فسوف آخذ حمامًا سريعًا وأكون جاهزًا فى خلال ربع ساعة.

(21)

لم يستطع تامر أن يمنع فضوله وحب الاستطلاع أن يشاهد الكنيسة من الداخل، وماذا يفعل الأمريكان فى الكنيسة، وكيف تختلف الكنيسة فى أمريكا عن الكنيسة فى مصر، فهو يتذكر أنه دخل الكنيسة فى محرم بك وهو صغير مع زملائه المسيحيين والمسلمين، وقد كان سنه ثمانى سنوات لمشاهدة الكنيسة من الداخل فقط. وقد دخل الكنيسة مرة أخرى وهو شاب مع زميله نجيب نخلة وقد كانت كنيسة جميلة وجديدة فى اسبورتنج، وكان كل شئ يلمع وجديد فى الداخل والخارج فقط لحب الاستطلاع. هاتين المرتين لم يمكث أكثر من دقائق معدودات.

لكن هذه المرة مختلفة فقد تقدمت الفريق المتدين جداً جداً !!! السيدة الوقور ام كالى ووراءها كالى ويتبعهما البحارة الثلاثة. جلسوا الخمسة فى منتصف الكنيسة على أريكة خشبية طويلة تتسع لعشرين شخصًا أو أكثر بجانب رواد آخرين.

تامر ينظر الى البناء من الداخل والتصميمات الجميلة والنوافذ الزجاجية الملونة، والأضواء الموزعة بذكاء لكى تعطى المكان هدوءًا وسكينة، وكان يبدو عليه الارتباك وماذا عليه أن يفعل. لكن كوستا ومانولى كانا ينظران إلى النساء والبنات ويهمسان لبعضهما عن جمال الصغيرات منهن وقبح المسنات .

كالى بهمس وانفعال : اخرس يامانولى أنت وكوستا القصير الخبيث ولا تحرجانى مع أمى ورواد الكنيسة.

امتنع الثنائى المشاغب عن الهمس لكنهما مازالا يختلسان النظر والابتسام .

لم يهتم أحد بالثنائى المشاغب والجميع فى انتظار واعظ الكنيسة.

أحد الجالسين على يمين أم كالى أعطاها طبقًا نحاسيًا به نقود وشيكات فوضعت به شيكًا أعدته لهذا اليوم، وناولته لكالى التى وضعت به عشرة دولارات، وأعطته لتامر وقالت له : لا تضع أى شئ، لكن تامرًا وضع دولارين وناول الطبق لكوستا الذى بدوره ناوله لمانولى بدون أن يضع أي نقود. لكن مانولى لم يأخذ الطبق من كوستا حتى وضع دولارين وبعده مانولى وضع خسمة دولارات. واستمر الطبق يلف على الحاضرين لبضعة دقائق.

وبدأ الواعظ الذى كان يرتدى بدلة عادية لونها بنى غامق وقميصًا أبيض ورباطة عنق حمراء خطابه بالترحيب بالزوار الجدد وهم البحار المصرى تامر والبحارين اليونانيين مانولى وكوستا واتجهت بعض أنظار رواد الكنيسة إلى البحارة الثلاثة بالابتسام والترحيب الصامت . واستمر الواعظ فى خطبته التى لم يفهم منها البحارة إلا القليل .

عند خروج كالى وأمها ومعهما البحارة الثلاثة كان فى انتظارهم فى الخارج كثير من رواد الكنيسة بالسلام الجميل والترحيب الحار وعرض بعضهم أن يأخذ الجروب إلى الغداء . لكن كالى رفضت هذا بحجة العمل المتأخر فى مكتب المحاماة الذى عليها أن تنتهي منه حتى فى يوم الأحد مع غمز ولمز كوستا ومانولى.

ذهبت كالى وأمها وبقى البحارة الثلاثة فقرروا أن يتسكعوا فى وسط مدينة فيلاديلفيا حتى المساء.

فى الصباح الباكر أبحرت السفينة عابرة المحيطات الميناء متجهه إلى المكسيك.

تامر ينظر إلى المدينة من على بعد وقد امتلأ قلبه بالوحشة والشوق لكالى الشيطان الجميل.

(22)

اتجهت السفينة جنوبا نحو المسكيك، ويدأ تامر يشعر بطقس جميل معتدل غير الذى تركه فى فيلادلفيا الذى كان بارداً إلى حد ما رغم أنه فى بداية فصل الربيع . أخذت الرحلة حوالى ستة أيام ، وكانت رحلة قصيرة جداً بالنسبة للرحلات السابقة إلى اليابان من أمريكا التى تستغرق خمسة وثلاثين يومًا، أومن أمريكا إلى أوروبا التى تستغرق خمسة وعشرين يوما، وكل الذى يراه تامر وبقية البحارة سماء متلاحمة مع مياه المحيط يومًا بعد يوم . لكن هذه الرحلة استمتع فيها تامر بالطقس البديع ومناظر البحر الخلابة وسمائها الزرقاء الصافية بالنهار، ونجومها اللامعة بالليل.كذلك استمتع مع بقية البحارة بالشعور بأن الرحلة قصيرة وأنهم قريبا سوف يشاهدون المنياء ويخرجون للتنزه فى المدينة.

تامر فى وقت فراغة يقرأ خطابات الأهل وكتب عدة خطابات ليرسلها لهم عند وصوله إلى المكسيك. حسب تامر كم من الأيام بقيت له من المدة فى هذه السفينة فوجدها 290 يوماً أي تسعة أشهر ونصف الشهر. فخطط جدولًا تنازليًا وكل يوم يمضى يشطب عليه.

وصلت السفينة إلى وجهتها فى الصباح الباكر، إلى ميناء تامبيكو بالجنوب الشرقى للمكسيك، والذى يقع على خليج المكسيك. وكان فى انتظارها على رصيف الميناء عمال وعربات نقل كثيرة . فإن التفريغ فى تلك الأيام بهذه الميناء كان يتم بالرافعات والمعاول والشباك المغطاة بالأقمشة السميكة التى تملأ بالغلال وتُنقل إلى سيارات النقل التى تنتظر على رصيف الميناء، وهذا استغرق حوالى أسبوعين، وكان

العمال يعملون بنشاط وهمة متناهية حازت إعجاب تامر . وقد لاحظ تامر أن وقت شحن أو تفريغ السفينة يختلف فى سرعته حسب تقدم البلد أو تأخرها، فإن تفريع السفينة فى هذا الميناء الجانبى فى المكسيك يستغرق أكثرمن أسبوعين، ولكن فى هولندا الأوربية يستغرق ثماني ساعات، لأنه يتم بالشفط الميكانكى إلى الصوامع على رصيف الميناء، أما شحنها فى فيلادلفيا يسغرق أربعة أو خمسة أيام، وفى نيواورليانز الأمريكية فيستغرق يومين بنفس الطريقة الميكانيكية.

وجود السفينة بالميناء له عامل جميل وهو أن يخرج البحارة يوميا للنزهة، ولكن يوجد عامل سئ كذلك وهو نفاد نقودهم سريعا على هذه النزهات. كان تامر يخرج يوميا بعد الانتهاء من العمل مع بقية البحارة للتنزه فى المدينة خارج الميناء. واكتشف تامر أنه يوجد بعض المحلات الفاخرة يمتلكها لبنانيون وسوريون وفى أحد المرات ذهب لشراء بعض الملابس القطنية التى تلائم الجو الحار فالبائع قال له ان هذه الملابس مصنوعة من أفخر قطن فى العالم وهو القطن المصرى، وقد شعر تامر بالفخر أن القطن المصرى محترم ومحبوب فى بقاع بعيدة جداً عن مصر مثل المكسيك.

تعرف تامر على بحارة مصريين يعملون فى سفينة أخرى بالميناء، وأحدهم قال إنه من الاسكندرية، وأنه كان يعمل فى مصنع الكتان القريب من منزل تامر بسيدى بشر، وظل هذا المصرى يلح على تامر أن يحمل له نقوداً لكى يرسلها لأهله بالإسكندرية، لكن رفض تامر رفضا باتاً، فقد تعلم فى بداية حياته فى الغربة أن لا يرسل أى شئ مع أى أحد إلى بلده بعد أن وثق مرة بأحد المصريين الذى أعطاه تامر بعض الهدايا ليصلها لأخواته ولم يقم ذاك المصرى بإيصالها لأهله كما وعد. لكن هذا المصرى لم يفقد الأمل فسأل تامرًا: وهل تحتفظ بمرتبك فى جيبك أو قمرتك طوال الوقت ؟

فرد عليه تامر : بالطبع لا فإنى آخذ مصروفى الشخصى وبقية مرتبى أرسله بطريق إدارة الشركة باليونان إلى البنك الوطنى فى فيلادلفيا الذى فتحت به حسابًا فى بداية عملى على هذه السفينة.

نظر إليه البحار المصرى وهو غير مصدق وقد فقد الأمل فى أن يحصل على أي نقود من تامر.

(23)

فى مساء يوم ربيعى جميل فى ميناء تامبيكو المكسيكية حضر مانولى الطويل وكوستا القصير وقالا لتامر: عليك بالإسراع للخروج معنا فقد عرفنا أماكن بأسعار معتدلة.

أجاب تامر : لا معتدلة ولا غيرها فإنى أوفر نقودى لكى أرجع إلى بلدى وأهلى وأن هذه المغامرات محرمة علي فى دينى.

كوستا : لا تتعامل مع النساء فممكن أن تجلس فى المقهى فقط.

تامر : وهذا ما سوف أفعله.

جلس كوستا بجانب سائق التاكسى وقال له اسم المكان، وتامر يسأل السائق كم سوف تتكلف هذه الرحلة قبل أن يستقل التاكسى. فعادة البحارة يُسرقون فى الموانى التى يذهبون إليها ولا يوجد فرق إذا كانت الدولة غنية أو فقيرة، فإن البحار او السائح عرضة للنصب والسرقة فى أى ميناء أو بلد فى العالم .

المكان عشش متلاصقة من الخشب والحديد. دخل البحارة الثلاثة يتقدمهم كوستا إلى إحدى هذه العشش، وجلسوا على احدى الموائد. حضرت بنت صغيرة لا يزيد عمرها عن عشر سنوات، فقام معها كوستا واختفى . وحضرت بنت أخرى حوالى خمسة عشر عاما وقام معها مانولى واختفى. وعرف تامر أن الفتيات فى هذا المكان قد باعهن أهاليهن أو مخطوفين من أهاليهن وبيعن للعمل فى الدعارة بسبب الفقر المدقع فى المكسيك أو بسبب الحروب الأهلية فى بلادهن القريبة من المكسيك. حمد الله تامر أن مصر حماها الله من ذلك.

شعر تامر بالضيق فى هذا المكان الحقير، فخرج منه ووجد التاكسى فى انتظار البحارة الثلاث. استقل تامر التاكسى وطلب منه أن يأخذه لقهوة محترمة. والقهاوى هنا مثل مصر تقريبا، بما أن المناخ مثلها أيضاً، فقد كانت الكراسى والموائد تفرش خارج المحلات بعكس شمال أوروبا أو شمال أمريكا فإن كل شئ بالداخل لبرودة الطقس معظم أيام السنة.

وجد تامر اثنين من البحارة زملائه فجلس معهما وطلب شابًا بالحليب، وجلس يستمتع بجو المكسيك الجميل، وأخذ يراقب أهالى المكسيك، ففيهم شبه كبير من المصريين، وكثير من الرجال ذوو شوارب سوداء كثيفة.

وكان بجوار تامر مائدة بها شابان وفتاة فى حوالى العشرين من عمرها، تشبه الأوروبيات تعرف عليهم تامر وعرّفهم بنفسه وزملائه. وبعد بضعة دقائق ذهب الشابان المكسيكيان وبقيت الفتاة وحدها، انتقل تامر إلى المائدة المجاورة وجلس مع الفتاة بعد أن أخذ موافقتها.

مارجريتا : هل أنت كابتن بالسفينة ؟

تامر : إننى بحار فقط.

مارجريتا : أين تعيش أسرتك فى أمريكا؟

تامر : إننى مصرى وأسرتى تعيش فى مصر.

مارجريتا : لكنك قلت إن السفينة قادمة من فيلادليفا وسوف ترجع إلى أمريكا .

تامر فى نفسه ماذا تعنى مارجريتا بهذه الأسئلة؟ هل تعتقد أننى امريكى ؟

مارجريتا مستمرة فى أسئلتها وتخميناتها : آه لقد فهمت ... أنت مصرى وتعيش فى أمريكا. أمنيتى أن أذهب إلى أمريكا وأعيش بها.لقد حاول أحد أقاربى الذهاب إلى أمريكا عن طريق قوارب البحر ومات غرقا مع كثير من أبناء قريته.

تامر فى نفسه : مرجريتا مصممة على أنى أمريكى . أما حوادث الموت غرقا فهى ليست موجودة بمصر والحمد لله.

مارجريتا : هل تحب الذهاب والرقص فى ديسكو؟

تامر : أحب ذلك كثيراً.

سار تامر وقد تأبطت مرجريتا زراعه بسعادة، وكان تامر سعيدًا بصحبة هذه الفتاة الجميلة الوديعة.

توقفت مرجريتا أمام أحد معارض الثلاجات.

مرجريتا : أمى تعمل فى هذا المعرض، فادخل معى لتتعرف عليك ونستأذنها للذهاب للديسكو.

تامر : بكل سرور.

قضى تامر ومرجريتا سهرة ممتعة بين الرقص والبهجة والمتعة، وذهب معها يودعها إلى منزلها القريب، وقبل أن يصلا إلى منزلها بقليل وقفت مرجريتا فجأة فاحتضنها تامر ولم تمانع، فقبلها قبلة حارة طويلة وبادلته مرجريتا القبلة بنفس الحرارة، وذهب تامر آسفا حزينا إلى سفينته على أن يلتقيا فى اليوم التالى.

(24)

نظر تامر إلى المنبه الذى بجانبه ... إنها الخامسة صباحا...ياصباح ..ياكريم... يافتاح ... ياعليم ...ضجه فظيعة وصياح وكلكسات وأصوات الرافعات المدوية... ذى ذى ذى بمب بمب.... ذى ذى ذى بمب بمب . لقد بدأ التفريغ اليوم مبكرا . ففي الأيام الماضية كان يبدأ فى الثامنة صباحا . وبينما تامر يتقلب فى فراشه طرق باب قمرته رئيس البحارة يطلب منه أن يكون على سطح السفينة فى السادسة صباحا. ارتدى تامر ملابس العمل مسرعا وذهب لصالة طعام البحارة لوجبة الإفطار، ووجد معظم البحارة والميكانيكيين يتنالون الافطار .

رئيس البحارة : لقد قررت شركة الشحن والتفريغ المكسيكية أن تنتهى اليوم من تفريغ السفينة كاملة، وبالتالى علينا إعداد السفينة للإقلاع اليوم أيضا.

أحد البحارة : أى وقت سوف نغادر الميناء؟

رئيس البحارة : حوالى الخامسة مساء.

بحار آخر : أنا عندى ميعاد مع صديقتى فى السادسة مساء.

رئيس البحارة مستهزءا : اذهب لميعاد صديقتك وبعدها اذهب لأمك فى اليونان بالطائرة على نفقتها.

شعر تامر بخيبة الأمل، فلن يرى مارجريتا هذا المساء، ولن يتمكن من وداعها لآخر مرة، ومحتمل جدا أن تعتقد مرجريتا أنه يعرف ميعاد إبحار السفينة ولم يخبرها . شعر بحزن عميق فإن معظم الموانئ التى ذهب إليها لم يصادق بها أحدًا، وأن الموانئ القليلة التى صادق بها فتيات لم يتمكن من وداعهن قبل الرحيل.

عمال التفريغ المكسيكون يعملون بهمّه ونشاط منقطع النظير، وقد تضاعف عددهم تقريباً وتضاعف عدد سيارات النقل على رصيف الميناء أيضاً. تامر وبقية البحارة يعملون بسرعة ونشاط لإعداد السفينة للإبحار هذا المساء. فكانوا ينظفون الأماكن القريبة من الماء فى الجانب الأيسر والمصابة بالصدأ ويطلونها بلون السفينة الأزرق، ويطلون الشريط الأبيض الذى يتخلل الربع الأعلى من السفينة.

حوالى الخامسة مساء ذلك اليوم، خمدت أصوات الرافعات والعمال وسيارات النقل وكأن كل شئ فى الميناء قد امتنع عن التنفس. خيم الهدوء التام على الميناء لكنه هدوء حزين استعدادًا للحظة الفراق .

وفجأة إنطلقت أصوات محركات السفينة العملاقة تمزمجر معلنة عن نفسها بالقيام بمهمة الرحيل. وبدأت السفينة تبتعد عن الرصيف رويدًا رويدًا، وأطلقت السفينة العملاقة أبواقها لتعلن عن رحيلها، فاهتزت ميناء وبلدة تامبيكو كلها لرحيل السفينة العملاقة وطاقمها الشباب من البحارة الأشداء. وكان بعض الأهالى قد تجمعوا على رصيف الميناء والشاطئ الذى بجانبه يلوحون للبحارة، وكان بعض البحارة يلوحون لهم أثناء عملهم إذا أمكنهم ذلك. أما تامر فقد كان مشغولًا هو ومانولى بجمع الحبال الضخمة التى كانت تربط السفينة برصيف المنياء. وابتعدت السفينة مئات الأمتار عن الميناء.

نظر تامر إلى الرصيف مرة أخيرة وخيل إليه أنه يرى مارجريتا الرقيقة فلوّح لها بكلتا ذراعيه يودعها وشعر بدموع دافئة تنحدر على خده.

(25)

انتهى البحارة من العمل فى هذا اليوم الحافل والشاق، وذهبوا لصالة طعام البحارة لتناول العشاء، فطلب منهم رئيس البحارة أن يعودوا للعمل بعد الأكل، وسوف يعملون لمدة ساعتين، إضافية، وسوف يحصلون على عشرة جنهيات استرلينية لهذا العمل الإضافى . الجميع كان مسروراً لهذه المنحة الإضافية، والتى لم تكن فى الحسبنان ولكنها أتت فى وقتها، بما أن معظمهم صرف نقوده فى المكسيك. شعر تامر بالسعادة لهذه المنحة الصغيرة التى تساوي ثلاثة أيام عمل عادية.

معظم البحارة ذهبوا إلى النوم مباشرة وبدون حمام لشدة الإرهاق. لكن تامرًا ورغم إرهاقه الشديد أخذ حمامًا سريعًا لأنه كان على موعد قبل النوم مع قراءة خطابات الأهل التى استلمها قبل إقلاع السفينة بساعات، وقد شعر تامر أنه يجب أن يكون فى حالة نفسية وصحية جيدة عندما يقرأ خطابات الأهل. وقبل أن يبدأ القراءة شطب على اليوم 275 فى جدوله التنازلى، وباقى فى المدة التى حددها لنفسه 274 يومًا.

هما خطابان، وفى الخطاب الأول أمه تعرّفه أنهم بخير وعليه أن يأخذ باله من نفسه وصحته ويتأكد من أنه مُغطى أثناء النوم، وتذكّر تامر أن أمه كانت تستيقظ فى نصف الليل وتسحب عليه الغطاء الذى كان يرفصه دائما أثناء النوم. كذلك تطلب مائة جنيه لشراء ملابس جديدة لأخواته. والخطاب الثاني به نفس الكلام معتقدين أن الخطاب الاول لم يصله. استغرق تامر فى النوم العميق فى أثناء قراءة الخطاب الثانى، ونام كأنه لم ينم من شهر.

عمل البحارة بنشاط وهمة لإعداد السفينة للشحنة الجديدة، وبعد يومين رست السفينة بميناء نيواورليانز الأمريكية. وكان فى انتظار السفينة مفتشو صحة الميناء ووكلاء شركات الشحن والتفريغ وتموين السفينة من طعام وشراب ووقود بالإضافة إلى ضابط الجوازات.

أعطى ضابط الجوازات تصاريح مرور لكل من على السفينة ما عدا تامر، واستفسر تامر عن السبب لعدم أخذ تصريح المرور فى الميناء.

ضابط الجوازات : أنتم تقتلون الأمريكان فى بلادكم.

تامر : لم يُقتل أمريكى فى مصر.

ضابط الجوازات : لقد قتل الفلسطينيون سفير أمريكا فى الخرطوم.

تامر : إننى مصرى ولست سودانيًا أو فلسطينيًا.

ضابط الجوازات : كلكم عرب وطينة واحدة . وواجبى حماية أمريكا من أمثالكم.

تامر فى نفسه لم أقابل شخصية عنصرية مثل ذلك الشخص من قبل، وقد أتيت أمريكا مرات كثيرة، ولم يحدث معى شئ مثل ذلك من قبل. وكيف سوف أرسل نقودًا لأهلى وأنا ممنوع من الخروج من هذه السفينة ؟؟؟

(26)

المكسيك كانت من أجمل الرحلات بالنسبة لتامر، فكان يعمل ويخرج مع بقية البحارة للنزهة تقريبا يوميا، وقد اختفى الفأر معظم الوقت فى مكتبه، وكان البحارة يتعاملون مع رئيسهم مباشرة من غير أوامر الشيف أوفسر كابتن باسيلى.

قبل أن تبحر السفينة من المكسيك بيومين أو ثلاثة شاهد البحارة قبطان السفينة ليونيدس وكابتن باسيلى يخرجان سويا فى وقت متأخر من الليل وعادا مبكرا فى صباح اليوم التالى.

عرف تامر أن السفينة سوف تبحر بعد يومين من نيواورليانز إلى أمستردام الهولندية فقرر أن يرسل لأمه ما طلبته عند وصوله لها. العمل فى ميناء نيواورليانز كان على قدم وساق فى شحن السفينة بالغلال بواسطة الأنابيت الضخمة المتدلية من الصوامع العملاقة فى أحشاء السفينة. معظم البحارة لم يخرجوا هذه المرة لأن مكان

السفينة كان بعيدًا عن وسط المدينة، حيث الملاهى وغيرها. شعر تامر أنه لم يخسر شيئا بعدم حصوله على تصريح الخروج. وقد زار هذه الميناء من قبل وأنها مدينة قديمة وجميلة ومعظم سكانها يتكلمون الفرنسية والأسبانية بالإضافة إلى الإنجليزية بما أنها كانت مستعمرة أسبانية ثم فرنسية قبل أن يشتريها توماس جيفرسون ثالث رئيس أمريكى من نابليون بونابرت.

شعر تامر وبقية البحارة بارتياح لأن الفأر أصبح مشغولًا عنهم وأصبحوا يتلقون أوامرهم من رئيس البحارة مباشرة الذى كان رجلًا متوسط العمر هادئ الطباع محبوبًا من الجميع. لكن تامرًا صمم على ترك السفينة حسب الجدول التنازلى الذى أعده لنفسه وباقى الآن 270 يوم.

تامر لنفسه : إن شاء الله تمر هذه الأيام الباقية على خير، وأرجع بلدى ولأهلى بعد توفير مبلغ يمكننى من شراء تاكسى والعمل عليه بالإضافة إلى وظيفتى. ولن أترك بلدى بعد هذا ابداً.

بعد نصف يوم من إقلاع السفينة من نيواورليانز، وكانت ماتزال فى المياه الدولية بخليج المكسيك وقريبا من فلوريدا الأمريكية . توقفت محركات السفينة وشمل سكون تام يحيط السفينة وما حولها، وكان تامر فى وردية القيادة من الرابعة صباحا حتى الثامنة صباحا، وقد كان صباحًا ساطعًا جميلًا ذا رياح خفيفة منعشة. و فى حوالى السادسة صباحاً حضر القبطان ليونيدس إلى غرفة القيادة التى كان بها تامر وكابتن ميخالى الضابط الثالث بالسفينة.

قبطان ليونيدس : عليكم الذهاب الآن.

كابتن ميخالى : نأخذ راحة ونعود مرة أخرى ؟

كابتن ليونيدس : لا تعودا هذا الصباح بل عليكم العودة الرابعة بعد الظهر فى ميعاد ورديتكم كالمعتاد.

ترك تامر غرفة القياد مسروراً ليستمتع بساعتين راحة على حساب القبطان. لكن كابتن ميخالى بدت عليه علامات الحيرة، فحاول تامر أن يعرف سبب حيرته، لكنه لم يجد الإجابة. وفى طريقهما على الجانب الأيمن من السفينة إلى صالة البحارة خلف

السفينة شاهدا سفينة صغيرة من غير أعلام تدل على موطنها – فإن كل سفينة يجب أن تنشر علم الدولة التى تتبعها، وهذا هو القانون- السفينة الصغيرة تقترب من السفينة الكبيرة من الأمام. حاول تامر أن يرجع للأمام ويستفسر الأمر ويرى إذا كان القبطان يحتاج إلى مساعدة لكن كابتن ميخالى أمسك بتامر وقال له :

لقد أمرنا القبطان بمغادرة غرفة القيادة والذهاب لصالة البحارة، فليس لنا دخل فيما يفعل وعلينا الذهاب للخلف.

(27)

على سياج السفينة الأيمن، وبعيدا عن غرفة القيادة والعنبر الأول والثانى والثالث، وقف تامر وبقية البحارة ليشاهدوا ماذا يحدث من الأعمال المشبوهة فى سفينتهم. كابتن باسيلى يدلى سلم حبل للسفينة الصغيرة ليتسلق ثلاثة بحارة منها بسرعة مدهشة، وآداروا المحرك للرافعة الأمامية ورفعوا صندوقًا كبيرًا وآخر صغيرًا وخزنوه فى العنبر الأول طبعا مع الغلال الموجودة سابقا. وكان البحارة الغرباء يعملون بدون أى كلام وبسرعة كأنهم أنجزوا هذه المهمة مرات كثيرة من قبل. وبعد إغلاق العنبر الأول عاد البحارة الغرباء إلى سفينتهم الصغيرة، وتسلق شخص آخر إلى عابرة المحيطات ولم يغادرها. ابتعدت السفينة الصغيرة المجهولة الهوية وبقى الشخص الغامض فى المبنى الأمامى . دارت محركات السفينة العملاقة مرة أخرى واستمرت فى طريقها إلى هولندا.

فى مساء يوم الأحداث المبشوهة وبعد العشاء، تجمع البحارة ومعهم رئيسهم وكابتن ميخالى الضابط الثالث بالسفينة وتناقشوا فى الحمولة المشبوهة.

أحد البحارة : وقوف السفينة فى المياه الدولية والتقاط حمولة من سفينة مجهولة وراكب غامض غير قانونى، وسوف نحاسب جميعًا على هذا.

بحار آخر : القبطان هو المسؤول ونحن بحارة فقط.

مانولى : لقد عمل صديق لى فى سفينة تهريب سيارات وبضائع مسروقة من

إيطاليا إلى اليونان وتركيا والعكس وقد أمسك السفينة خفر سواحل اليونان، ووُضع الجميع في السجن القبطان والبحارة. فإذا كان القبطان ليونيدس يهرّب شيئًا وأعتقد أنه مخدرات فسوف نحاسب جميعا.

تامر يستمع إلى هذه المناقشة الخطيرة وضربات قلبه تتسارع من الخوف والاضطراب : خبر أسود مخدارات وسجن، هذه مصيبة ليست فى الحسبان، فإنى تحملت مشقة وخطورة العمل على هذه السفينة لكن السجن لن أتحمله، وسوف أقول لأهلى ماذا عن هذا السجن. هذا إذا خرجت منه سليماً .وتذكر فى الحال كلام محمد جلابية أنه لو بقى فى السفينة فسوف يقتل أو يسجن.

قرر البحارة أن يتولى كابتن ميخالى توصيل استفسارهم إلى القبطان. وفى الوقت نفسه، قرر تقريبا جميع البحارة ترك السفينة والعودة إلى اليونان عند وصولهم إلى هولندا.

مانولى : تامر عليك ترك السفينة أنت الآخر وتعال معى إلى اليونان، ونبحث سويا على سفينة أخرى للعمل عليها.

تامر : دعنى أفكر فى هذا.

ذهب تامر إلى قمرته تاركا البحارة يتناقشون فى الأحداث المريبة والخطيرة التى تحدث فى السفينة.

نظر تامر إلى الجدول التنازلى فباقى 265 يوماًعلى رحيله من هذه السفينة. لكنه مرعوب ويريد أن يترك السفينة فى أقرب فرصة مع الآخرين.

(28)

استلقى تامر على سريره بملابس العمل، فإنه مهموم وحزين لدرجة أنه لم يهتم بتغيير ملابسه. فكر تامر جيدا فى خطّته البسيطة وهى أنه يوفر ألفي جنيه استرلينى يعود بهما لبلده وأهله.

تامر يسأل نفسه حزيناً منفعلاً : ألفا جنيه ليسا بالكثير بعد كل هذا العمل والمخاطرة والتعامل مع محمد جلابية والفأر... انفجر تامر بالبكاء . فإنه شعر بالضعف والوحدة والغربة الأليمة وأن أحدًا لن يسمعه أو يفهمه أو يهتم به. نام تامر من الإرهاق والحزن. استيقظ تامر بعد ساعة أو ساعتين أخذ حمامًا ساخنًا وتوضأ وصلى ركعتين لله وسأل رب العالمين أن يزيل كربه ويسهل أموره. وبدأ يسترد جأشه ويفكر بدون انفعال وراجع حساباته فوجد أنه وفر 1200 جنية أسترلينى. فهذا مبلغ ليس بالقليل فى مصر. لكنه لا يكفى لشراء تاكسى.

فى الصباح التالى، وفى صالة طعام البحارة، وعلى لائحة التعليمات، وقف الجميع يقرأون تعليمات القبطان التى تقول :

من كابتن ليونيدس كرامانوس إلى طاقم بحارة وضباط السفينة بطلة الأطلنطى.

حسب قانون البحار المحلى لحكومة جمهورية اليونان الديمقراطية وحسب القانون الدولى للبحار فإن كابتن ليونيدس كرامانوس مسؤول عن السفينة وطاقمها مسئولية كاملة وغير مناقش فيها.

أى بحار أو ضابط لا يوافق على سير العمل فى هذه السفينة فعليه تقديم إقرار فى الحال بالرحيل فى أمستردام الهولندية.

توقيع : كابتن ليونيدس كرامانوس.

البحارة فى منتهى الغضب من هذا الخطاب التهديدى من القبطان ثم إنه لم يجب على الأسئلة بخصوص الشحنة المريبة والراكب الغامض.

فى نهاية اليوم وبعد انتهاء العمل والعشاء تقاطر البحارة على مكتب القبطان ومعهم إقراراتهم بالرحيل فى أمستردام وكان معهم تامر وبيده إقراره بالرحيل. تسلم القبطان الإقرار من تامر وقال له:

سوف تذهب إلى مصر وليس إلى اليونان. وافق تامر على هذا الشرط.

كابتن باسيلى الذى كان يقف بجانب القبطان ويشاهد البحارة الذين يقدمون إقراراتهم قال لتامر:

سوف نرقيك إلى رئيس بحارة إذا استمررت فى العمل، فأنت لك أكثر من سنة هنا وتعرف السفينة جيداً.

قال كابتن باسيلى هذا الكلام بصوت مرتفع وأمام البحارة الموجودين. فَهَمَ تامر مقصد الفأر وهو إثارة حفيظة البحارة الآخرين عليه. فقال تامر باقتضاب:

إننى أريد الرحيل إلى مصر .

(29)

مرت أيام وعابرة المحيطات تشق طريقها فى المحيط الأطلنطى فى اتجاه الشمال الشرقى من خليج المكسيك . ومازال البحارة يتناقشون فى سرية عن الشحنة المشبوهة والرجل الغامض الذى يقيم مع كابتن باسيلى ولا يخرج إلا نادراً من القمرة، وإلى الآن لم ير أحد وجههِ كاملا بسبب نظارته السوداء أو تكلم معه، لكن تامرًا رآه مرة كاملا وكان يتريض فى الصباح الباكر على سطح السفينة. وقد كان الفأر يأخذ له الطعام ليأكل وحده فى القمرة. واتفق الجميع أن يذهبوا لإدارة الشركة فى اليونان ويقدموا تقريرًا كتابيًا إلى المسئولين بالشركة وقد قال مهندس الكهرباء بالسفينة إنه سوف يقدم تقريرًا كتابيًا إلى شرطة بيرية مقر إدارة الشركة باليونان، هذا إذا لم يقبض عليهم جميعًا فى أمستردام . وكان كابتن ليونيدس ومعه كابتن باسيلى يعرفان كل هذا لكنهما لم يهتما أو تظاهرا بعدم الاهتمام.

منع كابتن باسيلى البحارة ورئيسهم من الاقتراب من العنبر الأول فى مقدمة السفينة والذى به الشحنة المشبوهة، فتأكد الجميع بخطورة الشحنة وعدم قانونيتها.

وتامر من كل هذا حائر وخائف وحزين أنه سوف يعود إلى مصر خاوى الوفاض، ولم ينفذ خطّته البسيطة وأمله المتواضع . لكنه قرر أن يجد عقد عمل فى ليبيا أو السعودية لأكمال بقية المبلغ الذى يريده. أصبح تامر لا يهتم بالجدول التنازلى فمزقه حنقا على السفينة والقبطان والفأر.

فى اليوم العاشر من إقلاع السفينة من ميناء نيواورليانز الأمريكية وتقريبا فى وسط المحيط الأطلنطى بين القارة الإفريقية والقارة الأمريكية، وباقى على ميناء أمستردام حوالى أربعة عشر يوما . قامت عاصفة صيفية شديدة عنيفة الرياح عالية الأمواج، وأصبحت عابرة المحيطات العملاقة بطلة الأطلنطى مثل الريشة تتقاذفها الأمواج وتحملها الرياح وترمى بها فى المياه بلا رحمة. لكن عابرة المحيطات العملاقة صامدة سائرة فى طريقها إلى أوروبا.

استمرت العاصفة ثلاثة أيام . معظم البحارة فى ذعر ويتهمون القبطان أنه سار فى طريق خطير وبالتأكيد أنهم فى مثلث برمودا أو قريبا منه، والمعروف عنه أنه مقبرة السفن، وهذا للحفاظ على سرية الحمولة المريبة التى فى أحشاء العنير الأمامى. وتوقف البحارة عن العمل على سطح السفينة لكن عمل الميكانيكيين فى غرفة المحركات على أشده. وعمل البحارة الوحيد كان هو قيادة السفينة تحت أوامر القبطان. بعض البحارة امتنعوا عن الأكل من الخوف والرعب والتزموا قمراتهم. كثير من البحارة أصبحوا يتقيئون أى طعام يأكلونه. وأصبح الجو العام فى السفينة هو الرعب والخوف والكل يعمل فى صمت كأنهم ينتظرون ساعة الموت غرقاً.

أما تامر فقد أسلم أمره إلى الله وقال إن الذى سوف يحدث للبحارة سوف يحدث لي، وكان بالرغم من ذلك ينام ملئ جفنيه رغم أن السفينة تميل لليمن والأمام ثم اليسار والخلف، وتامر رابط نفسه بحزام فى سريره المثبت فى أرض القمرة حتى لا يقع منه أثناء النوم، وأثناء العاصفة الرهيبة المخيفة.

وفى اليوم الرابع من العاصفة المشئومة وحوالى السادسة صباحا شعر تامر أن السفينة ارتفعت من الخلف ولم تعد لمستواها الذي كانت عليه في الأيام الماضية.

صراخ وهرج ومرج، صاح رئيس البحارة يأمرهم جميعا للاتجاه لمقدمة السفينة بأقصى سرعة.

(30)

شعر تامر أن السفينة على وشك الغرق فارتدى سترة النجاة البالية رغم سخونة الجو، وخرج مع بقية البحارة وكان معظمهم يرتدون سترات النجاة البالية أيضا والتى وعد كابتن ليونيدس أن يشترى لهم أخرى جديدة من أوروبا . تامر فى نفسه: هذا إذا وصلنا إليها. نظر تامر إلى مقدمة السفينة وكاد يغمى عليه، فإن مقدمة السفينة بما فيها العنبر الأول تحت سطح مياه المحيط بقليل ومؤخرة السفينة التى بها الرفاص العملاق الذى يسيّر السفينة مرتفع عن مياه المحيط بحوالى نصف متر . كما أن غطاء العنير الأول وهو عبارة عن ثلاثة أبواب حديدية ضخمة فُتح أثناء العاصفه الجبارة لأنه كان غير محكم الإقفال بمعرفة البحارة الغرباء، وتسربت مياه المحيط إليه وفقدت السفينة توازنها.

أخذ ثمانية بحارة كل منهم حبلًا وخطافًا حسب أوامر رئيس البحارة وطلب منهم أن يغطسوا فى المياه بمقدمة السفينة وتعليق الخطافات فى الباب الأول، وسوف يقوم بقية البحارة بسحب الباب يدوياً حتى يعمل المحرك ويتم غلق جميع أبواب العنبر. كان تامر ومانولى من هؤلاء الثمانية . وكان البحارة الشباب الأشداء الشجعان يقذفون هنا وهناك كأنهم نمور لإنقاذ سفينتهم.

خرج تامر من المياه وذهب ليسحب الحبال مع بقية البحارة لإغلاق العنير ووجد الفأر معهم يسحب الحبال .

واحد .. . اثنين ... ثلاثة.... اسحب.. وتحرك الباب مقدار شبر. لاحظ تامر أن مانولى ليس بينهم . فنظر إلى المقدمة فرأى شعر مانولى الطويل يطفو على الماء لكن بقية مانولى تحت الماء. عرف تامر أن شيئًا يمنع مانولى من أن يطفو فوق الماء. ربط تامر نفسه بطرف حبل والطرف الآخر بالسياج الحديدى لمنصة المحرك المعطل وذهب يتحسس طريقه فى المياه على سطح المركب قبل أن يغوص لإنقاذ مانولى. صاح كابتن باسيلى أو الفأر ولأول مرة يتكلم بالعربية مع تامر.

تامر انت رايح فين ؟ سيبك من مانولى....امه تخلّف غيره.... المهم السفينة وبقية البحارة.

لم يلتفت تامر إلى الفأر وأخذ نفساً عميقاً وغطس فى المياه واقترب من مانولى الذى أشار بيده إلى قدميه. ارتفع تامر فوق الماء واستنشق نفساً عميقاً وغطس فى المياه فوجد قدم مانولى محشورة فى مقدمة قضيب الباب الثانى .فك تامر بسرعة رباط حذاء مانولى. ارتفع مانولى بسرعة فوق الماء لكنه قد شرب مياها كثيرة وخارت قواه وكادت تسحبه الأمواج إلى المحيط. فتعلق به تامر واحتضنه وأشار للبحارة على منصة الرافعة فسحبوهما بالحبال.

(31)

ساعد تامر مانولى حتى بلغا المنصة التى بها بقية البحارة فافترش مانولى أرضها وهو يقترب من الموت، واستمرفى التقيؤ وقد أخرج كل ما فى أحشائه، وكانت الأمواج المتلاحقة تقوم بتنظيف المنصة أول بأول. استرد مانولى قواه سريعا ووقف مع بقية البحارة لسحب الحبال وقفل أبواب العنبر دون جدوى. والأمواج المتلاحقة تضرب أجسامهم دون رحمة كأنها سياط تلهب ظهورهم ووجوههم. وتامر وبقية البحارة متعلقون بسياج المنصة الحديدى حتى لا تأخذهم الأمواج العملاقة إلى المحيط. وفجأة أتت موجة عملاقة عاتية غمرت كل البحارة بمياهها وسمع البحارة صراخ اثنين

من زملائهم وقد سحبتهم الموجة الشريرة المسرعة إلى وسط المحيط وهما يصرخان و يستنجدان، لكنهما كانا بعيدين جداً عن السفينة المحتضرة. بقية البحارة استمروا فى عملهم لإنقاذ السفينة وبعضهم يبكون زملاءهم منتظرين دورهم.

أمر كابتن ليونيدس كبير مهندسي الميكانيكيا فى غرفة المحركات بتشغيل طلمبات المياه وملء العنابر الاحتياطية الخلفية بالمياه لكى يعود للسفينة اتزانها وهذه العنابر الاحتياطية تملأ بالمياه للمحافظة على الاتزان فى حالة واحدة فقط وهى فراغ السفينة من أى حمولة.

استعادت عابرة المحيطات العملاقة اتزانها لكنها كانت تحت مستوى مياه المحيط بقليل فإن حمولتها زادت على الأقل مرة ونصف بعد ملء العنابر الجانبية الاحتياطية بمياه المحيط، بالإضافة إلى العنير الأول الممتلئ بالماء . وبدأت المياه تتسرب بسرعة إلى غرفة المحركات فتوقف كل شئ عن العمل.

وفجأة اختفى الفأر من على المنصة وسمع البحارة طلقات نارية فى مكتبه.

صرخ كابتن ليونيدس فى البحارة أن ينقذوا أنفسهم بعد أن أرسل إشارة النجدة للسفن القريبة من الموقع.

جرى البحارة إلى مؤخرة السفينة حيث كان يوجد قاربان للنجاة سعة عشرين بحارًا لكل منهما. ولم يكن معهم تامر. أنزل البحارة القاربين فى مياه المحيط بسرعة مذهلة فإنها حياتهم التى تقترب إلى النهاية. لكن قاربًا منهما قُلب بمن عليه من البحارة واختفى ركابه من شباب البحارة فى المياه العميقة وقد تجمع عليهم سمك القرش وأصبح صراخهم من الألم والرعب يصل إلى عنان سماء الأطلنطى. وتجمع خمسة عشر بحارًا وميكانيكيًا فى قارب النجاة الثانى وبدأوا يجدفون بسرعة بعيدا عن السفينة حتى لا تأخذهم معها حين تغوص فى المحيط.

(32)

جرى البحارة نحو مؤخرة السفينة حيث قوارب النجاة، أما تامر ففضل استعمال قارب النجاة الصغير القريب منه ومن غرفة القيادة، فتسلق السلم وتبعه مانولى صامتاً. وجدوا كابتن ليونيدس يحتضن ضُمان عجلة القيادة محاولا تثبيته فى مكانه.

صاح تامر : كابتن يجب أن تحضر معنا فى القارب الصغير.

صاح الكابتن فى تامر ومانولى بلهجة آمرة : عليكم إنقاذ أنفسكم واستعمال القارب الصغير والأقرب إليكم وسريعا ليس أمامكم وقت، فسوف تغرق السفينة فى خلال نصف ساعة أو أقل . أخذ تامر نظارة معظّمه معه من غرفة القيادة و علقها فى رقبته. وبدأ يعد القارب هو ومانولى لإنزاله فى المياه.

تجمع الثنائى تامر ومانولى فى القارب الصغير المصَمم لستة أفراد . جدفا بسرعة بعيدا عن السفينة العملاقة قبل أن تغرق فى مياه المحيط وتسحبهما معها. نظر تامر إلى مانولى فرأى الرعب والموت كاملاً فقد كانت عيناه غائرتين تائهتين لا تستقران فى مكان، وجهه أصفر مثل الليمون، وشعره أشعث ملبد بمياه المحيط المالحة . شَعر تامر أنه ينظر إلى المرآة، فإنه حاله من حال مانولى، وبالتأكيد منظره هو منظر مانولى وربما أسوأ منه.

وفجأة قال مانولى مرهقا : لم أر كوستا من ليلة أمس فإنه يعمل فى الجزء السفلى من غرفة المحركات. هل تعتقد أنه نجا مع الناجين فى قارب النجاة الخلفى ؟

قال تامر بصوت خافت متردد اً : اعتقد هذا، فإنه يعرف طريقه جيداً فى السفينة .

أصوات مدوية كأنها قماش حريرى يتمزق .....تررررررررك .....تووك....تووووووك ...بومب... بومب.....وانقسمت عابرة المحيط العملاقة بطلة الأطلنطى إلى نصفين، وغرق النصف الأمامى أولاً ومعه كابتن ليونيدس والفأر المنتحر، أما النصف الخلفى فأخذ بضعة دقائق أخرى وقد شاهد تامر ومانولى وهما فى رعب بعض الميكانيكيين

المعروفين بملابسهم الزرقاء يقفذون فى مياه المحيط .وغرقت عابرة المحيط بطلة الاطلنطى فى أقل من ساعة. ربما الاسم بطلة الأطلنطى لكن مياه الاطلنطى كانت الأقوى وأمواجها لها الكلمة العليا. حزن تامر كثيراً على هذه السفنية التى كان يحبها وله فيها ذكريات جميلة وأخرى مُرة، وقد فقد كل شئ معها حتى آماله، وأوشك على البكاء لكنه تماسك فإن هدفه الآن هو إنقاذ حياته وعليه نسيان أي شيء آخر.

لكن مانولى اجهش بالبكاء ولم يتمكن تامر من أن يمنع نفسه من البكاء أيضاً. وبكى البحارة الناجون على الفقيدة بطلة الأطلنطى وأصدقائهم المفقودين.

شاهد تامر ومانولى القارب الآخر بعيدا عنهما بحوالى مسافة كيلو متر أو أكثر بقليل . فقررا أن يلحقا به جدف الاثنان بهمة ونشاط لكن المسافة كانت تزداد كلما اقتربا منه، فإن تيارات المياه تأخذهم فى طريقين مختلفين، فقررا أن لا يستنفذا قوتهما وأن يبقيا فى مكانهما إذا أمكن فى انتظار سفينة تلتقطهما من المياه على أساس أن هذا طريق عابرات المحيط وهو آخر موقع كانت به بطلة الأطلنطى، فمحتمل جداً أن تبحث عنهم أى سفينة التقطت إشارة الغوث من كابتن ليونيدس .

(33)

وفى منتصف هذا اليوم المشئوم هدأت العاصفة الجبارة وسكنت أمواج المحيط بعد أن ابتعلت عابرة المحيطات العملاقة وأكثرمن خمسة وعشرين بحاراً بما فيهم كابتن ليونيدس وكابتن باسيلى الذى انتحر بطلقات نارية فى مكتبه. وأصبحت مياه المحيط ساكنة وكأنها متخمة من هذه الوليمة الحديدية الدموية فقررت الهدوء التام.

وجد تامر فى قارب النجاة ستة زجاجات مياه كبيرة وستة أكياس طعام ومسدس به ستة طلقات إنذار ، وكان مانولى ينظر غير مكترث إلى تامر وهو يبحث فى القارب .

تامر لمانولى : سوف نقتسم هذه المؤنة سويا ويجب استعمالها بحرص وتأنٍّ حتى يتم إنقاذنا.

مانولى غير مكترث ولم يجب على اقتراح تامر ولكنه قال : إننى لا أعتقد أنه سوف يتم إنقاذنا فنحن فى وسط الأطلنطى خُمس الكرة الارضية، تصور أنك تبحث عن نملة فى مائة ألف فدان. وهمّ أن يقول شيئاً آخر لكنه صمت يائساً وقد ظهر عليه الإرهاق الشديد.

انتصف النهار وشمس مدار السرطان الحارقة- الذى كان تامر يتعقد انهم قريباً منه، - فى كبد السماء، وشعرَ تامر ومانولى بالحر الشديد، فخلعا سترات النجاة البالية وبدأ مانولي يغرف بيديه من مياه المحيط الباردة ويضعها على رأسه الملتهب. أما تامر فخلع قميصة وبلله بالمياه ووضعة على صدره مرة واخرى على ظهره الملتهب. وبنهاية النهار اختفى القارب الآخر عن نظرهما . وبدأ مانولى يهزى وينادى على طفلته «إيلانى» ذات العامين فقد أصيب بحمة شديدة من جراء شربه المياه المالحة فى الصباح وضربة شمس فى منتصف النهار وبرودة الجو فى الغروب. أما تامر فكان مشغول بالبحث بالنظارة المعظّمة على أى سفينة قريبة بدون جدوى.

بدأ قرص الشمس يلامس مياه المحيط الغربية، وقد اصفر لونه تارة وأحمر تارة اخرى. وفجأة وقف مانولى يمنع ضوء الشمس الباقى عن تامر وصرخ بوهن : أنا قادم إليك يا إيلانى ....وقبل ان ينتبه اليه تامر. قفز مانولى فى مياه المحيط التى لا قرار له واختفى.. وتامر مذهول وعقد لسانه ووقف تفكيره لحظات، وفجأة تنبه لما حدث فصرخ صرخة تسمعها أمريكا وأفريقيا وما حولهما .

مااااااااانوووووولى لى لى .... لكن مانولى اختفى فى مياه المحيط السوداء .

ارتمى تامر على أرض القارب وقد اجهش بالبكاء المرير لساعات، وشعر أن مصيره سوف يكون مصير مانولى والآخرين . نظر إلى السماء فهى حالكة السواد تتلاقى مع مياه المحيط السوداء، وكأن الاثنين حائط أسود كئيب مخيف ولا يرى قمرًا او نجومًا، وظن أنه مات غريقا، وأنه فى قاع المحيط الآن حيث لا يرى إلا الظلام الدامس، أنتبه تامر واستيقظ من موته المؤقت ليجد من يطرق جانب القارب الأيمن، ظن أنه مانولى

عاد إليه، فهو يجيد السباحة، ويحتاج المساعدة لتسلق القارب. دق قلب تامر بالفرح واعتدل فى جلسته وقام ليساعد مانولى، فوجد يداً بيضاء تمتد إليه، أمسك تامر بها ليرفع مانولى إلى القارب، لكنه صرخ صرخة مدوية سمعتها أوروبا هذه المرة .

(34)

إنه ليس مانولى، وإنما جسد شخص ميت يرتدى سترة نجاة . وبسرعة ترك تامر هذه اليد وهو مرعوب ثم عاد ليمسك بها مرة أخرى.وقد بدأ شعاع شمس الصباح ينير المحيط، قال تامر فى نفسه أنا محتاج هذه السترة فهي أفضل من سترتى البالية. وبعد أن تماسك تامر ومازال يمسك بيد جسد الميت، فرفعه إلى القارب وتعرف عليه.

تامر لنفسه : إنه الرجل الغامض الذى غرقنا وغرقت عابرة المحيطات بسببه. وبدأ تامر يحقق مع الرجل الغامض ويسأله:

من أنت ؟ ومن أين أتيت ؟ وماذا تعمل ؟ وإلى أين أنت ذاهب ؟ والرجل الغامض ينظر إلى تامر بعيون جاحظة مخيفة غامضة ولا يجاوب فهو ميت.

تامر بلهجة آمرة : عليك خلع سترة النجاة فأنا محتاج إليها، وخلع تامر سترة النجاة من على جسد الميت وفحصها فوجدها بحالة جيدة.

تامر بلهجة آمرة : أعطني هذه السترة التى ترتديها، فأنا أشعر بالبرد فى المساء والصباح الباكر. وخلع تامر سترة الرجل الغامض وكانت مبلله بالمياه، فتركها جانبا لتجف. واستمر تامر فى التحدث إلى الرجل الميت:

ليس لك حق الاعتراض على أى شئ أحصل عليه منك، فإن قانون البحار الدولى يقول إن أى أحد يجد شيئًا فى البحر فهو ملكه حتى لو كانت سترتك أو أى شئ معك، فأنت ميت وأنا من وجدك. قذف تامر بجسد الرجل الغامض فى المحيط وهو غاضب منه وقال : اذهب إلى قاع المحيط كما ذهبت بطلة الأطلنطى وبحارتها الشجعان.

سطعت الشمس على المحيط فأنارت الكون بضوئها وأشبعت المحيط بحرارتها، فشعر تامر بدفئها. وأخذ يبحث بالنظارة المعظمة عن أى سفينة أو أى شئ دون جدوى . لكنه اطمئن قليلا لرؤية بعض الغلال ونفايات العابرة الغارقه فهذا معناه أنه قريب من آخر موقع للفقيدة.

هبت رياح خفيفة لكنها باردة قليلا فارتدى تامر جاكيت الرجل الغامض، وكان الجاكيت دافئا بفعل حرارة شمس المحيط القوية. شعر تامر بدفء الجاكيت على جلده المرتعش، لكنه شعر بشئ بالجيوب الداخلية فأخرجها تامر ليتفحصها، فوجد كيسين من البلاستك المحكم جيداً . الأول به كارت فضى وثلاث جوازات بأسماء مختلفة لكنها لنفس الرجل الغامض .الأول أمريكى والثانى إنجليزى والثالث سويسرى. لم يهتم تامر بالأمر، فإن صاحب الجوازات الغامض فى قاع المحيط مهما كانت مهمته أو حقيقة شخصيته. وبدأ تامر يتحدث إلى نفسه فإنه فى وسط المحيط ولا أحد يسمعه حتى لو كان سمك المحيط.

ماذا أيضا معك ؟ وفتح تامر الكيس الثانى وقفله بسرعة وقد هبط قلبه فى ركبتيه وكأنه رأى الشيطان نفسه. وأخذت ضربات قلبه تسرع كأنه فى ميدان سباق جرى، أو أنه فى مسابقة سباحة وقلبه يدق بسرعة لا يستطيع أن يقللها. ومكث حوالى نصف ساعة لكى يسترد أنفاسه ويفتح الكيس مرة أخرى ويرى ما بداخله.

(35)

نظر تامر مرة أخرى إلى محتوى الكيس الثانى ونظر مرة ثالثة ورابعة وخامسة، وصرخ بأعلى صوت يستطيعه إنسان : أيوووووووه .....يا جدعاااااااااان. ده باكو دولارات..... أيوووووووه.....يا جدعاااااااااان. دول ... مائة الف دولار حا تعمل بيهم إيه يا تامر يا ابن أم تامر ؟ تامر يحدث نفسه : لازم آكل وأشرب وإذا خلصت الأكل والشرب فأشترى سمكًا من المحيط. تامر يمر بحالة هوس وقتية بمفعول المفاجأة والوحدة فى المحيط والخوف من الموت غرقاً. أكل تامر كيسين من أكياس الطعام المجفف، وشرب ثلاث زجاجا ت مياه. ووضع كيس الدولارات الذى يحتوى ألف ورقة فئة المائة دولار جيب الجاكيت الداخلى قرب قلبه، وكيس جوازات السفر الثلاث والكارت الفضى فى الجيب الايمن.

واستغرق فى النوم يحلم بماذا سوف يفعل بكل هذه الثروة التى وجدها فى المحيط. وكانت مياه المحيط هادئة منبسطة سعيدة بسعادة تامر.

بعد عدة ايام نفذت مياه الشرب ونفذ الطعام وشعر تامر بالندم والخوف، معه ثروة من الدولارات لكنها لا تساوى قطرة مياه واحدة للشرب. مر يومان أو ثلاثة وتامر يتطلع بنظارته على أى سفينة قريبة دون جدوى. وفكر فى أن يشرب من مياه المحيط، لكنه منع نفسه من هذه المياه المالحة لأنه لو شربها سوف يفقد عقله مثل مانولى. فتورمت شفتيه وتشققت واحترق جلد وجهه ويديه وقدميه، لكنه احتفظ بالجاكيت على جسده رغم حرارة الجو بالنهار.

كان الوقت ظهراً والطقس حاراً والشمس فى كبد السماء ساطعة محرقة. نظر تامر حوله بدون استعمال نظارته المعظمة فهو لا يستطيع حملها، إذ كان فى منتهى الضعف من قلة المياه والطعام فلم يجد شيئاً. نظر مرة أخيرة يودع فيها الدنيا إلى مياه المحيط التى لا نهاية لها وهى تتحد مع السماء فى كل الاتجهات حوله فصرخ بوهن وضعف يطلب من الله الرحمة والغفران والنجدة من أجل أمه وأخواته اللاتي

ينتظرنه. استرخى تامر فى قاع القارب وهو يقترب من الموت وأخذ يهذى، فرأى البحارة يتكالبون عليه لإلقائه فى المحيط ليعش معهم فى الأعماق . ثم سمع صوت محركات ترام محرم بك الذي كان يستقله للمدرسة، وسمع صوت صفارة الكمسرى ينبه السائق بالوقوف حتى يترجل التلاميذ من الترام. لكن صوت محركات الترام أصبح يعلو ويعلو حتى أصبح يدوى مثل محركات السفن.... محركات السفن العملاقة ؟؟؟ ... وانتبه تامر... وجلس فى القارب منهكاً ...نعم إنها عابرة محيطات إنجليزية وأبواقها تدوى لكى توقظ الغرقى الأموات والبحارة يصفرون ليعرفوا إذا كان أحد على قيد الحياة فى القارب الصغير.جلس تامر منهكاً فى القارب ولوح بيده ثم وقف وقد أتت إليه قوة غريبة لم يعهدها من قبل، إنها قوة الأموات بعد العودة للحياة، ولوح بيدية وصرخ بأعلى صوته الحقووووونننننى.

حاولت الممرضة الانجليزية أن تأخذ جاكيت تامر لترسله للتنظيف لكنه رفض بشدة . فقالت له الممرضة إنه سوف يخرج من المستشفى إلى المطار إلى القاهرة لأنه غير مسموح له بالمكوث فى إنجلترا. ولكنه طلب منها أن تبحث عن تليفون علاء البنّان، وقد كانت محاولة مشكوك فيها من تامر أن يعثر على صديق قديم يعيش فى لندن ويعمل فى حى سوهو المعروف بالملاهى الليلية.

تامر : السلام عليكم.

....: وعليكم السلام مين حضرتك ؟

تامر : تامر الاسكندرانى يا علاء.

علاء : عرفت تليفونى وصوتى يا ابن العفاريت.

تامر : هل فى إمكانك أن تحضر إلىّ فى مستشفى لندن الملكى وفى أقصى سرعة ومعك غيار من عندك، فإن مقاساتنا متساوية على ما أذكر ما عدا أن تكون تغيرت ولك أتعابك.

علاء : لدى عمل الليلة والصباح رباح.

تامر : اطلب إجازة وسوف أدفع لك الضعف.

علاء : ماذا فعلت يا تامر الموضوع غير مطمئن ؟

تامر : وهل تعرف عن تامر أنه يعمل أشياء غلط ؟

علاء : حاضر يا أبو اسكندر سوف أحضر لك فى خلال ساعة.

(36)

علاء يتحدث لتامر : لو ذهبت إلى القنصلية المصرية سوف يعطونك وثيقة سفر لمصر، وفى مصر سوف تُسجن حتى يبان لك صاحب، اعطينى خمسة آلاف دولار وصورتين وأحضر لك جواز سفر مصرى سليم مائة فى المائة ومن القنصلية.

طلب تامر من علاء أن يصطحبه لمزّور جوازات لينقل الجواز الأمريكى للرجل الغامض بأسمه وصورته. فطلب منه علاء خمسة ألاف دولار اخرى.

تامر يستفسر من علاء : كل شئ بخمسة ؟

علاء : هذا من أجل العيش والملح الذى أكلناه سوا فى اليونان. هذه أعمال خطيرة، وأنا لا اعرف هؤلاء الناس، وكل واحد يقول لى معلومة يأخذ ثمنها وسوف أحضرك لهذا الشخص واتركك فوراً وعليك العودة بنفسك لهذا الهوتيل .

دخل تامر إلى استديو تصوير وقال للمصور إنه من طرف جيريج مايسون الاسم الذى قال عليه علاء . فأخذه المصور إلى غرفة أخرى وقال له ماذا تريد ؟ فأبلغه تامر بما يريد. فطلب المصور سبعة الاف دولار والتسليم فى خلال أسبوعين. فطلب تامر أن يستلم الجواز فى خلال يومين . المصور طلب سبعة آلاف اخرى . سأله تامر على ماهية الكرت الفضى الذى معه فطلب هذا المصور المريب ستة آلاف دولار أخرى.

المصور : المجموع عشرين الف دولار نصف الآن ونصف عند الاستلام، ونظر المصور إلى الكرت وأخذه وتفحصه جيداً تحت المجهر فقال هذا ليس كارت وانما هو مفتاح لخزينة خاصة فى بنك سويسرا الدولى.

دخل البنك السويسرى الدولى شاب وسيم ذو ملامح شرقية وتظهر عليه مظاهر النعمة والثراء ممسك بحقيبة سامسونايت سوداء مثل رجال الأعمال. ودخل معه موظف البنك إلى مكان الخزائن الخاصة وأخرج الكرت الفضى وفعل مثله موظف البنك وفتح له الخزينة الخاصة بالكرتين معا وتركه يراجع خزينته وحده. نظر تامر إلى محتوى الخزينة ولم يصرخ كعادته فى الفترة الأخيرة ولكنه افترش الأرض فهو يشعر بالغثيان وهو وحده الذى يعرف ما به من الدهشة المميتة. فى هذه الخزينة مئات من رزم الدولارات والاسترلينى والين اليابانى وغيره من العملات الحرة. وقال تامر لنفسه ومن كل لون يا بتصتا – نسيج كان يستعمله الفقراء قديما- كما تقول أمه أحياناً. ففى هذه الخزينة ملايين من الدولارات وغيرها من العملات الأخرى . ولم يهتم تامر بحصرها فهذا سوف يستغرق أسابيع.

طلب تامر من موظف البنك أن يغير الخزينة بأخرى برقم جديد وتحت اسم 777، ففعل موظف البنك هذا بدون أى سؤال، وأخذ تامر من الموظف كارتًا ذهبيًا سميكًا بدلاً من الفضى بعد دفع مصاريف وأتعاب باهظة للبنك .

جلس تامر فى مقعد بالدرجة الأولى فى الطائرة المتجه إلى القاهرة وهو يبتسم من غير سبب.

المضيفة : هل تريد كونياك يا أفندم ؟

تامر : عصير برتقال من فضلك فأنا لا أشرب كحوليات وشكرا.

تامر يرتشف عصير البرتقال ويتذكر مانولى وكوستا فيعبس وجهه وتدمع عيناه، ثم يتذكر كالى ومارجريتا فيبتسم، ثم تذكر محمد جلابية والفأر فقهقه بالضحك فنظر إليه أحد الركاب باستغراب ؟؟؟

فتذكر تامر مقولة أمه : وليرزقن من لا حيلة له.... حتى يتعجب صاحب الحيل

تمت

باب عمر باشا
(1)

كانت إلينى اليونانية فى منتهى الجمال والأناقة بفستانها الأبيض فى كحلى، والذى يشبه ملابس البحارة، وقد كَسَى وجهها المرمرى الجميل احمراراً طفيفاً، وكانت عيناها العسليتان الساحرتان تقول أشياء كثيرة خجولة، وشعرها الكستنائي الطويل يصل حتى خصرها النحيل . وقد كادت تطير من الفرح للذهاب إلى السينما، وكان حسين يعتقد أنها سعيدة بالذهاب معه إلى السينما.

جلست إلينى فى اول الصف، وجلس حسين على يسارها وحاول أن يضع ذراعه اليمنى على كتفها فقالت :

ماذا تفعل ؟ ضع ذراعك جانبك.

تجمد حسين فى مجلسه لا يتكلم ولا يتحرك فقد أفحمته إلينى منذ البداية وفهم أن عليه مشاهدة الفيلم فقط .

تساءلت إلينى : هل شاهدت الوسادة الخالية من قبل ؟

حسين مقتضباً شبه غاضب : لا

لماذا الغضب إذن ؟ هذا فيلم جميل وهذه ثالث مرة أشاهده وعليك الاستمتاع به.

حسين وقد فقد الأمل فى لقاء غرامى مع هذه الإلينى : ربنا يسهل .

دارت أحداث الفيلم سريعة وقد التصقت إلينى بحسين لشعورها بالبرد بسبب التكييف . لكن حسين كان سعيداً جداً بهذا التكييف البارد.

وبدأ عبد الحليم يغنى حزيناً :

تخونوه وعمره ما خانكم ولا اشتكى منكم ...تبيعوه وعمره ما باعكم ولا انشغل عنكم ...قلبى... قلبى ليه تخونوه ؟

شعر حسين بأنفاس إلينى الحارة ودموعها المنهمرة على خده الأيمن أثناء الأغنية وهى تهمس إليه.

هل معك منديل؟ فقد تبللت كل مناديلى.

أعطاها حسين منديله لتجفف دموعها المنهمرة وهو يتعجب منها ومن هو الذى خانها ؟

شعر حسين وهو سعيد بأنفاس إلينى الحارة تقترب من خده الأيمن مرة أخرى.

شكرا يا حسين وقبلته قبلة صغيرة سريعة على خده الأيمن. هذه القبلة الصغيرة السريعة كانت بالنسبة لحسين هى الدنيا السعيدة بأكملها فقد شعر حسين بحرارة شفاة إلينى الملتهبة ولمستها الرقيقة الحانية.

خرج حسين وإلينى من السينما عائدين إلى منزلهما، فقد كانا يسكنان فى نفس المبنى القديم فى باب عمر باشا، أحد أحياء الاسكندرية القديمة والمختلطة بين أولاد العرب وغيرهم من يونانيين وأرمن وشوام وإيطاليين وغيرهم من الأوربيين من الطبقة المتوسطة والفقيرة .

إلينى سعيدة وهى تهمس بغناء : أسمر يا أسمرانى.. .. مين أسّاك عليا.. لو ترضى بهوانى ... برضه انت ال لى ليه.

سأل حسين مسروراً : هل هذه الأغنيه لى ؟

وهل أنت أسمر ؟ وابتسمت ابتسامة خبيثه وهى تدير وجها بعيداً عن حسين.

(2)

سارت إلينى وحسين عائدين إلى منزلهما وهما فى منتهى الفرح والنشوة بعد مشاهدتهما لهذا الفيلم الغرامى وسماعهما أغانى عبد الحليم حافظ الغرامية، وكانت الشوارع شبه خالية، إنه يوم الأحد عطلة إليني من المدرسة، كذلك عطلة كل المحلات التى يمتلك معظمها أوروبيون وقليل من المصريين.

وأثناء سيرهما فى شارع فؤاد متجهين لشارع العطارين أمسك حسين بيد إلينى كما فعل عبد الحليم بيد لبنى عبد العزيز، ولم تمانع إليني ذلك بل ظهر على وجهها

الحبور والترحيب، وبه بعض من الخجل، لكن الشارع كان خالياً تماماً من المتطفلين أو المارة. نظر حسين إلى وجه إلينى المرمرى الجميل وقال : هل قلت لمامتك أنك ذاهبة معى إلى السينما ؟

طبعاً ومامى كانت معترضة فى البداية لكنى أقنعتها بأنها تعرفك وتعرف أسرتك فأنتم جيرانناً منذ سنوات طويلة، وهى تثق فى أخلاقك لكن عندها بعض التحفظات على تفكير السيدة مامتك وقالت لى:

الذهاب مع حسين إلى السينما فقط وليس أى شئ آخر.

واستمرت إلينى فى الحديث : وهل قلت أنت لمامتك أنك ذاهب معى إلى السينما؟

نظر حسين إلى إلينى محتداً : نعم قلت لأبى وأمى، وقد وافق أبى وأعطانى مصروفًا كبيرًا من أجل هذا اليوم على شرط الذهاب بعد الانتهاء من اليوم الدراسى وأن نذهب بالنهار والعودة بالنهار.

وماذا تعنى السيدة مامتك بالذهاب إلى السينما فقط وليس أى شئ آخر ؟

إلينى بخبث : لكنك لم تقل شيئًا عن موافقة مامتك ؟

لقد اعترضت أمى على هذه النزهة وقالت لى : عليك الانتباه للمذاكرة والانتهاء من الدراسة والعمل لكى أساعد فى تجهيز أخوتى البنات اللاتى يصغرننى بعدة سنوات، لكن أبى قال لها إن هذا كلام سابق لأوانه.

ضحكت إلينى ولم تجاوب على سؤال حسين، والتزمت الصمت. فلم يكرر حسين سؤاله.

عند جامع العطارين وشارع فؤاد دارت إلينى مع حسين ناحية اليسار فى شارع العطارين حيث يقطتان فى الربع الأخير منه فى حى باب عمر باشا أو سوق النصارى كما يسميه العامة.

لم يتكلم أحد منهما وبقيا صامتين لمدة ليست بالقصيرة. وفجأة التفت حسين إلى إلينى بوجه حزين وقال : هل أنت غاضبة من رأى أمى ؟

طبعاً لا . ولماذا أغضب منها ؟ لكنى أقدر فيك صدقك وشجاعتك، إذ كان من الممكن أن تقول إن مامتك موافقة، وهذا كان سوف يسبب لى إحراجًا لأنى أقابلها

كثيراً عندما تأتى لمسكننا لشراء أشياء من مامى أحضرتها لها من دكان بابا فنتبادل التحية، والآن وقد عرفت رأيها، واستمرت إلينى مبتسمة سوف أقول لمامى أن ترفع الأسعار عليها.

فقال حسين مبتسما : لقد مضى وقت طويل على آخر مرة أتيت إلى شقتنا واللعب مع أختى الصغيرة ؟

لقد منعتنى مامى من الذهاب إلى شقتكم واللعب مع أختك الصغيرة، وأنا الآن لى اهتمامات أخرى غير اللعب مع الأطفال، فقد كبرت على هذا.

وما هى اهتماماتك الجديدة ؟

اهتمامات خاصة وليس لك دخل بها . كذلك أننى أحب قراءة القصص الرومانسية مثل الروايات الفرنسية وروايات إحسان عبد القدوس كاتبى المفضل بالعربية.

حسين وقد تشجع عند سماعة كلمة الرومانسية : لذلك كنت تبكين عند سماعك عبد الحليم يغنى تخونه ومن هو الذى خانك ؟

نظرت إلينى إلى حسين بعيون ساحرة مليئة بعبارات لم يفهمها حسين وقالت بابتسامة ساحرة : لم يخوننى أحد لكن كانت الأغنية حزينة فتفاعلت معها واستمرت بجدية متسائلة : كيف لم تنفعل أنت مع هذه الأغنية الرقيقة ؟

لقد انفعلت مع الأغنية لكن ليس لدرجة البكاء والدموع الغزيرة مثلك.

(3)

حسين متعلثما : هل من الممكن أن أخرج معك مرة أخرى ؟

عادت إلينى إلى ابتسامتها المشاكسة من جديد وقالت بأنوثة فوارة : سوف أرد عليك لاحقاً.

اقتربت إلينى وحسين من منزلهما، فسمعا أصوات ترام البلد فى شارع الخديو المتقاطع مع شارع العطارين، واقتربا أكثر فشاهدا سوق النصارى فى باب عمر باشا

وقد انتهى معظم الباعة من عملهم اليومى، وعم فانوس الفرارجى وقد فتح دكانه لكى يطعم الطيور، وباعة الفاكهة مستمرون فى عملهم وقد نظّموا التفاح الآميركى والمشمش الحموى من سوريا والموز المغربى وغيرها من الفاكهة المحلية والمستوردة بطريقة بديعة جميلة .

أسرعت إلينى فجأة وسبقت حسين إلى منزلهما .

بادرت إلينى عم علوان البواب : سعيدة مبارك عم علوان.

سعيدة مبارك مدموزيل إلينى.

السلام عليكم عم علوان.

عليكم السلام حسين أفندى .

صعدت إلينى بسرعة البرق إلى شقتها فى الدور الثالث وكان حسين يحاول اللحاق بها لكى يسألها عن ميعادهما التالى، لكن إلينى كانت مثل الفراشة فقد طارت إلى شقتها، وهنا لم يحاول حسين أن يلحق بها حتى لا يشعر الجيران بهما، ودخل حسين شقتهم فى الطابق الثانى وهو سعيد سعادة يشوبها شئ من الحزن، فلم يحصل على إجابة إلينى للميعاد القادم.

السلام عليكم يا ماما.....عليكم السلام يا حسين ..

هل تريد تناول وجبة العشاء ؟

أجاب حسين حزيناً : لست جوعان يا ماما.

دخل حسين غرفته حزيناً يفكر فى النزهة السعيدة الذى قضاها مع إلينى وهو يتحسس خده الأيمن بسعادة وهيام، لكنها انتهت برفضها مقابلته مرة أخرى. محتمل إلينى لم يعجبها كلامى قال حسين لنفسه أو لم تعجبها ملابسى أو لم يعجبها رأى أمى فى تلك النزهة. لكنى أشعر نحوها بحب فياض وأحاسيس جميلة لم أشعر بها نحوها من قبل. فقد رأيتها كثيراً من قبل وهى تلعب مع أختى الصغيرة وكنت لا أهتم بها فماذا حدث لى ؟ لم يحدث لى شئ وإنما حدث أن إلينى كبرت فجأة وتغير جسمها وأصبحت آنسة جميلة مهذبة مثقفة يحبها كل الجيران وأنا أولهم.فيجب علىّ أن أقابلها

مرة أخرى بل مرات كثيرة قادمة. واستمر حسين يفكر فى إلينى وهو محموم بحبها الذى أشعل قلبه عندما طبعت قبلتها البريئة على خده الأيمن الذى مازال يتحسسه دائما وهو سعيد .

بعد بضعة أيام من الوله والشوق والحيرة فكر حسين فى أن يرسل خطابًا غراميًا إلى إلينى مع أخته الصغيرة، لكنه لم يستحسن الفكرة فقرر أن يقابل إلينى بنفسه فى الصباح الباكر على الدرجات بين الطابق الأول والطابق الثانى، فإن سيارة مدرستها تأخذها فى السادسة والنصف صباحاً تماما وهذا قبل خروجه لمدرسته بنصف ساعة لكن هذا لا يهم كثيرا، فإنه سوف يخرج مبكراً نصف ساعة لمدرسته وينتظرها لكى يراها ويعطيها خطابه بنفسه.

فى الصباح الباكر كان حسين يستعد للخروج لمدرسته عندما سألته أمه : لماذا أنت ذاهب لمدرستك مبكرا ؟

أجاب حسين متعلثماً: سوف أقابل بعض زملائى لمناقشة موضوع إنشاء مطلوب منّا.

انتظر حسين إلينى وهو صامت حذر على الدرجات بين الطابق الأول والطابق الثانى لكى يسمع خطواتها وهى تخرج من شقتها. لكنه سمع صوت الخواجه زخارى ابيها وصوتها تودع أمها، فقرر أن ينزل الدرجات مسرعاً إلى الشارع لكى لا يراه أبوها ويشك فى الأمر.

(4)

وقف حسين أمام باب العمارة فى انتظار زملائه لكى يركب معهم الترام إلى مدرسة العباسية الثانوية فى محرم بك، وكان يعرف أنه لن يظهر منهم أحد قبل نصف ساعة، وفجأة سمع الخواجه زخارى يتحدث إليه : نهارك سعيد حسين.

نهارك سعيد مسيو زخارى، نهارك سعيد مدموزيل إلينى.

نظرت إلينى إلى ابيها فوجدته يتحدث مع عم علوان البواب، فأدارت وجهها إلى حسين وكان به كل حُسن وجمال يتخيله حسين، وابتسامة مشرقة تتسع الميناء الشرقية، وعيون عسلية صافية فى صفاء سماء الأسكندرية الصيفية، وقالت برقة وصوت منخفض: نهارك سعيد حسين. وركبت سيارة مدرستها بسرعة الفراش، ولكن حسينًا رأى بعض زميلاتها يحدقن فيه ويبتسمن إليه .

قرر حسين ألا ينتظر زملاءه فطلب من علوان البواب أن يبلّغ زملاءه أن حسينًا ذهب إلى المدرسة.

قرر حسين أن يسير إلى المدرسة ولا يركب الترام مع زملائه كالمعتاد، إنه يريد أن يفكر ويحلم بإلينى بعد ابتسامتها الجميلة فى هذا الصباح الرائع. يريد أن يكون وحده لكى يستعيد صورتها الجميلة عندما التفتت إليه، وصوتها العزب عندما قالت له نهارك سعيد حسين... ما أجملها فى ابتسامتها ورقتها ... صوتها مثل الكروان عندما تتكلم .. وتسير مثل الغزال .. وسرعتها مثل الفراشة وهى تركب سيارة مدرستها.حسين يريد أن يعطيها خطابه بأى طريقة أكثر من أى وقت مضى بعد أن رأى ابتسامتها الجميلة المشجعة. فهل من الممكن أن تكون إلينى تشعر نحوه بنفس شعوره نحوها ؟

سار حسين فى سوق النصارى بشارع باب عمر باشا وهو يشاهد البيوت القديمة ولكنها اليوم جميلة منتصبة مثل قوام إلينى الجميل، وباعة الخضار والأسماك والطيور ومحلات البقالة والجزارة يستعدون ليوم حافل بالبيع والشراء وكذلك جامعو قمامة المحافظة يعملون بهمة ونشاط فى تنظيف شارع السوق والشوارع الجانبية كأنهم يشاركون حسينًا سعادته وفرحه بصباح إلينى المشرق .

ومر فى سيره على محطة مصر، وقد سماها الناس بهذا الاسم رغم إنها محطة القطارالرئيسية فى الأسكندرية، ومر كذلك على محل العصافيرى الحلواني لكن هذا الصباح ليس للحلويات أو غيرها فإن فم حسين وقلبه به حلاوة صباح إلينى وابتسامتها وعيونها وصوتها فإن التفكير فيها هو حلاوة الصباح وفاكهة الدنيا بأكملها.

سار حسين فى شارع محرم بك، وكان الطلبة من جميع الأعمار فى طريقهم إلى مدارسهم فحي محرم بك به أكبر عدد من المدارس فى الأسكندرية .وكان شارع محرم

بك فى هذا الصباح، مثل كل صباح مكتظًا بالسيارات والترام، والناس ذاهبون إلى كل مكان، وكان حسين يشاهد كل صباح بعضًا من ضباط البحرية بملابسهم العسكرية الأنيقة ينتظرون سيارتهم العسكرية لأخذهم إلى عملهم، فكان يشعر بالفخر أن مصر بها ضباط وجنود أشداء لحمايتها .

لم يشعر حسين بمرور الوقت، فقد وصل إلى المدرسة مبكراً ووجد البوابة الرئيسة مغلقة، فانتظر سعيداً حالماً مبتسماً وقلبه يرقص فرحاً.

(5)

فى الصباح التالى انتظر حسين إلينى، وكان حذرًا متيقظاً وكله آذان صاغية لكى يسمعها وهى تغادر شقتها. وفجأة سمع خطواتها تهبط الدرجات فى منتهى السرعة كأنها تطير وتلاقت عيناهما بسرعة خاطفة

نهارك سعيد حسين.

حسين متعلثما : نهارك سعيد إلينى . هذا خطاب لك . خطفت إلينى الخطاب ووضعته فى جيبها ولم تنظر إلى حسين، وكأنها كانت فى انتظار هذا الخطاب وتعرف محتواه. وقفزت الدرجات الباقية مثل الفراشة لكى تلحق بسيارة المدرسة .

ذهب حسين إلى مدرسته سيراً هوينا فلديه الوقت الكافى للوصول لمدرسته، كان الطقس فى هذا الصباح الجميل ربيعيًا معتدلًا، الهواء منعش وهو يفكر فى خطابه الذى أعطاه لإلينى، وهل سوف يعجبها كلامه الملئ بالحب والشوق والهيام وتتفاعل معه مثلما تفاعلت مع عبد الحليم فى الوسادة الخالية، وهل سوف تحضر فى السادسة مساء لتقابلة بجانب عش الحمام على سطح العمارة كما طلب منها راجياً باسم الحب السامى والشوق الحار الذى يكنه لها.

أخذ حسين كتاب الإنجليزى وذهب لأنتظار إلينى بجانب عش الحمام كانت

السماء صافية والشمس تميل للغروب، والهواء قادم من البحر المتوسط عليلاً منعشاً . لم يكن بجانب عش الحمام إلا مقعد واحد كبير، فوقف حسين فى انتظارحبيبة القلب. وبعد عدة دقائق حضرت إلينى وكانت فى منتهى الجمال والرقة لكنها تعمدت ألا تنظر إلى حسين، وكان معها بعض الحبوب فألقتها على أرض العش فالتف الحمام حولها يلتقطها وهو يطلق أصواتًا خافتة تنم عن سعادته بهذه الحبوب.

جلست إلينى على طرف المقعد وأشارت لحسين أن يجلس بجانبها.

اجلسى براحتك.

المقعد كبير ويتسع لأربعة أشخاص فى أحجامنا النحيلة .

جلس حسين بجانبها قبل أن تتراجع فى كلامها .

هل قرأت خطابى ؟

طبعا قرأته ولماذا أنا هنا إذن ؟

وما رأيك ؟

نظرت إليه بهلع وقالت وهى تنتحب بصوت يكاد لايُسمع ناظرة إلى الحمام : كلامك جميل لكن ماما قالت لى عندما ذهبنا إلى السينما مع بعض : السينما فقط ولا شئ آخر .

وما هو هذا الشئ الآخر؟

الشئ الآخر هو أننى لن أبادلك الحب فأنا يونانية مسيحية وأنت مصرى مسلم. وبعد القرارات الاشتراكية واستحواذ الحكومة على أملاك معظم اليونانيين وغيرهم من الجاليات الأخرى وكثير من المصريين كذلك .قال بابّا المولود فى الأسكندرية مثلى ومثلك ومثل أبيك إنه لا مستقبل لنا فى مصر.

نظر حسين بدوره إلى الحمام وهو يلتقط الحبوب من على الأرض وقد اضطرب قلبه وشعر بالدماء تكاد تقفز من وجنتيه و يفكر ماذا يقول، فاستدار إلى إلينى فتقابلت أعينهما فانهمرت إلينى فى البكاء.

لماذا البكاء إذن؟ إنك تحبيننى مثل ما أنا أحبك، لكنك تكابرى بسبب كلام مامتك وأبيك . وليس لنا دخل بقررات الحكومة الاشتراكية، أما بالنسبة للديانة المختلفة فلا أرى مانعًا فى أن نحب بعضنا البعض.

قالت إلينى بحزم ولكن برقة وحزن شديد بعد أن جففت دموعها : هذه آخر مرة نتقابل هنا بل فى أى مكان ولن أسمح لنفسى أن أحبك وعليك أن تفعل نفس الشئ، فلا مستقبل لحبنا، فقد اشتركت الحكومات والتقاليد والناس على خيانتنا وتدمير حبنا الوليد.

لكنى ليس لى قوة أو إرادة فى أن أمنع نفسى من حبك.

هذا شأنك نهارك سعيد.

تركت إلينى حسينًا وهو حائر مذهول لا يعرف ماذا يقول أو يفعل فى ميعاد غرامى انتهى فى ثلاث دقائق.

(6)

ذهب حسين إلى مسكنه وارتمى على سريره وهو يجهش بالبكاء، وبقى على ذلك الحال حتى الصباح التالى.

انتظر حسين بوجه متورم وعيون حمراء من سهر الليلة الماضية على باب العمارة لكى يرى إلينى وهى تركب سيارة المدرسة ويلقى عليها الصباح. ظهرت إلينى على الباب جميلة أنيقة لكن عيونها الساحرة حمراء متورمة . حاول حسين أن يقول لها نهارك سعيد لكنها لم تلتفت إليه، وقفزت فى سيارة المدرسة . ورأى حسين زميلاتها ينظرن إليها فى السيارة وإليه على باب العمارة وقد بهتت مشاريع ابتسامات على وجهوهن الجميلة .

كل صباح ينتظر حسين على باب العمارة لكى يقول «نهارك سعيد إلينى»، لكن

إلينى استمرت فى تجاهله وعدم إعطائة الفرصة لكى يكلمها أو يلقى عليها الصباح. وفى صباح خماسينى مكفهر وجد حسين إلينى أمامه.

نهارك سعيد حسين.

حسين متعلثماً وقد دق قلبه من المفاجأة لكنها دقات الفرح والحب والهيام : نهارك سعيد إلينى. وقبل ان يكمل حسين كلامه وجد فى كفه خطابًا منها . وطارت مثل الفراشة إلى سيارة المدرسة. نظر حسين إلى الخطاب وقرأه فى لمحة واحدة، فإنه ليس خطابًا، إنه تلغراف من ثلاثة أسطر يعلن وفاة حسين .

« عزيزى حسين : كفى عذاب لى ولك. انتظارك لى كل صباح هو كل العذاب والحرمان .فأنت لا تعرف مدى عذابى وأنا أراك كل صباح وأنا ممتنعة من النظر إليك أو التحدث معك. لو سمحت بحق يوم الحب الجميل والوحيد الذى قضيناه سويا مع عبد الحليم ولبنى لا تنتظرنى فى الصباح، فهذا يؤلمنى ويسبب لى مشاكل مع زميلاتى فى المدرسة».

قرر حسين أن يمنع نفسه من انتظارها كل صباح احتراما للجوار واحتراما للحب السامى الذى يكنه لها. لكنه قرر أن ينظر إليها من الشرفة وهى تركب سيارة المدرسة .

أثناء حصة التاريخ طرق باب الفصل ودخل وكيل ناظر المدرسة وأعطى المدرس ورقة صغيرة قرأها بسرعة.

ونادى: حسين محفوظ حسين عليك بأخذ حقيبة كتبك والذهاب لمكتب الناظر.

وقف حسين مذهولاً خائفاً.

المدرس بتودد : لا تخف يا حسين لا توجد أي مشاكل لك فلا تخف . خير إن شاء الله.

فوجئ حسين بوجود أبيه فى مكتب الناظر. نظر حسين إلى الناظر مرعوبًا.

فقال له الناظر: عليك الذهاب مع السيد والدك وقد طلب لك إجازة أسبوع وأنا وافقت عليها.

(7)

نظر حسين إلى أبيه مستوضحا كل هذه الأمور المتتالية، ما معنى ترك عمله والحضور للمدرسة فى نصف اليوم الدراسى ؟ وما هى دواعى الإجازة؟

نظر الأستاذ محفوظ إلى ابنه حسين مشفقاً.

وقال: لقد استشهد ابن عمك الملازم أحمد مصطفى فى اليمن، وسوف نسافر إلى القاهرة مع جدك لنكون مع عمك فى استقبال جسد الشهيد ودفنه بإذن الله.

نظر حسين إلى الأرض وأدمعت عيناه فى سكون فإن أحمد ليس ابن عمه فقط لكنه صديق الطفولة والمصيف والمرح واللهو، وكان ينتظره كل صيف عندما يأتى وأسرته من القاهرة لكى يستمتعوا بالإجازة الصيفية سويا. ورغم أن احمد يكبره بأربع سنوات وهو الذى علمه السباحة وركوب الدراجات وصيد الأسماك وأشياء أخرى كثيرة، لكن حسينًا كان يرى فيه صديقه ومعلمه وابن عمه وأخيه الكبير.

التف بعض المدرسين ومعهم الناظر حول حسين وأبيه يقدمون إليهما خالص التعازى فى مصابهما الأليم.

ذهب حسين وأبوه إلى بيت جده فى شارع الإمام مالك القريب من باب عمر باشا فوجد البيت مكتظًا بالمعزين مسلمين ومسيحين وأرمن ويونانين وشوام وغيرهم حيث كان جده الحاج حسين الفكهانى معروفًا فى سوق النصارى بباب عمر باشا .

وجد حسين جده ثائراً على عبد الناصر.

عبد الناصر خرب بيوت الناس وأخذ شقاهم، والآن يقتل أولادهم فى حرب ليس لنا بها دخل أو مصلحة ابنى محمود استشهد فدائيًا فى بورسيعد ولم أقل شيئا لأنه كان يدافع عن بلدنا، واليوم حفيدى استشهد دفاعاً عن اسم زعيم العرب الذى استصغر مصر على نفسه فأصبح يشترى زعامته بدماء المصرين.

الأستاذ محفوظ قائلاً : يا عم الحاج الحيطان لها ودان نريد أن نذهب إلى بيوتنا.

لو قبضوا عليّ سوف أقول لهم انى عجوز خرفان محروق على حفيدى الذى قتل فى حرب ليس لنا فيها ناقة ولا جمل.

سافر حسين وأبوه وجده وجدته للقاهرة ولحق بهم بقية العائلة فى اليوم التالى.

عاد حسين وأبوه بعد ثلاثة أيام من القاهرة مرهقين. وبعد تناول الطعام انصرفت أم حسين إلى غرفة نومها.

وجد حسين أمه منزوية فى غرفة نومها وهى تبكى بكاءً صامتاً.

فقال حسين لأمه : أرجوكى يا أمى أن لا تبكى، فإن بكاءك يجعلنى أبكى مرة أخرى، فقد بكيت بما فيه الكفاية حتى لم تبق دموع فى مقلتى.

نظرت إليه أمه بحزن وأعطته خطابًا وقد أغرورقت عيناها بالدموع.

نظر حسين إلى الخطاب فابتسم ابتسامة خجولة، فإنه ليس له حق الفرح والبهجة وابن عمه وصديق طفولته شهيد مدفون تحت التراب حتى لو كان الخطاب من حبيبة القلب إلينى .

(8)

« عزيزى حسين : عندما تقرأ خطابى هذا سوف أكون فى مطار القاهرة أنا وأسرتى فى طريقنا إلى كندا بلد مهجرنا الجديد. بعد أن لفظتنا بلدنا الأصلية مصر الحبيبة. وقد كان أبى يريد العودة إلى اليونان لكن ماما أرادت أن تكون بجانب أختها فى مونتريال. فأرجوك أن لا تغضب لهذا الخبر، فقد طلب منا بابا أن نكتم خبر هجرتنا عن الجميع. آمل أن تكون قد فهمت سبب بكائى فى السينما وفى عش الحمام . فقد كنت أبكى حبًا محكومًا عليه بالفشل، حبًا ساميًا طاهرًا عفيفًا، حبًا لك ولأسرتك الكريمة التى جاورتها منذ نعومة أظفارى. أرجوك يا حسين وبحق حبنا الطاهر أن لا تغضب منى وتسامحنى على كتمان خبر هجرتنا. كذلك أريد منك أن تنسانى لأنى سوف أحاول نسيانك ونسيان سوق النصارى وباب عمر باشا ونهارك سعيد».

ارتمى حسين بجانب أمه وهو ينتحب من البكاء، فقد خسر فى أسبوع واحد صديق الطفولة، وحبه الأول وأصبح يهزى لنفسه:

كندا ... كندا... كيف أذهب إلى إلينى فى كندا وما هو ثمن تذكرة الطائرة . أبعد مكان ذهبت إليه هو القاهرة .. ما بالك بكندا ؟ إلينى لم تقل على عنوانها فى كندا لكى أراسلها . قد ترسل لى خطابًا على عنوانى فى باب عمر باشا .

وعاش حسين السنوات التالية على أمل أن يصل إليه خطاب من إلينى . حسين لنفسه: إلينى قالت فى خطابها: يجب أن أنساها لأنها سوف تنسانى. لكنى غير مصدق كلامها، لأن دموعها ونظراتها تقول إنها تحبنى بصدق مثل حبى لها. سوف أنتظر خطابها إلى نهاية عمرى.

انشغل حسين فى الدراسة بكلية هندسة أسكندرية، ولم يعد يتذكر إلينى إلا قليلاً، ولكنها فى قلبه وفكره ولن ينساها أبداً. والآن عليه أن يتفوق ليكون معيداً بالكلية، ويُعد نفسه لبعثة دراسية فى الغرب فيكون قريباً من كندا وإلينى. وعاش حسين على هذا الأمل لخمس سنوات دراسة بالكلية، ورغم تفوقه فى كل سنوات الدراسة وحصوله على تقدير جيد جداً فى السنه النهائية لكنه لم يحصل على وظيفة معيد فى الكلية.

ذات يوم، وفي وقت العصر كان حسين يجلس بالشرفة المطلة على شارع العطارين وسوق النصارى يفكر فى مستقبلة بعد الكلية. فرأى رجلًا طاعنًا فى السن، إنه أحد اقارب مسيو زخارى يشترى بعض الفاكهة، رأى حسين أن يسأله عن أخبار إليني نزل حسين الدرجات بأسرع من البرق، وانتظر الرجل حتى ينتهى من الشراء فقال له : سعيد مبارك يا خواجه.

سعيد مبارك خبيبى من أنت؟

انا حسين محفوظ، وكنت جار مسيو زخارى فى هذه العمارة.

مسيو زخارى رخمه الله يا خبيبى .

بهت حسين من الفاجعة لكنه تمالك نفسه بسرعة ليعرف بقية أخبار الأسرة.

كيف حدث هذا ومتى ؟

(9)

هذه قصة طويلة وحقيبة الفاكهة ثقيلة على يدى، قال الخواجه هذا وهو يعطى حقيبة الفاكهة لحسين.

أسمح لى أن أحملها لك . هل تسكن قريباً من هنا ؟

حوالى مائة وخمسين مترا من هنا وأشار ناحية شارع الخديو.

حسين يريد معرفة أخبار إلينى لكنه محرج أن يسأل عنها، فإن معظم اليونانيين المصريين لهم طباع مصرية شرقية، فعليه أن يسأل عن أخبار أسرتها عموماً.

حسين متعلثماً : ماذا حدث لمسيو زخارى ؟

اليونانيون الخرامية سرقوه بعد أن اشترك معهم فى مشروع رستران، وأصيب بشلل نصفى من الفاجعة وبعدها بشهور توفى حزيناً على شقى عمره.

حسين لنفسه : الرجل لم يذكر إلينى.

استطرد حسين بحياء: وماذا فعلت بقية الأسرة ؟

عايشين فى كندا بأى شكلً كان.

وصل الاثنان لسكن الخواجه ولم يعرف حسين أخبار إلينى، وهذا الخواجه العجوز الخبيث يعرف ماذا يريد، لكنه لا ينطق ...

وقبل أن يفترقا قال العجوز : على فكرة إلينى تعيش فى أسكندرية من سنة.

وقع الخبر على حسين كالصاعقة وكاد يمسك فى رقبة هذا العجوز الخبيث. لكنه تمالك نفسه .

عايشة فى أى مكان بالاسكندرية ؟

تزوجت فى كندا واخد مصرى كان يدرس هناك اسمه جرجيرى.

الدكتور فوزى الدرديرى أستاذ الفيزياء بكلية الهندسة.

تقريباً هو ... مرسى خبيبى . وأخذ الخواجه حقيبة الفاكهة من حسين.

هل تعرف عنوانها لكى تذهب أمى لزيارتها وتبارك لها ؟

لا اعرف العنوان لكنها تسكن خلف كلية الخندسة.

رجع حسين لمنزله وهو يجر أذيال الخيبة والحسرة وقد سبقه الدرديرى فى فعل ما كان ينوى فعله.

والأقدار لها قولها النهائى. إلينى لن تعيش خارج مصر وطنها ووطن أحبائها. لكن لماذا لم تعرّفنا أنها تعيش فى الأسكندرية ؟ بالتأكيد لأنها لا تريد الحضور لمسكنها القديم وتثير ذكريات الحب والشوق والحرمان لحسين ولنفسها. فقد نسيت أو تناست غرامها بحسين حبها الأول. لكنها لم ولن تنسى أبداً حبها لمصر.

السلام عليكم عم علوان.

عليكم السلام يابشمهندس : هذا خطاب لك .

شكرا ياعم علوان.

أنه خطاب من وزارة السد العالى يخطره بالحضور لموقع السد فى خلال أسبوع. تشاء الأقدار أنه فى اليوم نفسه الذى يعلم حسين بوجود إلينى فى الأسكندرية يعلم أن عليه مغادرتها إلى أسوان.

السد العالى هو حب حسين الجديد الذى يجب أن ينجح فيه والسهر عليه ليل ونهار، أما إلينى فإن حبها ذكرى رقيقة جميلة سعيدة سوف يعيش عليها بقية حياته.

تمت

***

الباب الجديد
(1)

دخل المتهم مكتب وكيل نيابة المنشية بالأسكندرية وهو مطأطأ الرأس يجر أقدامه جراً، فصاح به الشرطى : تحرك يا مجرم يا ابن المجرم.

المتهم فى قضية قتل الحاج رامى يا أفندم. صاح الشرطى وهو يمسك بتلابيب المتهم.

اسمك وسنك وعنوانك ؟ سأل كاتب النيابة المتهم.

محمد وجدى فخر الدين، وعمرى خمسة وثلاثون عاما، وعنوانى بشارع راغب فى حى الباب الجديد، أجاب المتهم عن تلك الأسئلة وهو يتفرس الأرض ذاهلاً كأنه يبحث عن حفرة يدفن فيها نفسه .

وكيل النيابة ينتفض عند سماعه الاسم فنظر بذهول إلى المتهم وكاد يغمى عليه. إنه وجدى زميل الدراسة الثانوية فى مدرسة رأس التين وجاره فى سكنه القديم بالباب الجديد، وابن المرحوم عم فخر الدين صديق أبيه. لم يستطع وكيل النيابة النظر فى وجه وجدى مرة أخرى، فإن هول المفاجأة أفقده توازنه وتفكيره، فطلب من كاتب النيابة أن يتوقف حتى يقابل رئيس النيابة.

تعجب وجدى من وكيل النيابة لإيقافه التحقيق فاختلس نظرة إليه فصُعق و تمنى أنه يفقد البصر ولا يرى ما يراه، إنه سمير هلال زميل الدراسة الثانوية وجاره القديم، وتمنى وجدي أن تبتلعه الأرض أو يموت بسكتة قلبية وهو فى طريقه للنيابة، أو ليته كان قد قتله الباعة ضرباً فى سوق النصارى أو دهسه الترام عندما كان يلعب الكرة الشراب وهو صغير فى شارع راغب . إنه متهم فى قضية قتل الحاج رامى جار الخواجه زخارى فى سوق النصارى. إن قضيته ميئوس منها ولن يخرجه منها أكبر محامٍ فى بر مصر بعد اعتراف شريكه فى هذه الجريمة الشنعاء. وزاد الطين بله أن وكيل النيابة هو زميل دراسة وصديق طفولته، إنه يريد أن يموت الآن أو يشنق حالاً، يريد أن تنشق الأرض وتبتلعه.

صدرت الأوامر من رئيس النيابة أن يعاد المتهم إلى الحجز حتى أوامر أخرى .

عاد وجدى مقيدًا بالحديد إلى الحجز، وكان مزدحما باللصوص والنشالين والمتسولين والمجرمين، وقد تميز عليهم بهندامه النظيف وطلعته التى تدل على أنه شخص متعلم . فهو رجل وسيم طويل القامة، رشيق الجسم، يعتلى رأسه شعر أسود كثيف يتخلله بعض الشعيرات الفضية اللون.

تعال يا أستاذ اجلس هنا، قال أحد المحتجزين.

شكراً... قالها وجدى بصوت خافت وهو مرهق وعيونه زائغة بين المحتجزين.

ما هى تهمة الأستاذ ؟

سرقة وقتل.

بسيطة إعدام إن شاء الله.

قال آخر : لدى محام يخرجك منها مثل الشعرة من العجين، فقط أتعابه غالية جداً، لكنى ممكن أتوسط لك عنده يخفّض أتعابه وهذا عندما أخرج أنا من هذه القضية.

سأله أحد المحتجزين : وما هى قضيتك ؟

(2)

سأله أحد المحتجزين : وما هى قضيتك ؟

الحكومة تتهمنى بالاحتيال لكن بشرفى أنا مظلوم.

قال محتجز آخر : كلنا هنا مظلومون .

فسأله شخص ثالث : احتلت على من ؟

لم أحتل على أحد، إنما بعت شقة خالية فى حى أسبورتنج، وعندما ذهب المشترى الجديد ليسكنها وجد صاحبها فيها !!! وهو رئيس محكمة الأسكندرية الذى كان معارًا لإحدى الدول العربية !!!

استمر اللصوص والنشالون والمتسولون والمجرمون فى النقاش والثرثرة.

فانتحى وجدى جانباً يفكر فى قضيته وما آل إليه حاله .. وكيف أتى إلى هذا المكان؟ وماذا سوف تفعل زوجته وأبناؤه؟ وماذا سوف تفعل حماته الملعونة ؟

نعم حماته هذه السيدة المتسلطة وزوجته ضعيفة الشخصية والمنقادة إليها، هما السبب فى كل مشاكله بمطالبهما التى لا تنتهى. ورجع بالذاكرة لشهور مضت عندما تركت سامية المنزل وذهبت لأمها فى كوم الدكة هى والأولاد، فذهب لمصالحتها حتى تعود إلى المنزل فقالت حماته بلهجة مستفزة عدوانية آمرة :

اسمع يا سى وجدى، بنات الناس ليست لعبة وإذا لم تكن على قدر مسئولية الزواج ومصاريفه لماذا تزوجت ؟

هذا لم يكن كلامك فى البداية عندما طلبت منى ترك دراستى الجامعية والعمل والزواج من سامية.

لم يضربك أحد على يدك، وأنت الذى كنت سوف تجن من أجلها، وتأتى كل يوم مع أخيها بحجة المذاكرة وتشاغلها. وكان من الممكن أن تتزوج من هو أفضل منك مئات المرات، ومن الذى يعرف قيمتها، أما أنت موظف حكومى محدود الدخل.

قال وجدى فى نفسه : هذه السيدة المحتالة نصبت شباكها حولى هى وابنتها حتى تركت دراستى الجامعية رغم معارضة أهلى، وتزوجت ابنتها والآن أصبحت غير مرغوب فيه لأنى موظف حكومى محدود الدخل.

قال وجدى منهكاً : إننى أعمل ليلاً نهاراً لكى أسعدها وألبى طلباتها التى هى طلباتك. فنهاراً أعمل فى الحكومة وليلاً أسوق سيارة أجرة ماذا تريدان منى ؟

- لن تعود معك سامية حتى تشترى لها أسورتين من الذهب مثل بنت خالتها.

- إننى أريد سماع هذه الطلبات من سامية نفسها.

- سامية لن تتحدث معك ولن ترى أولادك حتى تلبى طلباتها التى قلت لك عليها.

- لن أذهب إلى أى مكان حتى أرى زوجتى وأولادى.

وعندما احتد النقاش بين وجدى وحماته خرجت إليه سامية من الغرفة الأخرى وقالت :

كل الذى قالت عليه أمى أنا موافقة عليه. ولن ترى الأولاد حتى تنفذ هذه الطلبات التى وعدت أنت بها من قبل.

إنهما يعرفان مدى حبى لأولادى، ولهذا تبتزانى ، قال هذا وجدى فى نفسه.

فكر وجدى قليلاً وقال :

(3)

فكر وجدى قليلاً وقال

محتاج بعض الوقت لتنفيذ رغباتكنا .

قالت حماته : هذه مطالب سامية وليست مطالبى.

- سامية تسمع كلامك وتنفذ أوامرك وطلباتك المخرّبة.

- سامية ابنتى ومطالبى فى صالحها ولن تفعل غير الذى أقول عليه.

انتبه وجدى على صوت حارس الزنزانة وهو ينادى على أحد المساجين.

عاد وجدى لأفكاره وما فعلته حماته به وبأسرته وتمنى أن تكون قد قُتلت بدلاً من الحاج رامى. بل كان عليه أن يتخلص منها بدل أن يلبى طلباتها. وللأسف الشديد أن سامية زوجته التى أحبها بجنون وترك دراسته الجامعية وقاطع أهله بسببها وتزوجها لا تقدر كل هذه التضحيات، وكل همها هو مزيد من الملابس والحلى الذهبية وتلبية رغبات أمها بالتظاهر بالثراء والعنجهية، وكأنها متزوجة وزيراً أو تاجراً للمخدرات.

توصل وجدى إلى حل مؤقت وهو أن يأخذ خمسمائة جنيه من عهدته فى الوزارة التى يعمل بها لشراء الأساور الذهبية التى تريدها حماته لسامية، وعندما ترجع زوجته إلى البيت يأخذ الأساور منها ويعيدها للصائغ بسعر أقل، لكنه سوف يسترد معظم

المبلغ الذى سوف يعيده للعهدة. وهذه الخطة يجب أن ينفذها قبل الجرد النصف شهرى على العهدة.

وسوف يتفق مع زميله فى إدارة التفتيش أن يبلغه بأى جرد مفاجئ فى خلال تنفيذ هذه الخطة ليجد وسيلة لترتيب المستندات حتى توافق رصيد العهدة الموجودة فى الخزينة.

عاد وجدى بعد عدة أيام إلى كوم الدكة ومعه بعض الفواكه لأولاده والأساور الذهبية لزوجته .

قالت سامية : أشياء جميلة يا وجدى يا حبيبى.

قال وجدى وهو مهموم : أهم شئ أن تعودى أنت والأولاد للمنزل.

صاحت حماته : لن تذهب سامية والأولاد إلى أى مكان حتى تلبى بقية الطلبات.

صاح وجدى يائساً : وما هى بقية الطلبات ؟

(4)

صاح وجدى يائساً : وما هى بقية الطلبات ؟

بنتى يجب أن تسكن فى حى غير الباب الجديد الشعبى، وشارع غير راغب باشا، يجب أن تسكن فى خط الرمل مثل سبورتنج أو كليوبترا مثل بنت خالتها وأقاربها.

هذه أحياء غالية وباهظة التكاليف.

ليست مسئولية بنتى، إنما مسئوليتك أنت، فأنت زوجها وكفاها قلة قيمة والحياة فى الباب الجديد، ولن تذهب معك حتى تحضر لها سكنًا فى خط الرمل.

أنت تطلبين المستحيل، ولا أراك تعيشين أفضل من بنتك، فأنت تعيشين فى حى كوم الدكة الشعبى الذى هو أقل من الباب الجديد أو مثله فى المستوى.

صاحت سامية وقالت لأمها : سوف أذهب مع زوجى الآن وسوف نتكلم على موضوع الشقة فى المستقبل.

- لو خرجت معه الآن لن ترى منه أى شئ، ولن تكونى ابنتى ولا أعرفك.

تراجعت سامية عن كلامها ونفذت رغبة أمها وهى باكية.

احتار وجدى ماذا يفعل فى حماته وزوجته والمصيبة الجديدة فى العهدة المالية التى أنفقها فى شراء الأساور الذهبية.

فقال محتداً : فى هذه الحالة يجب أن آخذ الأساور الذهبية حتى تعود سامية للمنزل.

- لن تأخذ أى شئ فإن هذه الأساور من حق ابنتى.

وتفاقم النقاش وتعالت أصواتهم فتدخل الجيران وأقنعوا وجدى أن يذهب إلى بيته ويعود بعد يومين حتى تهدأ الأمور.

خرج وجدى من منزل حماته وهو يغلى من الغضب منها، والإحباط من سامية، فكل طلب يلبيه لهنّا تطلب حماته طلبًا أكبر وأصعب وأغلى، والآن هو متورط فى ثمن الأساور الذهبية ويجب عليه إعادة خمسمائة جنيه لعهدة الحكومة قبل التفتيش النصف شهرى، أو اكتشاف رؤسائه للعجز فى العهدة المالية، فعليه أن يتصرف بسرعة.

ذهب وجدى إلى قهوة عم متولى، وهى فى شارع ضيق متفرع من شارع العطارين والقريبة من المنشية الصغيرة . جلس منفرداً يحتسى كوباً من الشاى يفكر فى طلبات حماته بالإضافة إلى العهدة المالية التى أنفقها .

تململ وجدى فى جلسته فى سجن محكمة الإسكندرية وكرر فى ذهنه المصائب التى كانت تنصب على رأسه بسبب حبه لزوجته وأولاده بما وضعه فى قاع المجتمع، وطلبات حماته التى أودت به إلى السجن ومنه للمشنقة، وبالطبع لم يلم نفسه الطماعة على ما آل إليه حاله.

قال له أحد المساجين فجأة:

(5)

قال له أحد المساجين فجأة:

تفضل يا أستاذ ساندوتش فول قال .

أنا شاكر، لست جوعانًا.

يجب أن تأكل يا أستاذ وجدى، فإن صحتك فى السجن أغلى شئ، بل الشئ الوحيد الذى تملكه.

فقال أحد المساجين : لا تصدق كلام بعض المساجين بأنك سوف تُعدم، فإن أمامك مشوار طويل، والتحقيقات مازالت فى البداية، فلا تفكر فلها حل إن شاء الله.

قال مسجون آخر : هل قتلت فعلاً الحاج رامى ؟

نظر وجدى إليه بفزع وقال : من قال لك هذا ؟

كل السجن يعرف قصتك وقصة عصابتك .

إننى لم أقتل أحدًا وإنما شريكى ضرب الحاج رامى من خلفه على رأسه بقبضة يده عندما حاول أن يمنعنى من الفرار أثناء خروجى من شقة الخواجه زخارى. فوقع الرجل كبير الحجم على الأرض ميتاً.

هذا معناه أنك لم تلمس القتيل، والذى ضربه هو شريكك فى السرقة إذن هو المسئول عن قتله. واستطرد هذا السجين بقوله : أعرفك بنفسى فأنا الأستاذ عبد الغنى البحيرى مساعد محامى وخبير قانونى ولى سنتان دراسة فى حقوق القاهرة.

فنظر إليه وجدى باستغراب وسأله : وماذا أتى بك هنا ؟

قبضت علىّ المباحث بسيجارة حشيش، لكننى مظلوم، وسوف يحضر المحامى الذى يعمل معى ويخرجنى من هنا فى خلال ساعات إن شاء الله.

قال وجدى مثلما قال مسجون سابق :كلنا مظاليم هنا.

بإمكانك أن تقص علىّ قضيتك، وسوف أقول لك ماذا تفعل، فقط اشترِ لى مشروب شاى من البوفيه.

قال وجدى وهو محرج : ليس معي أي نقود، فقد أخذ المخبرون كل نقودى وساعتى عند القبض علي.

فقال الأستاذ عبد الغنى : سوف أطلب أنا لك شايًا ولا تحمل هم النقود.

نظر وجدى إلى الأستاذ عبد الغنى البحيرى فوجده شخصًا قصير القامة نحيف القد، ويلبس بنطلونًا غامقًا لم يتضح لونه من فرط اتساخه وقميصًا كان أبيض فيما مضى لكنه الآن ليس له لون، لكن ياقته سوداء من عرق الأستاذ عبد الغنى، ورباطة عنق سوداء باليه. لكنه خفيف الظل ومعظم المساجين يعرفونه وينادونه بالأستاذ بحيرى .

بعد أن شرب وجدى الشاى بدأ يتآلف قليلاً مع من يحيط به من لصوص ونصابين ونشالين ومتسولين، فسأل عبد الغنى : لماذا أتيت إلى الإسكندرية ولماذا تركت دراستك فى جامعة القاهرة؟

لم أترك الدراسة بإرادتى وإنما فُصلت من كلية الحقوق.

لماذا ؟

الحكومة ألصقت لى تهمة دعارة لكننى وشرفى مظلوم . هل لديك محامٍ؟

لا.

لا تحمل هما.. فسوف أقنع المحامى الذى يعمل معى أن يتولى قضيتك وأتعابنا ليست كبيرة .

نادى الحارس : أستاذ بحيرى عليك الخروج من هنا، فقد أُفْرج عنك بضمان المحامى الذى حدد لك جلسة محاكمة فى الشهر القادم.

نظر الأستاذ عبد الغنى البحيرى لبقية المساجين وعلى وجهه ابتسامة انتصار، ونظر اليه المساجين بدهشة وإلى الحارس الذى يناديه بأستاذ بحيرى باستغراب، فالواضح أن البحيرى رغم ضآلة حجمه وهيئته المزرية معروف لحراس السجن وكثير من المساجين. لكن البحيرى لم ينس أن يأخذ بعض أسماء وعناوين المساجين حتى يترافع عنهم المحامى الذى يعمل معه !!!

رجع وجدى إلى نفسه وأفكاره وقد بدأ يشعر بآلام فى المعدة والرأس .

(6)

حاول وجدي أن يتغلب على هذه الآلام بتذكر الماضى الجميل عندما كان يلعب الكرة الشراب مع أقرانه وهو حافى القدمين فى شارع راغب باشا، ويتوقفوا أثناء مرور الترام الأزرق الذي يترك القضبان الحديدية ساخنة فيتحاشاها لاعبو الكرة حتى لا تحترق أقدامهم العارية.

وفجأة قفز في ذاكرته الخواجه زخارى والنصف مليون جنيه الذي حصل عليه ثمنًا لبيع دكانه إلى الحاج فتحى تاجر الأقمشة المعروف فى زنقة الستات بالمنشية الكبيرة، وكيف عرف هذا الخبر من صديقه جمال السواق أثناء جلوسه فى قهوة عم متولى.

وهل أخذ المبلغ بشيك ؟ سأل وجدى جمالًا.

بالطبع لا فإن الشيك يجب أن يوضع فى البنك، ولو الحكومة عرفت بهذا سوف تصادر هذا المبلغ الرهيب.

مبلغ رهيب فعلاً وسوف يحل كل مشاكلى قال هذا وجدى فى نفسه (وكان هذا فى خمسينات القرن العشرين عندما كان الجنيه يساوى خمسة دولارات) .

وهل أنت متأكد من هذا ؟ سأل وجدى جمالًا بصوت خافت حتى لا يسمعه رواد القهوة .

أجاب جمال بصوت خافت أيضاً : طبعاً متأكد فإن الحاج فتحى والخواجه زخارى وقعا العقود أمامى، وذهب الخواجه زخارى ومعه النصف مليون جنيه إلى بيته مباشرة، وقد أوصلته بنفسى بسيارة الحاج فتحى وماذا تقصد من هذا السؤال ؟

ابتسم وجدى ابتسامة شيطانية وقال بصوت خافت جداً :نصف مليون جنيه مبلغ كبير يحل مشاكل كثيرة وأنت تعرف ماذا أقصد. وقرر الصديقان التخطيط للسطو على الخواجه زخارى.

قال وجدى : 125 ألف جنية ممكن أشترى شقة جديدة فى أرقى أحياء الأسكندرية،

وأشترى تاكسى خاصًا بى بدل العمل على تاكسى مستأجر. وحتى تكف حماتى المتكبرة المتسلطة أن تنتقص منى ومن وظيفتى ومن الباب الجديد الذى أقطن به، وسوف أعطيها درسًا فى الأدب لن تنساه، وسوف أخرسها للأبد.

قال جمال بعد أن نظر إلى وجدى بجدية : أما أنا فسوف أشترى محلًا لتجارة الأقمشة ولن أعمل أجيرًا بعد ذلك أبداً .

استمر وجدى وجمال فى الحديث الخطير بهمس، فقال وجدى: علينا الكلام فى مكان آخر تعال معى لنجلس فى سيارتى الأجرة وحدنا.

سأل وجدى جمال : أين يسكن الخواجه زخارى ؟

فى ناصية شارع العطارين وسوق النصارى فى العمارة التى بها دكان عم فانوس الفرارجى.

إننى أعرف هذه العمارة القديمة، وهذا مكان مزدحم فلو دخل أى أحد العمارة لن ينتبه إليه أحد.

لكن البواب جالس على باب العمارة يراقب كل شئ.

إذن علينا مراقبة العمارة ونعرف مواعيد البواب والخواجه زخارى.

فقال جمال : إننى أعرف أن الخواجه زخارى يذهب هو وزوجته يوميا للدكان هذه الأيام من العاشرة صباحاً حتى الثامنة مساءً حتى يتسلمه الحاج فتحى آخر الشهر، لكن بنت زخارى تذهب للمدرسة مبكرا ولا تعود حتى الرابعة عصراً، ولديهم شغالة وعطلتها يوم الثلاثاء من كل أسبوع .

أنت تعرف كل شئ، همس وجدى . فقال جمال : نعم أعرف كل شئ وكنت أبحث عن شريك فى هذه العملية وسوف أعطيه ربع المبلغ.

فقال وجدى بحدة : لكنى أريد النصف . أجابه جمال بلطف وابتسامة خبيثة: لك النصف إذن فهو مبلغ كبير يكفينا المهم التنفيذ السريع قبل أن تجد أمور لا نعرفها.

قال وجدى : علينا أن نبعد البواب عن العمارة لمدة ساعة أو أكثر يوم الثلاثاء

فى وقت الظهيرة، وشقة زخارى خالية، وسوق النصارى مزدحم على أشده بالباعة والمشترين.

كيف هذا ؟ سأله جمال.

(7)

قال وجدى : إن البواب لا يعرفنى لهذا سوف أسلمه إخطارًا أكتبه بنفسى الساعة الثانية عشرة ظهراً بأنه مطلوب حالاً فى قسم شرطة العطارين على أنى مخبر مباحث من القسم، وهذا يوم الثلاثاء حتى لا يضع أحدًا مكانه. وعلينا مراقبته حتى يترك مكانه وندخل العمارة ونفتح شقة زخارى ونبحث عن النصف مليون جنية وأخذه وأخرج من الشقة، وكل هذا فى نصف ساعة فإن الوقت الذى سوف يستغرقه البواب تقريباً فى الذهاب والعودة من قسم شرطة العطارين هو 45 دقيقة.

قال جمال : لماذا لا تسأل أحدًا غيرنا بكتابة هذا الإخطار ؟

فأجابه وجدى بهمس : لا أريد شريكًا ثالثًا ولكنى سوف أكتب الإخطار على ورقة صفراء مثل التى نستعملها فى المصلحة الحكومية، وسوف أكتبها بيدى اليسرى حتى لا يتعرف أحد على خطى.

ارتدى وجدى جلبابًا بنى اللون، ولبس طاقية صوف خضراء، وأحاط رأسه ووجهه بكوفية بيضاء وكأنه يتقى هواء الأسكندرية البارد فى شهر فبراير، لكنه فى الحقيقة كان يخفى معالمه تحت هذه الملابس.

وبلهجة آمرة قال وجدى :

السلام عليكم.

عليكم السلام، أجاب البواب وقد عرف هذا الرجل أنه مخبر من ملابسه.

خير إن شاء الله.

- هل أنت علوان البواب ؟

- نعم أنا علوان البواب.

- هذا إخطار من رئيس مباحث قسم شرطة العطارين يطلبك حالاً فى القسم.

- لماذا هذه السرعة؟ أنا محتاج أحدًا يحرس العمارة فى غيابى .

أجاب وجدى مزمجراً وبلهجة قاطعة : عليك الذهاب الآن فإنى أنفذ الأوامر فقط، ولا تعطلنى عن عملى .

ترك وجدى علوان البواب فى حيرة وقد أعطاه ظهره وسار فى اتجاه التاكسى الذى كان يجلس فيه جمال يراقب الموقف من حوالى مائة وخمسين متراً.

قفز علوان البواب من على كرسيه وذهب لقسم شرطة العطارين ومعه الإخطار كما قال له مخبر المباحث.

وصل وجدى إلى التاكسى فوجد جمالًا واقفاً خارجه وعاجل وجدى بقوله :

(8)

لقد ترك البواب باب العمارة.

لم يلتفت وجدى إلى جمال واستمر فى سير حتى ناصية الشارع القريبة، ووقف برهة ورجع أدارجه إلى جمال وكان الشارع مزدحمًا بالمارة، والسوق كذلك على أشده، ولم يلتفت أحد إلى وجدى أو جمال.

أشار وجدى إلى جمال إشارة متفقا عليها سابقا. فسار جمال أمام وجدى الذى يتبعه بهدوء كأنه لا يعرفه، ودخل الاثنان العمارة دون أن ينتبه إليهما أحد، كان الاثنان فى منتهى الرعب والارتباك، ووصلا بسرعة للدور الثالث الذى به شقة زخارى.

أخرج وجدى مجموعة مفاتيح مختلفه، وحاول أن يفتح باب شقة الخواجه زخارى لكن لم يفلح أى مفتاح فى فتح الشقة فصاح جمال بهمس :

- دعنى أكسر الباب.... فقد كان جمال قوى البنية طويل القامة عريض المنكبين.

- سوف يسمعنا الجيران. دعنى أجرب هذا المفتاح مرة ثانية.

دخل اللصان الشقة وقد بقى على المهمة خمسة وعشرون دقيقة.

أعتقد هذه غرفة النوم فسوف أبحث فيها عن النقود وعليك البحث فى الغرفة الأخرى همس جمال.

استمر اللصان فى البحث عن النقود خمسة وعشرين دقيقه ولم يجداها لكنهما وجدا بعض المصوغات الذهبية الثمينة فأخذاها .

همس وجدى لجمال : انظر إلى الخارج هل رجع البواب ؟

قال جمال : لا يوجد أحد أمام العمارة والسوق فى منتهى الازدحام علينا البحث عشر دقائق أخرى.

قال وجدى وهو مرعوب : ولا دقيقة أخرى أنا خارج.

قال جمال وهو غاضب وفى الوقت نفسه مستمر فى البحث عن النصف مليون جنية : إذا خرجت الآن ووجدت النقود بعد خروجك فليس لك شئ عندى.

لم يجاوب وجدى على جمال لكنه وقف لا يتحرك أمام الباب قبل أن يخرج فقد سمع أحد الجيران ينزل درجات السلم، فامتنع عن الخروج من الشقة حتى يتأكد أن السلالم خالية من أى أحد.

وقف وجدى خلف باب الشقة من الداخل لبضعة دقائق يتصنت إذا كان أحد ينزل أو يطلع درجات سلم العمارة، لكنه لم يسمع غير ضربات قلبه وقلب جمال المسرعة الملهوفة، وكان المكان هادئًا هدوء المقابر. فقرر وجدى أن يخرج ويترك جمالًا يبحث عن النقود ولم يعبأ بكلامه عن حرمانه من نصيبه.

نزل وجدى مسرعاً وفى الدور الثانى وجد أمامه ما لم يتوقعه أبداً .

(9)

نزل وجدى مسرعاً وفى الدور الثانى وجد أمامه ما لم يتوقعه أبداً.

رجلًا كبير الحجم كبير السن، أشقر الملامح، تظهر عليه علامات الثراء يرتدى بذة كحلية اللون ورباطة عنق كحلية ذات خطوط رفعية بيضاء، وتتعلق بجيبه ساعة بسلسلة ذهبيه سميكة .

بادر الرجل وجدى : السلام عليكم.

تمتم وجدى بالسلام وأسرع من أمام الرجل ووجه فى الأرض.

استدار الرجل ناحية وجدى وقال بلهجة آمرة : قف عندك يا أستاذ أين كنت ؟

قال وجدى متعلثما : كنت عند خالى.

من هو خالك.

عمل وجدى فكره بسرعة وقال : الحاج فتحى.

قال الرجل الأشقر بلهجة ينتابها الشك : لا يوجد ساكن هنا بهذا الاسم.

وفى هذه اللحظة ظهر جمال خلف الرجل الأشقر فعاجله بضربة قوية على رأسه، سقط الرجل أرضاً وهو يتحشرج. انحنى جمال على الرجل وانتزع ساعته الذهبية مع استنكار وجدى الذى قفز درجات السلم لكن بهدوء حتى لا يسمعهما أحد، هذا بعد أن انضم إليه جمال . شعر وجدى بأن هذا السلم هو أطول سلم فى العالم ولا يريد أن ينتهى، كأنه سلم برج القاهرة أو سلم برج إيفل . ولكن عند باب العمارة وجدا علوانًا البواب الذى تعرف عليهما فصاح :

قفا، ماذا كنتما تفعلان فى العمارة ؟

قال جمال : كنا فى زيارة الخواجه زخارى ولكنه ليس موجودًا.

صرخ علوان ونادى على بعض الباعة من سوق النصارى وطلب منهم حراسة هذين الرجلين حتى يطمئن على العمارة. وفى هذه الأثناء سمع الجميع صراخًا وعويلًا من الدور الثانى . قفز علوان درجات السلم بسرعة ليتبين سبب الصراخ والعويل، فوجد

الحاج رامى على الأرض ميتا، وجيب ساعته الذهبية التى يعرفها جيدا ممزقًا والساعة ليست موجودة، وتقف أمامه الست روز الشامية تصرخ .

صاح علوان البواب : هذان لصان قاتلان، عليكم الإمساك بهما حتى تأتى الشرطة لتقبض عليهما.

وقبل أن تصل الشرطة للعمارة قام الباعة وعلوان البواب بضرب اللصين ضرباً مبرحاً ولم ينقذهما من الموت غير الشرطة التى وضعت القيود الحديدية حول أيديهما وقادتهما لقسم شرطة العطارين.

(10)

محمد وجدى فخر الدين : صاح أحد الحراس وهو يمسك ببعض الوريقات فى يده.

تنبه وجدى الذى كان فى عالم أخر غير عالم الحبس الاحتياطي، كان فى عالم الذل والهوان، فى عالم الندم والحيرة، كان يندم أنه لم يستكمل دراسته الجامعية، كان يندم أنه تزوج من حبه الأول والأخير، كان يندم أنه رأى سامية . إنه يلوم نفسه بانقياده لحماته هذه السيدة المدمرة . إنه يتمنى أن يموت الآن ويتخلص من كل هذا الألم والذل والخزى والعار.

أفندم : أجاب وجدى نداء الحارس.

إنك مطلوب للنيابة لاستكمال التحقيقات.

لا تخف يا أستاذ وجدى وقل لوكيل النيابة إنك لم تلمس القتيل كما قلت لنا، وأن شريكك هو القاتل : همس له أحد المساجين وهو خارج مع الحارس.

وضع الحارس القيود الحديدية حول رسغى وجدى فسأله وجدى :

- من هو وكيل النيابة ؟

- لا أعرف.

- هل هو سمير بك هلال ؟

صاح الحارس بلهجة فظة ولغة مهينة لوجدى : قلت لك لا أعرف.

ذهب وجدى مع الحارس إلى المصعد حيث مكتب وكيل النيابة فى الطابق الرابع، فوجدا أناسًا كثيرة فى انتظار المصعد. فقرر الحارس أن يستعمل السلم الذى به نوافذ تطل على البحر حيث الميناء الشرقى بالأسكندرية.

نظر وجدى إلى الميناء الشرقى ومياه البحر الزرقاء وسماء الأسكندرية الصافية فى ذلك اليوم الجميل المشرق، وتذكر أيام الطفولة والصبا عندما كان يقفز برأسه فى مياه البحر ويصطاد السمك فى هذا المكان ويعود إلى أمه وهو يطير من الفرح بصيده عدة سميكات قليلة لكنها كانت بالنسبة له صيدًا كبيرًا وثمينًا. تذكر شبابه عندما كان يجلس مع سامية فى نفس المكان يتبادلان كلمات الحب والهيام. فتهلل قلبه بالسعادة المنقوصة التى لم تكتمل .

وعندما وصل إلى الدور الرابع تذكر سمير هلال وكيل النيابة زميل الدراسة وسامية وأولاده وأهله فى الباب الجديد، والخزى والذل والعار الذى ألحقه بهم وبنفسه، تذكر حماته الملعونة وطلباتها التى لا تنتهى وتمنى أنها قتلت بدل الحاج رامى.

نظر وجدى من النافذة العملاقة التى كان يأتى منها نسيم البحر العليل نظر إلى الأمواج الرقيقة التى كانت تتلاحق فى رتابة قيثارة فنان موهوب يهيم بسماء زرقاء صافية فى ذلك اليوم المشمس.

وبدون وعى أو تفكير قفز وجدى من نافذة المحكمة بالدور الرابع، غاص برأسه إلى اسفل كما كان يغوص فى مياه المينا الشرقية وهو صغير، لكن هذه المرة لا توجد مياه تستقبل رأسه وإنما أرض صلبة . فوقع وجدى وارتطمت رأسه بقوة بأرض فناء المحكمة الرخامى وتهشمت ومات فى الحال.

صرخ الحارس وهو يقفز على السلام عائداً للدور الأول ومنه لفناء المحكمة، فوجد وجدى غارقاً فى دمائه وقد لفظ أنفاسه . عرف جميع من فى المحكمة خبر انتحار محمد وجدى فخر الدين المتهم بقتل الحاج رامى.

وصل الخبر إلى وكيل النيابة الجديد بعد أن اعتذر سمير هلال عن القضية والذى تصفح ملفها وقال لزملائه إن الحاج رامى لم يقتل وإنما مات بسكته قلبية حسب تقرير الطبيب الشرعى.

تمت

باب سدرة
(1)

دخلت الشامية منزلها باكية حزينه غاضبه.

سألتها أمها سنية كرشة : ماذا بك ؟ هل ضربوكى فى المدرسة ؟

ليتهن ضربنني، قالت الشامية منتحبة إنما زميلاتى ضحكن من حذائى وقلن إنه حذاء عسكرى الدورية وليس حذاء تلميذة فى إعدادى.

قالت سنية كرشة: عندما يخرج أبوكِ من السجن سوف يشترى لك حذاء بناتيًا .

- ومتى سوف يخرج أبى من السجن ؟

هو محبوس فى قضية تموين لمدة ثلاثة شهور، وبالتأكيد سوف يخرج فى نهاية الشهر، هذا إذا لم يرتكب أي مشاغبات فى السجن إلى نهاية الشهر.

الشامية وهى تبكى بصوت عالٍ : وهل سوف أذهب المدرسة لمدة شهر بحذاء عسكرى الدورية القبيح هذا ؟

سنية كرشة صائحة وقد فقدت صبرها : لا تذهبى المدرسة غدًا وسوف أحاول أن أحصل لك على حذاء من بنت مدام كرستينا اليونانية التى أعمل لديها.

فى الصباح الباكر من اليوم التالى خرجت سنية كرشة من منزلها فى حارة متفرعة من شارع جامع سلطان، أحد شوارع حى باب سدرة الشعبى الفقير بالأسكندرية. واتجهت بهمة ونشاط إلى سوق النصارى فى باب عمر باشا الذى يبعد عن الحارة التى تسكن بها بحوالى ثلاثين دقيقة من السير السريع. ووجدت السوق شبه مزدحم بسكان الحى وغيرهم من أولاد عرب ويونانيين وإيطاليين وشوام وأرمن، الكل يبيع ويشترى احتياجاتهم من خضار ولحوم وطيور وأسماك وخلافه من السوق العامر بكل ما يحتاجه الإنسان من طعام وشراب وغيره. فاشترت طعام الإفطار وكان عبارة عن فول وفلافل وبليلة ولبن حليب وخبز بلدى وبقصمات لأسرة مدام كرستينا التى طلبته منها فى اليوم السابق.

وصلت سنية كرشة لعملها، وكان فى شقة فى إحدى العمارات القديمة على ناصية

السوق وشارع العطارين، وبعد أن خرجت إلينى إلى مدرستها. وقبل أن يخرج أبوها الخواجه زخارى مع مدام كرستينا لمحل القمصان والروائح والّلوازم الحريمى الذى يمتلكانه فى المنشية الكبيرة.

بعد أن تناول الجميع طعام الإفطار شكرت مدام كرستينا سنية كرشة وقالت لها : عليك الذهاب لمنزلك بعد عملك اليومى المعتاد وبعد إطعام إلينى عند عودتها من المدرسة، لأنى أنا وزخارى سوف نتأخر فى العمل اليوم.

شكرت سنية كرشة مدام كرستينا وقالت فى حياء وصوت خفيض : هل لديك حذاء بناتى قديم لابنتى الشامية كى تذهب به إلى المدرسة ؟

ليس عندى حذاء يناسب الشامية ونظرت حولهما فلم تجد أحدًا يتابع حوارهما فأعطت سنية بعض النقود وقالت لها اشترى حذاء جديدًا للشامية.

(2)

رجعت سنية كرشة لمنزلها بعد صلاة العصر بقليل لتجد ابنتها الشامية وقد احمرت وجنتيها وعينيها من كثرة البكاء.

فصاحت لماذا تبكين ؟ لقد قلت لك إنى سوف أحضر لك حذاء بناتيًا.

إننى أبكى لأنك سوف تحضرى لى حذاء إلينى بنت مدام كرستينا وهو قديم أيضاً، ولا يقل سوءًا عن حذاء العسكرى الذى أستعمله الآن.

نظرت سنية كرشة إلى ابنتها بحنان وقد هالها احمرار عينيها الجميلتين واكفرار وجهها الأبيض المشرق، وقد أطلقت سنية اسم الشامية على ابنتها عند ولادتها لأنها تشبه كاملًا أباها الذى يشبه أولاد الشوام الذين يتميز معظمهم بالملامح الأروبية .

كفاية بكاء فسوف أشترى لك حذاء جديدًا.

قفزت الشامية على أمها تقبلها وتصيح : صحيح يا ماما هل سوف تشترين لى حذاءً جديداً ؟

نعم سوف اشترى لك حذاءً جديداً وعليك أن تغسلى وجهك وتستعدى للخروج معى لشراء حذاء يعجبك .

تهيأت الشامية للخروج مع أمها وهى تطير فرحا وسرورا، فارتدت فستاناً أحمر بنقاط بيضاء، قد اشتراه لها أبوها قبل دخوله السجن، فهي فتاة جميلة أنيقة بشعرها الأشقر وعيناها الزرقاء ووجها الأبيض فكأنها هند رستم الممثلة الجميلة فى تلك الأيام من مطلع ستينيات القرن الماضى. فظهرت الشامية جميلة جمال أميرات الأسرة العلوية عندما كان يوجد أميرات.

لكن اعترضت أمها على الشبشب التى تنتعله فى قدميها.

صاحت الشامية لكنى لن أنتعل حذاء العسكرى هذا.

لكن منظرك متناقض بفستانك الأحمر الجميل والشبشب فى قدميك.

لكن يا أمى سوف يكون منظرى مضحكًا لو انتعلت هذا الحذاء القبيح مع فستانى الجميل، فإنى أفضل الشبشب عليه.

خرجت الشامية وأمها وسارتا فى شارع سلطان متجهين إلى موقف الترام أمام المدرسة الإيطالى بشارع الخديو .

استوقفهما عم حسين الحلفاوى الحلاق، وكان رجلًا كبير الحجم خفيف الظل مستفسرا عن كامل الجزار أبو الشامية، فقالت له سنية كرشة إنه سوف يخرج من السجن فى نهاية الشهر. وأثناء المحادثه حضر طفلان يتباريان فى قراءة لافتات المحلات .

فقال الطفل الأول للطفل الثانى هل فى إمكانك قراءة هذه اللافتة ؟

فتعثر الطفل الثانى فى قراءة اللافتة وقال : صالون حسين محمد ال... ال... الح.... الح ... وأخيرا قال : هذا اسم سهل جداً وقال بصوت عالٍ... صالون حسين محمد الحلووف !!!

ضحكت الشامية وأمها وبعض المارة، أما عم حسين فغضب لاسمه الجديد، وقرر أن يغير هذه اللافتة إلى صالون حسين محمد فقط وحذف كلمة الحلفاوى.

وفى شارع سلطان كان كثير من أصحاب المحلات والجيران يلقون التحية على سنية كرشة وابنتها الشامية، فقد كانت سنية كرشة معروفة فى الحى هى وزوجها كامل الجزار الذى يذبح الجاموس والخراف فى بيته بالطابق الأرضى خارج المجزر الحكومى ويبيع اللحوم للجيران وأصحاب المحلات فى شارع سلطان وغيره بأسعار أرخص من محلات الجزارة المرخصة. وسنية تبيع الكرشة ولحمة الرأس وبقايا الذبيحة للجيران فأطلقوا عليها سنية كرشة.

وفى ميدان باب سدرة سألت الشامية أمها عن سبب الفتحات الكبيرة فى عمارة قديمة متهدمة فى الميدان ؟

- أبى قال لى إنه كان يوجد فى ميدان باب سدرة مدفع مضاد للطائرات يديره المحتل الإنجليزى أثناء الحرب العالمية الثانية، وفى أحد الأيام وأثناء هجوم جوى ألمانى نشط المدفع الإنجليزى يقذف الطائرات المهاجمة ويتتبعها بمدفعه وقذف العمارة بالخطأ والتى كانت بين المدفع والطائرات.وكثير من الأهالى قتلوا فى هذه الغارة الجوية بدون ذنب فى تلك الحرب.

وصلت الشامية وأمها لموقف ترام المنشية أمام المدرسة الإيطالى. لكن سنية كرشة عدلت عن ركوب الترام وقالت لابنتها سوف نسير إلى سوق العطارين القريب من هنا لشراء حذائك.

فأحمر وجه الشامية الجميل وبدأت فى البكاء الصامت .

(3)

لماذا تبكين الآن ؟

الشامية لأمها : إننى أبكى لأننى لا أريد الذهاب إلى سوق العطارين حيث الملابس المستعملة والأحذية القديمة.

- لكن يوجد هناك أحذيه بحالة جيدة وأسعار معتدلة.

انفعلت الشامية حزناً وقالت لأمها برجاء واستجداء : لكنك قلت إنك سوف تشترين لى حذاءً جديداً.

نظرت سنية كرشة إلى طفلتها الجميلة بحزن ورثاء وقد كانت تأمل أن توفر بعض القروش إذا اشترت لها حذاء مستعملاً . وفكرت قليلاً وقالت فى نفسها حذاء جديد ليس خسارة فيها فهي تلميذة مجتهدة وتقترب من اكتمال أنوثتها ويكفيها أنها محرومة من أبيها السجين.

ركبت الشامية وأمها ترام المنشية حيث محلات الملابس والأقمشة والأحذية وخلافه. اتجه الترام مسرعًا إلى المنشية وعلى القضيب الموازى كانت ترام آخر متجه للطريق المعاكس إلى المدرسة الإيطالى، وبعدها محطة مصر ثم حى محرم بك أحد أحياء الأسكندرية الأخرى . لكن عند مفترق الطرق فى شارع الأمير عبد المنعم استدار الترام يميناً فى سيره حول ضريح سيدى أبى الدرداء الموجود وسط الطريق بين الترام الذاهب إلى المنشية والترام الآتى منها. فكانت الشامية تفرح عندما ترى الترام دور حول الضريح فتقرأ الفاتحة وتدعو لأبيها أن يفك سجنه.

اشترت سنية كرشة لابنتها الشامية حذاء فرنيه أسود جميلًا ومعه جورب أبيض من معرض هانو، المحل الفاخر الجميل فى المنشية الصغيرة، وأصرت الشامية أن ترتدى الجورب والحذاء الجديدين وتضع شبشبها المتهالك فى صندوق الحذاء الجديد. رجعت الشامية مع أمها وهى تطير فرحاً بالحذاء الجديد كأنها اشترت الأسكندرية بأكملها. وعادت سنية كرشة والشامية إلى شارع سلطان متجهتين إلى منزلهما المتهالك فى حى باب سدرة. وبدأ المارة والباعة وأصحاب المحلات يسترقون البصر إلى الشامية وجمالها وهم يعرفونها منذ طفولتها . لكن الشامية لم تعد طفلة صغيرة بل إنها شابة صغيرة تشبه هند رستم.

ذهبت الشامية إلى مدرستها بحذائها الفرنية الأسود اللامع الجديد، وكانت فى منتهى السعادة والجمال ودخلت المدرسة وقد ظهرت عليها مظاهر النعمة والثقة بالنفس بعد أن تخلصت من حذاء العسكرى الذى كان السبب فى حزنها وبكائها لعدة أيام .

لكن زميلاتها، ومعظمهن من الفقراء، حقدن عليها بسبب حذائها الفرنيه الجديد، وأصبحن يتقولن عليها، وكيف حصلت على هذا الحذاء وبهذه السرعة. وكانت سلوى بنت أم سمير جارتها فى الحارة وزميلتها فى المدرسة أشدهن حقدا على الشامية وحسداً لها بسبب حذائها الجديد وجمالها ونبوغها فى الدراسة. فأشاعت فى المدرسة أن سنية كرشة أم الشامية سرقت الحذاء من الخواجات التى تعمل عندهم غسالة، وأنه من المحال أن تحصل الشامية على هذا الحذاء بنقود أمها خاصة وأن أباها مسجون فى سرقة مواشى وبيع لحوم خارج قانون التسعيرة بالإضافة إلى تجارته فى المخدرات.

ولاحظت الشامية أن زميلاتها يتجنبنها أو يسخرن منها أو من حذائها المسروق كما قالت لهم سلوى.

وفى أثناء مرور الشامية ببعض زميلاتها قالت إحداهن لأخرى :

هل رأيتي حذائى الجديد الذي سرقته أمى من الست الخواجاية ؟ فقهقة بقية البنات ضحكا وهن ينظرن إلى الشامية وحذائها الفرنيه الفاخر.

بدأت الشامية تكره حذاءها الجديد والمدرسة وزميلاتها وخاصة سلوى بنت ام سمير جارتهم . وقد عرفت الشامية من بعض زميلاتها المخلصات أن سلوى هى التى أشاعت أخبار أمها وأبيها فى المدرسة . ولاحظت الشامية أن بعض المدرسين ينظرون إليها بعيون الريبة والحيطة.

(4)

عادت سنية كرشة من عملها فوجدت ابنتها الشامية تنتحب وقد تورمت عيناها بسبب البكاء.

سألت : ماذا حدث ؟

- سلوى بنت أم سمير جارتنا فى الحارة أشاعت فى المدرسة أنك سرقت هذا الحذاء

من الخواجاية التى تعملين عندها، وأن أبى مسجون بسبب تجارته فى المخدرات. وكل زميلاتى يضحكن منى، والمدرسون والمدرسات ينظرون إلى بعيون الريبة والحذر.

اشتاطت سنية كرشة غضباً وخرجت إلى بيت أم سمير ولقنتها هى وابنتها سلوى أصول احترام الجوار بعد أن أعطتهما علقة ساخنة !!! وطلبت منهما أن يتركا الحارة أو يتحملا ما لا تحمد عقباه.

بادرت الشامية أمها. أين كنت يا ماما ؟

- كنت أعاتب أم سمير وابنتها ولن تقول سلوى عليك شيئًا آخر. وكنت أتمنى أن أحضر لك المدرسة والتحدث مع المسئولين لكنى لا أمتلك ملابس مناسبة لهذه الزيارة. فعندما يخرج أبوك سوف يزور المدرسة ويتحدث للمسئولين بها.

فى خلال أيام انتقلت أم سمير وأسرتها إلى سكن آخر فى حى شعبى أخر وهو الباب الجديد. لكن أكدت سنية كرشة عن طريق صديقة مشتركة لأم سمير أنها تعرف مكان سكنها الجديد وسوف تقوم بزيارتها لو تسببت ابنتها فى أى مشاكل للشامية فى المدرسة مرة آخرى.

وفى الأسبوع التالى للعتاب الودى !!! بين سنية كرشة وأم سمير التي تركتها متورمة الوجه والرأس. ذهبت الشامية إلى مدرستها وكان فى انتظارها زميلاتها بخبر مهم وهو أن سلوى قد انتقلت إلى مدرسة أخرى لم تفصح عن اسمها أو مكانها. ابتسمت الشامية للخبر السعيد ولم تقل لهم لماذا سلوى انتقلت إلى مدرسة أخرى .

خرج كامل الجزار من السجن وقد ازداد شراسة ومجونًا وتوحشاً، وهو يطلب من سنية كرشة نقودها القليلة التى تتقاضاها من عملها لدى كرستينا اليونانية لكى يشترى بها أفيونًا ليشبع إدمانه المقيت. وإذا لم يكن معها نقود ينهال عليها ضرباً هى والشامية . تتكور الشامية وأمها باكيات فى جانب من الغرفة الوحيدة لهما، أما الغرفة الخلفية فهى لكامل الجزار وأصدقائه، يتعاطون فيها المخدرات ويتقامرون طوال الليل ويتبادلون النكات التافهة.

سنية لابنتها الشامية : كان نهار أسود يوم خروجه من السجن . ورفعت وجهها إلى السماء وقالت : ربنا ينتقم منك ياكامل يا ابن حنيفة الدلالة.

صاحت الشامية : حرام عليك يا ماما. بابا مريض . ادعى له ربنا يشفيه.

استيقظت الشامية مبكراً لكى تستعد للذهاب لمدرستها وعندما أرادت أن تلبس حذاءها الجميل لم تجده فى مكانه . فصرخت وهى تبحث عنه : ماما هل رأيت حذائى؟

ذهبت سنية إلى الغرفة الأخرى فوجدت كاملًا يغط فى النوم كأنه قتيل.

- أبوك أخذ حذاءك.

- هل أبى سوف يلبس حذائى ؟

- باعه واشترى أفيونا لمزاجه وربنا ينتقم منه.

بكت الشامية بحرقة وحسرة على حذائها الجميل وقالت : كيف أذهب لمدرستى ؟

- أنا ذاهبة لعملى واتصرفى مع المحروس أبوكى!!

(5)

جلست الشامية بالقرب من قدمي أبيها تدعو له بالشفاء وهى تفكر كيف سوف تذهب إلى المدرسة بغير حذاء أو مصروف، وأبوها يغط فى النوم السعيد لا يشعر بشيء من حوله مادام يحصل على الأفيون لكى يسد حاجة إدمانه الملحة. رأت الشامية أن حذاءها الجديد كان نقمة عليها، وأنه سوف يكون السبب فى تركها المدرسة التى بدأت تكرهها بكل من فيها من المدرسين، ونظراتهم لها بعيون الريبة والشك والزميلات الحاقدات عليها بسبب جمالها وتفوقها الدراسى.

رجعت سنية كرشة من عملها منهكة ولكنها سعيدة وهى تحمل حذاء الشامية.

من أين حصلت على حذائى يا ماما ؟

اشتريته مرة أخرى من عم حسين الحلاق. الذى اشتراه من أبيك بنصف جنيه.

لكنى لست بحاجة لهذا الحذاء . فقد قررت عدم الذهاب للمدرسة مرة أخرى. فأنا كرهت هذا الحذاء والمدرسة وكل شئ فيها.

صاحت سنية كرشة: يجب عليك الاستمرار فى الدراسة على الأقل حتى تحصلى على الإعدادية.

- لكنى غير قادرة على الاستمرار فى الذهاب للمدرسة وكل العيون تنظر إلى باستخفاف أو بريبة.

- الفقر ليس عيبًا، وأنا أعمل عملًا شريفًا عند الخواجات أما أبوكى فهو مريض وربنا يشفيه.

- أعرف ذلك. ولست مهتمة بفقرنا، لكن سمعة أبى التى وصلت للمدرسة هى العذاب الذى ليس باستطاعتى تحمله أو محوه مهما كان نبوغى فى الدراسة.

- معظم زميلاتك من الفقراء أو متوسطى الحال، وأنا ممكن أحضر لك أخبار بيوتهن التى لا تسر . ونحن لسنا أول الناس أو آخرهم يقال عنا ما ليس فينا، وربنا ينتقم منها سلوى التى أشاعت أخبار أبيك فى المدرسة.

- ماما لقد كرهت المدرسة والدراسة وكل شئ متعلق بها ولن أذهب للمدرسة مرة أخرى.

- ممكن أنقلك لمدرسة آخرى.

- لقد اتخذت قرارى ولن أتراجع عنه.

نعم يا روح أمك ؟؟!!! القرار هو قرار أمك أو أبيك.

فى هذه الحالة يجب سؤال بابا عندما يستيقظ من النوم.

تراجعت سنية كرشة وقالت : القرار لى وحدى أنا التى أصرف عليك، فيجب أن تستمرى فى الدراسة وأبوكى نايم فى الأفيون نوم. كيف تستشيرين رجلًا مسطولًا فى مستقبل ابنته؟

- أبى له رأى أيضاً .

- إننى أعرف رأيه المدمر، وقد كلمنى عليه من قبل، إنه يريد بيعك بحفنة جنيهات للراجل العجوز الشايب العايب.

- لست أفهم يا ماما ومن هو الشايب العايب هذا ؟

- إنه يريد أن يزوجّك لعم حسين الحلاق الشايب العايب.

- خبر أسود ياماما إنه فى سن جدى ، وله ثلاث زوجات وأولاد وأحفاد كثيرون. كذلك أنا لست فى سن زواج.

- أبوكى قال إنه يمكن الحصول على شهادة من دكتور الصحة تفيد بأن سنك ستة عشر عاما ويجوز لك الزواج.

- أبى يريد أن يبيعنى برخص التراب . حرام عليه.

(6)

استيقظ كامل الجزار حوالى الساعة الرابعة عصرًا وقد بدا عليه الإرهاق، وعيناه حمراوتان ووجهه أصفر كالموتى وقال مزمجرا للشامية وأمها : لماذا هذه الجلبة لست قادرًا على النوم منكنّا .

- أى نوم يا رجل ؟ لقد فات النهار وهذا وقت العصر. يجب عليك أن تعمل وتحضر لنا نقودًا نعيش منها.

- إننى أسأل لماذا هذه الجلبة ولم أسأل عن حالى ؟

قالت سنية كرشة وهى محبطة الأمل من الشامية وأبيها المسطول ليل ونهار: ابنتك لا تريد الذهاب إلى المدرسة.

نظر كامل إلى ابنته كأنه يراها للمرة الأولى وفكر قليلاً وابتسم ابتسامة شيطانية. ثم زمجر وقال غاضباً:

- أنا لن أسمح لابنتى أن تذهب للمدرسة فى هذا السن. لقد كبرت والناس يعتقدون أنها سوف تعمل وتطعمنى عندما تنتهى من دراستها تلك. وأنا موافق على عدم ذهابها للمدرسة التى أتت إلينا بالمشاكل .

امتنعت الشامية عن الذهاب إلى المدرسة لكنها احتفظت بحذائها الفرنية فى مكان أمين، وتنظر إليه من حين لآخر بحب وامتنان على الرغم من أن هذا الحذاء قد تسبب لها بكثير من المشاكل وتسبب فى تركها الدراسة.

مرت أسابيع وكامل الجزار يتودد لزوجته وابنته يحاول إقناعهما بأن مصاهرة عم حسين الحلاق فيها كل الخير.

قالت سنية : ما هو الخير الذى تتكلم عليه ؟ هل تقصد ثمن الأفيون الذى تحصل عليه منه ؟ هذا راجل خبيث يريد شراء ابنتك بثمن الأفيون.

قال كامل الجزار وهو متحفز مسرور: سوف يشاركنى في شراء أربعة عجول لذبحها وبيعها والمكسب مشاركة الثلثان لى والثلث له.

- إننى لا أصدق هذا الحلوف العجوز الخبيث، ولن أسمح لك أو له بتدمير مستقبل ابنتى.

- الشامية ابنتى أنا كذلك، وأنا رجل البيت والكل يجب أن يسمع كلامى.

- وهل المساطيل مدمنو المخدرات رجال بيوت ؟

قرر كامل المتهالك صحياً والمترنح من الأفيون أن ينهال ضرباً على سنية كرشة ويعرفها من هو رجل البيت.

لكنها كانت أسرع منه وتناولت قبقاباً خشبيًا ثقيلًا وضربته على رأسه فتهاوى على الأرض فاقد الوعى.

سمعت الشامية الجلبة فهرعت لمصدرها فوجدت أباها مفترش الأرض لا يتحرك.

قالت سنية كرشة : أبوكى ماشى مسطول، لا يرى أمامه فاصطدم فى باب الغرفة فسقط مغشياً عليه.

(7)

فى اليوم التالى استيقظ كامل الجزار وهو لا يتذكر شيئًا من أحداث البارحة لكنه يتحسس رأسه التى تؤلمه بما فيها من أورام لا يعرف من أين أتت أو كيف حدثت. فقال لسنية : رأسى تؤلمنى يجب الذهاب للمستشفى.

بالتأكيد سوف يحولك الطبيب إلى مستشفى السجن بما أنك خريج حديث . وسوف يعرفون فى السجن أنك رجعت للأفيون مرة أخرى.

خلاص... لن أذهب إلى أى مكان وإن شاء الله سوف أموت هنا وأنت المسئولة.

- لن يموت أحد هنا إلا أنا منك ومن المحروسة بنتك.

بدأت سنية كرشة تفكر فى مستقبل الشامية، وقررت أن تبعدها عن أبيها الذى يريد بيعها كزوجة لأى حلوف يعطيه نقودًا لشراء الأفيون. فأرسلت خطابًا لأختها فى بلدة أبو حمص التى تبعد عن أسكندرية حوالى ساعتين بالقطار. وأخبرتها أن الشامية امتنعت عن الدراسة بموافقة أبيها.

بعد عدة أسابيع حضرت أخت سنية كرشة من أبوحمص ومعها ابنها لخطبة الشامية له.

قالت الشاميه لأمها : هذا العريس أكبر منى سنًا.

- هذا عريس محترم وعمرة 24 سنه فقط وقد انتهى من الخدمة العسكرية ومعه رخصة سواقة عمومى، ويعمل عملًا شريفًا ويسوق سيارة نقل ومرتبه كبير.

- هو أكبر منى بكثير يا ماما. وبدأت الشامية فى البكاء.

- هل هو أكبر من الحلوف عم حسين الحلاق ؟ الذى يكبرك بأربعين سنة أو أكثر، أما أبن خالتك يكبرك بتسعة سنوات فقط.

- لكنى لم أوافق على عم حسين .

- مادام أبوك يراك أمامه سوف يجد وسيلة لبيعك لهذا العجوز الخبيث المتصابى فى مقابل بضعة جنيهات لكى يشترى بها الأفيون.

استمرت الشامية فى البكاء وقالت : أبى وأمى يشتريان ويبيعان فيّ.

- لا تبكى يا روح أمك سوف أزوجك عريسًا حراميًا مثل أبيك.

- أبى ليس حراميًا إنما الحكومة هى التى تتعقبه !!!

- الحكومة ليس عندها مساطيل وحرامية غير أبو الشامية كامل الجزار !!!

رجعت أخت سنية كرشة وابنها إلى أبو حمص بدون إعلان إتمام الخطوبة .

أحضر كامل الجزار خروفًا مسكينًا متهالك الصحة مثله وقال لسنية كرشة :

هذا خروف أبن ناس، واشتريته بسعر ممتاز، وسوف أذبحه بعد أيام من العناية به وتسمينه قليلاً.

- وماذا تريد منى أن أعمل ؟

- عليك بإطعامه جيداً وفى إناء نظيف، لأن نفسه عزيزة ولا أريده أن يفقد شهيته.

- ذبح كامل الخروف وبعد سلخه وتنظفه غمس كامل قطعة صغيرة من الخشب فى حبر أزرق ومر بها على جسد الخروف عدة مرات فى أماكن مختلفة، فظهر كأنه مختوم من المجزر الحكومى.

كسب كامل الجزار بعض الجنيهات من بيعه للذبيحة، وبعد تسديد ثمن الخروف أنفق الباقى فى شراء الأفيون .

ومرت أيام من المشاجرات المستمرة بين كامل وزوجته وابنته غالباً بسبب عرض عم حسين الحلاق .

وفجأة سد باب البيت شاب طويل القامة عريض المنكبين وسيم الطلعة أشقر الملامح فى ملابس بلدية جديدة، ويشبه إلى حد كبير كامل الجزار فى شبابه ويحمل فى ذراعة سلة بها بعض الفواكه والملابس.

(8)

تعرف عليه كامل من أول وهلة، فوقف مرحباً فهو من أبناء عمومته فى رشيد وقد توسم فيه بعض النقود لشراء الأفيون.

قال كامل مرحباً : ألف مرحباً بك فى أسكندرية وباب سدرة . وكيف أحوال الأهل فى رشيد.

قال الضانى، وهو اسم الشهرة أما اسمه الحقيقى فهو توفيق خليفة : كلنا بخير يا عمى، والجميع يرسلون إليك السلامات . وقد حضرت إلى الأسكندرية لمدة يومين فى مهمة صغيرة.

يا ألف مرحب برشيد وكل أهلها. سحب كامل ضيفه الجديد، أو الفريسة الجديدة، إلى الغرفة الخلفية وقال له:

قولى الحقيقة هل أنت هارب من البوليس أو ثأر أو الخدمة فى الجيش ؟

فقال الضانى آسفاً : هارب من الزواج الذى تريد أن تفرضه عليّ أمى من بنت أختها العانس والتى تتدعى أنها تمتلك عشرة أفدنة زراعية.

هل معك نقود ؟

معى بعض الجنيهات.

يجب أن تودعها معى أحافظ لك عليها من السرقة.

لا تخف فإنى احتفظ بها فى مكان أمين.

مكث الضانى عند كامل وأسرته بضعة أسابيع . وكان ينام النهار ولا يخرج إلا فى الظلام الحالك. وقد استلطف وجوده قريباً من الشامية لكن كاملًا استدرجه ليعرف سر نومه بالنهار والخروج فى الظلام الحالك.

- بعض أصحابى الفلاحين الذين شاركتهم فى تجارة بعض المواشى يبحثون عنى وعن نقودهم التى خسرتها فى التجارة.

- ممكن تعويض خسارتك فى صفقة مواشى أخرى.

- كيف أتاجر وقد خسرت رأس مالى ومال شركائى ؟

- هل تعرف رشيد جيداً وضواحيها وأهاليها و ما عندهم من مواشى ؟

- نعم أعرف كل شبر فيها وكل جاموسة وثور وحمار وجمل وخروف ومعزة.

عليك باستعارة جاموسة أو ثور أو أى نوع من الماشية، وأنا أذبحها ونبيعها والمكسب بالنصف وتسدد نقود أصحابك.

قال الضانى بصوت متحشرج وقد تعثرت الكلمات فى حلقه : لكن هذه سرقة .

- السرقة هى التى حدثت لك وفى تجارتك . فإما أن تعوض خسارتك أو تواجه شركائك وأنت من خسرتهم نقودهم.

وظل كامل يشجع الضانى على أن يعوض خسائرة ويسدد ما عليه لأصحابه.

لكن الضانى كان لديه خطة أخرى.

(9)

عاد الضانى بعد أن تغيب عدة أيام بصحبة أمه وأخته الكبيرة لخطبة الشامية .

لكن الشامية مهرها كبير. قال كامل هذا وهو يضع ساقًا على ساق وفى منتهى العجرفة والترفع.

قالت أم الضانى :عليك سؤال الشامية أولاً والحصول على موافقتها وبعدها نتكلم فى التفاصيل . .

قالت سنية كرشة : ما هى صناعته وكيف سوف يصرف على ابنتى ؟

- هو فلاح ابن فلاح وسوف يزرع خمسة فدادين ورثهم عن المرحوم أبيه وسوف تعيش الشامية فى أحسن حال بين أهلها فى رشيد.

لكن الضانى عنده مسئوليات أخرى يعرفها هو .

أمى تعرف قصة هذه الديون وسوف أقابل أصحابى وأتفاوض معهم على حل يرضى الجميع. المهم أن نقرأ الفاتحة.

تحدثت سنية مع الشامية فى الغرفة الخلفية عن الضانى وطلبه ليدها فوافقت على الفور.

- الضانى فلاح ابن فلاحين ولهم طباع غيرنا فى الأسكندرية.

- لكنه يملك أرضًا وليس أجيرًا وسوف أتعلم طريقتهم فى رشيد.

- أنك توافقين عليه لأنه يشبه أباك.

- ماما لا تحرجينى والفرق كبير بينه وبين عم حسين.

- وهل نفس الفرق بينه وبين ابن خالتك ؟

- الضانى أصغر من ابن خالتى ويملك خمسة فدادين وابن خالتى لا يملك إلا رخصة سواقة عمومية ولا تحرجينى أكثر من ذلك.

ذهبت الشامية إلى الغرفة الأمامية لمقابلة العريس وأهله التى تعرفهم جيداً عندما كانت تزور رشيد مع أبيها وهى صغيرة.

كان فى الغرفة أريكتان يجلس على إحداهما الضانى وأمه، وأخته، فجلست الشامية بجانب أمها وأبيها فى مقابلة الضانى وهى تنظر إلى الارض حياء.لكنها بدت أجمل من أى وقت مضى فنظر اليها الضانى بكل الحب والهيام. فلكزته أمه لكزة خفيفة لم ينتبه لها أحد وكأنها تقول له تحشم يا رجل.

قال كامل الجزار : قبل أن نتكلم فى أى تفاصيل والمهر وخلافه فإنى أريد مخالصة بديون الضانى من شركائه. فإن ابنتى لن تتزوج من طريد الدائنين.

قال الضاني: سوف أقابل شركائى قريباً وسوف أحضر لك ما تريد.

بعد ذهاب الضانى وأقاربه قالت سنية كرشة لزوجها : لماذا كل هذه التعقيدات والعجرفة ؟ عليك بتسهيل الأمور؟

كم بنتًا مثل الشامية فى الحارة أو فى حى باب سدرة كله . فهى جميلة ومتعلمة وتعرف القراءة والكتابة. وحسين الحلاق سوف يدفع أى مهر أقول عليه ونقوده جاهزة، أما الضانى فهو شاب صغير تربية أمه بعد وفاة أبيه ونقوده ليست جاهزة.

لكن الشامية موافقة عليه وهذا يكفينا وليست موافقة على الحلوف صاحبك.

غاب الضانى عدة أسابيع وحضر زوج أخته يسأل عليه فى باب سدرة ولم يجده.

وفى اليوم نفسه حضر اثنان من المباحث يسألان عن كامل الجزار.

(10)

أين كامل الجزار ؟ سأل المخبر سنية كرشة.

- لا أعرف ؟

- هل أنت سنية كرشة ؟

- نعم أنا سنية كرشة، هل تريد منى شيئًا؟

- نريد كاملًا فى مسألة ضرورية.

- هل فعل شيئًا خطيرًا يستدعي المخبرين فى البحث عنه ؟

- لم يفعل شيئًا وإنما ضابط المباحث يريده أن يتعرف على شخص فى المشرحة.

انقبض قلب سنية كرشة الفولاذى، وقالت يمكن أن تجدوه جالسًا على القهوة فى أول شارع جامع سلطان.

ذهب كامل إلى المشرحة فى مستشفى الإسعاف بجانب محطة مصر. وكان أحد المخبرين فى استقباله.

السلام عليكم يا حضرة الصول.

عليكم السلام يا كامل – فقد كان كامل معروفًا بين معظم المخبرين فى المنطقه.

- قدمت للتعرف على الجثة التى وجتموها على ترعة المحمودية.

- هل قلبك جامد ؟

- نعم أنا كامل الجزار.

عندما رأى كامل الجثة خار على الأرض مغشياً عليه.

- لقد قلت إنك كامل الجزار فوجدناك كامل الشناوى شاعر أم كلثوم. تمالك نفسك يارجل هل تعرف القتيل ؟

نعم أعرفه إنه ابن أحد عمومتى، وخطيب ابنتى، وأجهش كامل بالبكاء.

كان الضانى مسجى على ظهره فى المشرحة وجهه يتلألأ ولا يوجد أى خدش فى جسمه ما عدا قطع غائر فى خلف رأسه المهشمة.

كامل مستفسراً : من فعل به ذلك ؟

- أربعة من قطاع الطرق هاجموه ليلاً فى طريقة إلى رشيد، وألقوا بجثته فى ترعة المحمودية، وهذاعندما شاهده أحدهم وهو يبيع بعض المصوغات فى زنقة الستات بالمنشية، وقد قبضنا على أحدهم وجارى البحث عن الآخرين.

استطرد المخبر: عليك إبلاغ أهله إذن.

هذه مهمة صعبة علىّ. فعلى الحكومة عمل ذلك. واتركونى فى بلوتى.

أبلغ كامل المسئولين فى المشرحة ببيانات توفيق خليفة (الضانى) وعنوانه وترك لهم مسئولية إبلاغ أهله فى رشيد.

وأستمر كامل فى البكاء والارتعاش بقية الليل . ولكنه يفكر فى الضانى ويلوم نفسه فيما حدث له.

- ماذا سوف أقول للشامية ؟ إننى السبب فى مقتل خطيبها الذى باع مصوغات أمه لتسديد ديونه التى طلبت منه تسديدها قبل إعلان الخطوبة . يا خراب بيتك يا كامل، كل شئ يقع فى يدك أو كل شئ يقترب منك يُدمر.

وقال كامل بأعلى صوته : يارب توبة يارب سامحنى يارب اغفر لى، وحُلْ بيني وبين

الأفيون والمخدرات والخمر. رحمك الله ياتوفيق يا شريف يا ابن الشرفاء يا سيد الرجال. ومازال كامل يهذى ويبكى فى الشارع أمام باب المشرحة حتى الصباح.

وفجأة وجد سنية كرشة أمامه ولأول مرة يصاب بالرعب منها ويخاف أن يخبرها بالخبر الأسود.

ماذا بك ياكامل ؟ سألته سنية.

وقفت الكلمات فى حلق كامل، وقال بحشرجة الموتى : اسألى فى الداخل.

- خبر أسود ماذا يوجد فى الداخل. ودخلت سنية إلى المشرحة وعندما رأت القتيل صدر منها صوت رج المشرحة وما حولها.

(11)

استمرت سنية فى البكاء والعويل طوال الطريق بين المشرحة وباب سدرة، والذى استغرق حوالى ساعة، وهى تسير على قدميها وقد خلعت حذاءها وقابلها بعض أهل الحى وشاركوها البكاء والعويل فى طريقهم للحارة.

لم تقع عينى على شاب فى صحته وطلعته، ربنا ينتقم من الذى فعل به ذلك. قالت سنية وهى تبكى لمن حولها.

وصل الخبر للشامية والحارة قبل أن تصل إليها سنية كرشة.

انهارت الشامية تبكي وتندب حظها السئ.

بعد الجنازة المهيبة فى رشيد التى أقيمت للضانى اختفى كامل الجزار لعدة أسابيع ولم تهتم سنيه كرشة لاختفاء زوجها

- أين أبى يا ماما ؟

- الله لا يرجعه.

- حرام عليك ياماما.

إنه سبب كل مشاكلنا.

وبعد عدة أيام طرق الباب بعض الرجال يحملون كامل الجزار وهو بين الحياة والموت ووجهه أصفر كالموتى، عيناه غائرتان، وملابسه متسخة من نومه فى الطرقات.

قال أحد الرجال: وجدناه يحتضر على الرصيف فى شارع جامع سلطان وتعرّف عليه بعض الصبية فحملناه إلى هنا.

صرخت الشامية : بابا حبيبى سلامتك من الموت.

وحملت سنية كرشة كامل الجزار بين ذراعيها القوية كأنها تحمل طفلًا رضيعًا وأخذته إلى الحمام وغسلته جيداً وألبسته ملابس نظيفة.

سامحينى يا سنية يا أصيلة يابنت الأصول، سامحينى يا شامية . قال هذا كامل وهو لا يتمالك نفسه من البكاء. أربطونى فى السرير حتى لا أذهب لشراء الأفيون. وإذا سأل على أصحابى قولى لهم أنى فى رشيد.

ظل كامل الجزار ممتنع عن الطعام وهو مقيد فى السرير بالحبال التى يستعملها فى تقيد المواشى عند ذبحها، كان جلده ينزف دمًا من أثر الحبال، فيصيح كأنه ثور أعد للذبح.

وظلت الشامية تبكى خطيبتها، وكامل أبوها يبكى الأفيون وسنية كرشة تذهب لعملها فى الصباح وفى المساء تضمد جراح كامل وتمسح دموع الشامية وهى تندب حظها مع ابنتها وزوجها.

وبعد عدة أسابيع تماثل كامل للشفاء وأصبح يأكل بشهية الشباب، وامتلأ جسمه بالعضلات بعد أن كان جلدًا على عظم، واحمر وجهه بعد كان أصفر اصفرار الموتى. وذهب للعمل فى محل فاخر للجزارة فى سوق النصارى بباب عمر باشا.

وصل خطاب من أخت سنية كرشة فى أبوحمص تدعوها هى وأسرتها لزفاف ابنها.

وقف الثلاثة بمحطة مصر فى انتظار قطار أبوحمص يحدوهم الفرح بشفاء كامل والحزن العميق بمقتل الضانى، وفجأة صاحت إحدى السيدات فى الشامية وأبويها !!!

(12)

أين أنت يا شامية ؟ سألت السيدة مديحة وكيلة المدرسة التى كانت تتعلم فيها الشامية واستطردت لقد أرسلت لك خطاب فصل بعد خمسة عشر يومًا من انقطاعك عن الدراسة ولم يتسلمه أحد فى منزلك، وأُعيد الخطاب إلينا. لقد كنتِ تلميذة متفوقة فلماذا انقطعتِ عن الدراسة ؟

صاح كامل الجزار : لقد كانت تراعينى أثناء مرضى. وسأل راجياً : هل ممكن أن تعود الشامية للمدرسة ؟

نظرت سنية كرشة إلى زوجها بتعجب لكنه لم يعرها اهتماماً.

ممكن جداً. هل أنتم مسافرون ؟

نعم مسافرون إلى أبوحمص لمدة يومين .

عليك الحضور مع الشامية وسوف أجد لها وسيلة للعودة للمدرسة، فهي تلميذة مجتهدة ولابد من تشجيعها لتواصل تفوقها.

عادت الشامية للدراسة بعد أن دفع أبوها بعض المصاريف والدمغات واستوفى بعض الاستمارات من مصلحة السجون وطبيبها . عادت الشامية إلى مدرستها مع أبيها وهى فخورة بأبيها الذى كان فى منتهى الوسامة والصحة والعافية، وكذلك فخورة بحذائها الأسود الفرنيه الجميل. وعندما رأى بعض زميلاتها ومدرسيها كامل الجزار بما له من حضور وحصافة وحلو الحديث امتنعوا عن النميمة بشأن الشامية وأسرتها التى اجتهدت لتحصيل ما فاتها من دروس.

تمت

***

«أمّان وثورة»
(1)
أم حنفى

خرجت أم حنفى من المنزل بعد صلاة الفجر مباشرة وقد التفت بشال من الصوف يقيها برد الصباح وهى تمشى مسرعة وبهمة ونشاط لشراء فول وبليلة الإفطار من على ناصية الشارع، قريبًا من الترام الذي يسير مسرعًا فى الصباح الباكر كان الشارع شبه خالٍ إلا من بعض المارة والسيارات المسرعة. عادت أم حنفى مسرعة قبل أن يستيقظ الأولاد وخاصة ابنها البكرى حنفى فهذا أول يوم له فى كلية الطب .

أعدت الإفطار للجميع، فهم عشرة أفراد: ثلاث بنات وثلاثة أولاد والحاج سيد زوجها، وابنته وولده من زاوجه الأول وهى. عشرة أفراد هى المسئولة عن إطعامهم وكسائهم وتعليمهم من معاش زوجها الضيئل، وقد ترك الحاج سيد كل المهام لها فهى صغيرة السن وصحتها أفضل منه، فقد كان يكبرها بخمسة وعشرين عاما، وقد تفرغ للعبادة وترك لها معاشه الضئيل تتصرف كيفما تشاء.

خرج الدكتور حنفى، كما كانت تناديه أمه، للذهاب للكلية وهو يرتدى ملابس جديدة أنيقة وأعطت له مصروفه، وهذه المرة مصروفًا كبيرًا فسوف يكون وسط الدكاترة زملائه، فقال لها: يا أمى أنا لست بدكتور، وإنما أنا طالب طب، وأمامى سنوات إن شاء الله لأكون طبيبا. لكنها أصرت بتلقيبه بالدكتور حنفى، فإن الاسم جميل وبه موسيقى لسمعها.

خرج الجميع لمدارسهم وجامعاتهم، ودخل الحاج سيد لغرفته لينام ساعة او ساعتين قبل صلاة الضحى. وبدأت الحرب اليومية بين أم حنفى وبنت زوجها أنيسة التى تصغرها بثمانى سنوات فقط، والتى لم تتزوج بعد وهى ترفض أن تساعد فى أعمال المنزل، فهى تعتبر نفسها ليست مسئولة عن المساعدة فى خدمة هذا الجيش حتى لو كانوا إخوتها فهى مسئولة عن نفسها فقط.

قررت أم حنفى القيام بجميع أعمال المنزل تفادياً النقاش مع أنيسة شكل بنت الحاج سيد .

حاولت أم حنفى كثيرا مع أنيسة أن تكمل تعليمها، لكن أنيسة رفضت الذهاب للمدرسة، وفضلت البقاء بالمنزل ومراقبة زوجة ابيها وهى تتصرف فى معاش أبيها الضيئل خشية أن تسرف خديجة فى المصاريف على نفسها وأولادها وتُحرم هى من هذا المعاش !!!

استجاب شكرى أخوها لنصيحة زوجة أبيه وظل فى الدراسة مع مساعدة أم حنفى وتشجيعها، فقد كانت تعمل جمعيات هى وجيرانها كى تدفع له مصاريفه الجامعية ومصاريف كسائه ومصروفه الشخصى، كذلك كانت ترسله لأخيها المدرس لكى يدّرس له مجانا وهو فى الدراسة الثانوية. وعندما تخرج كان أول شئ فعله أن ترك المنزل واستقل بنفسه. خوفا أن يصبح مسئولًا عن إخوته الصغار .

حاربت أم حنفى كل الظروف لكى يتعلم أبناؤها وقالت لهم : يجب على الجميع أن يتعلم حتى لو بعت ملابسى !!!

وكان أملها أن تصبح أم الدكاترة. أما الحاج سيد فكان لا يهتم إلا بالصلاة والصوم وقراءة القرآن الكريم، إن صحته لا تسمح بغير ذلك.

وتحملت أم حنفى الجميع لكى يتعلم أولادها، فقد كانت تصغر الحاج سيد بخمسة وعشرين عاما، وقد ظلمها أهلها بهذا الزاوج الغير متكافئ، بحجة أن الحاج سيد قريب العائلة، وهو رجل صالح . رغم اعتراض خديجه على الحاج سيد فقد كان أرمل ويعول ثلاث بنات وولد، واثنان منهم فى سنها بل الكبرى أكبر من خديجة بشهور. لكن أمها زجت بها فى هذا الزواج وهى فى السادسة عشرة نكاية فى سلفتها التى تزوجت بنتها قبل خديحة.

فى الشهور الأولى من زواج خديجة حضرت أمها لرؤيتها ولم يعجبها الوضع .

فقالت لأم حنفى : قومى ...قومى .. روحى معايا انت ما لكيش أهل ؟

فقالت ام حنفى : وأعمل ايه فى اللى بطنى ؟ هذا نصيبى وقد رضيت به، وربنا يعوض على.

وجاء حنفى البكرى وبعده إخوته الخمسة. وقررت خديجة أن يتعلم أبناؤها حتى لا يصبحوا مثلها ضحية الجهل والعناد.

تزوجت خديجة من الحاج سيد، وبعدها بشهور تزوجت ابنته الكبرى أمينة وكانت تكبر خديجة بشهور.وبعد سنة أخرى تزوجت سيدة الابنة الثانية. أما أنيسة فقد امتنعت عن الذهاب للمدرسة لكى تراقب زوجة أبيها . وعند عودة الحاج سيد من العمل تجلس أنيسة مع أبيها تقول له على كل شئ حدث فى غيابه ، صدقًا كان أو كذبًا فكان همها الأول أن تجعل حياة خديجة وأولادها نكدًا فى نكد حتى لو كان هذا على حساب صحة أبيها . وقال الحاج سيد لخديجة وأولادها إن أنيسة ليس لها أحد أو بيت إلا هذا أما خديجة وأولادها فلهم بيت أبي خديجة. زادت أنيسة فى عنادها وكيدها لخديجة وأولادها، فإن الحاج سيد فضلها على زوجته وأولاده منها. كل يوم جمعة تأتى أمينة ابنته المتزوجة مع أبنائها إلى بيت أبيها تأكل وتشرب من خير أبيها قبل أن تستأثر به زوجة أبيها خديجة وأولادها.

قاست أم حنفى الأمرين للحفاظ على بيتها من الخراب، والكل كان يحاربها من أهل الحاج سيد وأبنائه من زواجه السابق، فقد كانت أم حنفى وأولادها أذكى منهم وأكثر صحة وجمالا ونشاطا، فكانوا على غيرة دائمة منهم . لكنها تحملت كل شئ فى سبيل أولادها كى يتعلموا ويعتمدوا على أنفسهم، ويكون لهم وظائف يعتمدون عليها ولا يعتمدون على زوج أو أب أو أم.

فقد تعلم إخوتها الستة ما عدا هى، فقد أخرجتها أمها من المدرسة وهى فى سن التاسعة للخدمة فى البيت والمساعدة فى تربية إخوتها الصبيان، وقالت أمها إن البنت مصيرها الزواج، إنما الصبيان يجب يكملوا تعليمهم. لكن كان زواج خديجة فى سن السادسة عشر من الحاج سيد الرجل الطيب غير متكافئ مع سنها وطموحاتها، وقد أذعنت خديجة لأوامر أمها وأبيها لأنها لا تعرف مصلحتها كما تعرفه أمها ويعرفه أبوها، وهذا ماكانوا يقولونه لها !!!

تعاملت خديجة مع جميع هذه المشاكل اليومية مرة بالحسنى وبالحيلة ومرة بالجدال، وأخرى بالشجار، لكنها لم ولن تترك بيتها يخرب، فإن أبناءها يجب أن يشبوا

مع أمهم وأبيهم مهما حدث من مشاكل معها، فمن الممكن أن تتحمل كل هذا فى سبيل أولادها. لكن أولادها لن يشّردوا بسبب أناس لا يعرفون قيمة التعليم أو الإنسانية والرحمة.

الحاج سيد كان يرى أن التعليم ليس مهما للبنات، فمصيرهن الزواج فى آخر المطاف، أما الصبيان فالأفضل أن يتعلموا صنعة مثله ويتزوجوا فى أحد غرف منزله، وأن خديجة تنفق كثيرا على الدروس الخصوصية بدون عائد.

أما خديجة فكانت توفر كل مليم للدروس الخصوصية، وكانت تشترى وتبيع جبنة ودجاجًا وبطًا للجيران، وتحصل على بعض الأرباح، ولها ريع متواضع من ميراث أبيها وكل هذا بالإضافة إلى معاش الحاج سيد الضيئل، تستعين به فى تربية وتعليم أولادها.

عندما انتهى شكرى من الدراسة الثانوية قرر أبوه أن يلحقة بوظيفة فى الوزارة الحكومية التى كان يعمل بها سبّاكا، وقال إننى ليس بإمكانى أن أعلمه تعليمًا جامعيًا، لكن أم حنفى عارضت ذلك وباعت بعض مصاغها وألحقت شكرى ابن الحاج سيد بالجامعة.

تقدم لأنيسة أحد الجيران ليخطبها، لكن شكرى رفضه بحجة أن العريس أقل منه تعليما، وكيف يقابل أصحابه عندما يعرفون أن زوج أخته سبّاك، وهو خريج جامعة. قالت له أم حنفى : أبوك سباك وهذا ليس عيبًا، إنه عمل شريف، لكن شكرى كان لا يعنيه إلا نفسه، وماذا يقول عليه أصحابه .

ذهب العريس إلى غير رجعة، وذهب شكرى ليعمل بالخليج، وظلت أنيسة فى البيت تكيل للجميع الهم والنكد صباح مساء، فقد كان صوتها جهوريا سليطة اللسان، وأم حنفى تتحمل هذا كله من أجل أبنائها، وعندما تقوم مشاجرة بينهما يبكي الأطفال، فتصمت أم حنفى حفاظا على مشاعر أطفالها ، بينما أنيسة تستمر فى السباب والصياح، لأنها تعرف أن أم حنفى لن تبادلها السباب حفاظا على مشاعر أولادها . ترك الحاج سيد كل شئ لخديجة، فقد خف سمعه وضعف بصره.

الهدف الأول والأخير لأم حنفى هو تعليم أبنائها، ولن يكونوا مثلها.

وكانت أم حنفى تقول لأبنائها عليكم بالمذاكرة وعليّ أنا الباقى، وإذا احتاج أحدكم درسًا خصوصيًا سوف أوفره له، ولا تهتموا بالمصاريف، فإن ربنا سوف يبارك لنا فى القليل.

فى أحد أيام الربيع، حضر الحاج متولى أحد جيران الحاج سيد ليخطب أنيسة، وبعد الشاى والسلامات وكلام الترحيب والمجاملات، ذهب العريس على أنه سوف يعود مرة أخرى، والحاج سيد فى انتظار إجابة العريس الذى مضى عليه أسابيع ولم يعد.

خرجت أنيسة من المنزل أثناء يوم خماسينى مترب وشمسه غائبة. ذهبت أنيسة للحاج متولى الذى كان يملك محل عطارة قريبًا من منزلهم، وقالت له بعد أن خبطت منضدة الميزان خبطة قوية بيدها أطاحت بكفة الميزان :

انت ياجدع، لم يرك أحد من يومها. هل بيوت الناس لعبة ؟

انتفض العريس وكان صغير الجسم ضعيف البصر وقال: أوامرك يا ست أنيسة ؟

سوف أبلغ أبى أنك قادم غدا مع أهلك لقراءة الفاتحة.

أوامرك يا ست أنيسة... والغريب أن العريس أعجب جدا بأنيسة وشجاعتها. فسوف يستعين بها فى إدارة المحل بعد الزواج.

وسوف يرى منافسوه وأصحاب المحلات المجاورة من هى زوجة الحاج متولى ؟

أحد المارة سأل: عم متولى من هذه ؟

الحاج متولى مجيبا : هذه رياح الخماسين .

الحاج متولى تزوج مرتين من قبل، وقد تركتاه زوجتاه بسبب بخله الشديد وعناده المقيت. وأصبح وحيدا لعدة سنوات، فدلته إحدى جيران أم حنفى على أنيسة بنت الحاج سيد. وتبرعت أم حنفى بثوب قماش من السعودية للجارة إذا أقنعت الحاج متولى بشطارة وجمال أنيسة، فنظره لا يساعده على الرؤية الجيدة. تولت الجارة هذه المهمة وتم الزواج.

لم تدخر أم حنفى جهدا لتوفير الدروس لأولادها من معاش الحاج سيد الضئيل جدا حتى يستمروا فى تعليمهم. وقد كان ذهاب أنيسة لبيتها الجديد فترة هدنة وسعادة للجميع .

وفى أول يوم من أيام شهر رمضان وأثناء تناول طعام السحور، طرق باب الحاج سيد، فتوقف الجميع عن الأكل فزعا ليعرفوا من الطارق.

وكان الطارق أنيسة شكل سألها أبوها عن سبب زيارة نصف الليل.

أنيسة : آتيت للاطمئنان عليك والسحور معك.

الحاج سيد : وكيف زوجك إذن؟

أنيسة :لقد أكل ونام وأنا هنا لقضاء بقية السهرة معكم.

أم حنفى : الأولاد عندهم مدارس وجامعات فى الصباح.

أنيسة :هل تطردونني من بيت أبي ؟

ولأن أنيسة تقطن بضع خطوات من بيت أبيها فقد أصبحت تأتى لبيت أبيها صباحا ومساء خوفا عليه وعلى معاشه من خديجة وأولادها.

ومع كل هذه المشاكل من أنيسة وأولاد الحاج سيد، كانت خديجة مصممة على تعليم أولادها بأى وسيلة، فإن التعليم سوف ينقذهم من هذه الحياة البائسة. ولن يصبحوا جهلة مثلها أو مثل أنيسة.

اجتهد حنفى فى كلية الطب بتشجيع من أمه وكان مصممًا على النجاح لكى يفرح قلب أمه، ويكلل تعبها بنجاحه. الدراسة في كلية الطب ليست سهلة، تحتاج إلى مجهود كبير ومصاريف كثيرة، نجح حنفي بتقدير جيد في السنة الأولى والثانية، وتقدير امتياز فى السنوات التالية حتى التخرج. نجح الدكتور حنفى فى السنه النهائية بامتياز مع مرتبة الشرف.

ذهب إلى البيت لكى يخبر أمه ويفرح قلبها ...امسكت خديجة بابنها الدكتور حنفى تحتضنه وتقبله، فقد فرح قلبها ونصرها وعوض صبرها وتعبها خيرًا، وهى تزغرد وتبكى، فى الوقت نفسه.

حضر الجيران ومعهم أنيسة وأصحاب حنفى ليعرفوا الأخبار السعيدة، وتطوعت أنيسة بعمل الشربات. وذهب الجميع بعد معرفتهم بالخبر السعيد لكنهم لم يشربوا الشربات تعجبت خديجة من ذلك السلوك . وتناولت كوبًا من الشربات لتشربه.

فإذا بالشربات كريهة الرائحة، غير مستساغة، لأجل هذا رفض الجيران وأصدقاء حنفى احتساءها.

وعندما عاتبتها خديجة في ذلك، قالت بخفة وسوء أدب:

هو ابنك حنفى عمل ايه يعنى؟ هل فتح مالطة أو جاب الديب من ديله ؟ وهل سوف يطعمنا بنجاحه ؟

استشاطت خديجة غضبًا، فتدخل حنفي وقال لأمه: حصل خير ياماما، ولا تحزنى فسوف أدعو أصدقائى مرة أخرى على الشربات.

اعتزل حنفى فى غرفته وقفل على نفسه الباب، واستغرق فى البكاء الصامت حتى لا يسمعه أحد فإن أنيسة سامحها الله، حوّلت فرحة الجميع إلى حزن بسبب استهتارها بنجاحه المتميز.

عُين الدكتور حنفى معيدًا بنفس الكلية، مع تحفظات كثيرمن الأساتذه الذين يرون أنه ليس واحدًا منهم، رغم ذكائه ونشاطه وهمته وأخلاقه العالية .

قال أحد معيدي الكلية وابن أحد أساتذتها: يقال إن أباه سباك وليس طبيبًا، أو رجلًا مهمًا في الدولة!! .

وقال أحد الأساتذه: هل سمع أحد على دكتور اسمه الدكتورحنفى ابن ام حنفى ؟

وقال آخر : قابلونى لو حصل على الدكتوراه.

لكن أستاذ التشريح كان له رأى آخر فهو يرى فى الدكتور حنفى ذكاء وصدقًا وأمانة فى العمل ويرى فيه إضافة حسنة للمهنة والكلية، مهما كان وضعه الاجتماعى، فهو لا يعيبه أن أهله فقراء لكنهم شرفاء. لكن كثيرًا من الأساتذة يرون أن وظيفة المعيد التى حصل عليها حنفى كان يستحقها أحد أبنائهم وليس حنفى ابن السباك.

أستاذ التشريح معترضًا: السباك كذلك دكتور، فهو يسلك مصارين أى شقه أو عمارة ونحن الأطباء لا نستغنى عن السباك.

رجع الدكتور حنفى بعد صلاة الجمعة وقد اشترى كفتة للغداء، وقال لأمه وإخوته، إنه يوجد ثورة فى البلد والشباب يُقتلون بالمئات فى ميدان التحرير وكل ميادين مصر.

أم حنفى : ثورة إيه؟ أخبار التليفزيون لم تقل شيئًا عن أى ثورة أو مظاهرات.

حنفى : الكفته سوف تبرد، دعونا نتناول الغداء وبعدها نرى الأخبار العالمية.

تناول الجميع الغداء على عجل لكى يستمع الدكتور حنفى للأخبار باللغة الإنجليزية ويترجم لهم .

رنّ تليفون الدكتور حنفى ، وكان الطالب زميلًا له بالكلية يطلبه للحضور لميدان التحرير ليعاونه فى إنقاذ وتضميد جرحى الثوار.وطلب منه أن يشترى أكبر كمية من أدوات الإسعاف فى طريقة للميدان.

سمعت أم حنفى الحوار وقد كانت تتميز بسمع حاد. فقالت له :

إنت مالك ومال الثورة، انت دكتور معيد ينتظرك مستقبل باهر إن شاء الله.

حنفى : أنا طبيب يا أمى وواجبى هو إنقاذ الجرحى ثوارًا كانوا أو غير ثوار.

أم حنفى تتعلق بابنها : لن أسمح لك بالخروج. تقول إن الشباب يقتلون بالمئات، لن أسمح لك بالخروج أبدا.

أنيسة صاعدة السلم وهى تصيح ... يا أم حنفى ... يا أم حنفى... الثورة ... الثورة فى التحرير.

وجدت أنيسة أم حنفى تحتضن ابنها وتمنعه من الخروج ... وعرفت أن الدكتور حنفى فى طريقه للتحرير.

تعلقت أنيسة بأخيها واحتضنته بقوة ولفت ذراعيها حول عنقه تحاول أن تمنعه من الخروج، وهى تبكى فنظرت لها أم حنفى باستغراب.

أنيسة لأم حنفى : جرى ايه يا ام حنفى هو الدم يبقى ميه ده اخويا مهما كان.

حنفى : لا أريد عطلة أكثر من هذا، يمكن إنقاذ حياة إنسان فى هذا الوقت الضائع ولست أغلى من أي من شباب مصر الأحرار.

إلا أن خديجة وأنيسة، لأول مرة منذ خمسة وعشرين عاماً يتفقان على شئ واحد، وهو منع الدكتور حنفى من الذهاب للتحرير.

الدكتور حنفى: مهما حاولتما معى سوف أذهب للتحرير، وإذا لم أذهب سوف أكره نفسى وأكرهكما بقية حياتى. إننى سوف أقوم بواجبى نحو وطنى ونحو أهلى مهما كان الثمن.

خديجة وأنيسة تأكدا أن حنفى سوف يذهب للتحرير بأى شكل.

أنيسة : آجى معك ياخويا.

حنفى : إزاي؟

أنيسة: زى كل الناس هناك وسوف أساعدك فى إنقاذ المصابين حتى لو أمسح أو أكنس حواليهم ...أى عمل سوف أقوم به ...انت فاكر انتم المتعلمين الوطنيين فقط. لا أنا جاهلة لكنى أحب بلدى مثلكم ومحتمل أكثر.

احتضنت خديجة ابنها بحرارة، كذلك احتضنت أنيسة بحرارة، كأن شجار خمسة وعشرين عاما اختفى فى لحظة.

أنيسة : لا تخافى على الدكتور حنفى، فإن ربنا معه، وسوف أفديه بروحي. قولى للحاج متولى إذا كان يريدنى فسوف يجدني فى التحرير.

أم حنفى : خذي بالك من أخوكِ يا أنيسة، وخليك معى على المحمول.

ذهب الدكتور حنفى ومعه أنيسة إلى الصيدلية فى الشارع الرئيسى لشراء بعض الإسعافات الأولية. رفضت أنيسة أن يدفع أخوها الثمن، فدفعته هى بعد التخفيض الكبير الذى سمح به الصيدلى عندما علم أن أنيسة ذاهبه للتحرير مع أخيها الدكتور حنفى.وقد اكتشف حنفى مدى وطنية أنيسة الأمية البسيطة.

وصل الدكتور حنفى وأخته أنيسة إلى مكان المستشفى . فطلب منهم الدكتور المسئول أن يرتديا بلاطى بيضاء حتى تعرفهما الشرطة.

ارتدت أنيسة البالطو الأبيض وهي تقول: تعالى اتفرجى يا أم حنفى على أنيسة فهى دكتورة غصب عن الجميع!!

سألها الدكتور عن تخصصها.

فقالت له : عطارة.

عظام جميل جدا... وكانت أصوات الهتاف وصراخ المصابين تخيم على المكان .

من بعد صلاة العشاء حتى قبل صلاة الفجر والدكتور حنفى يضمد جراح المصابين، وأنيسة قريبة منه تجفف الدماء من على الأرض، أو من على وجوه المصابين أو أجسادهم.

قرب صلاة الفجر خرج الدكتور حنفى من المستشفى ليدخن (سيجارة) بعيدا عن المصابين.

سمعت أنيسة طلقات نارية متتالية ورأت الدكتورحنفى يترنح . رمت ما بيدها وجرت إليه وهى تصرخ.

حنفى. أخويا...أخويا .... الحقونا...أخويا..

واحتضنته قبل أن يسقط على الأرض، سمعته ينطق الشهادة ورأسه مشقوقة من الخلف .

رد عليا يا خويا ...حنفى حبيبى سامحنى يا خويا ...سامحنى يا خويا..

هجم عليهم مجموعة من الدكاترة والمتطوعين وحملوا الدكتور حنفى للمستشفى. عندها تأكدت أنيسة أن الدكتور حنفى استشهد.

أنيسة تصرخ وتلطم وجهها وتبكى : ماذا أقول لأم حنفي ولأبي؟.

حملت أنيسة قطعة من الحجارة لكى ترمى بها من قتلوا أخاها وهى تصرخ

ياقتلة يا جبناء تقتلون الأطباء وتتركون البلطجية.

واستمرت فى قذف الحجارة مع بقية الثوار.

لكن انتقام أنيسة لم يستمر طويلا، فقد انهارت من الإعياء ولم يتحمل قلبها الإرهاق والانفعال، فتوقف.. ماتت أنيسة، كما مات غيرها من الشرفاء .

كانت أم حنفى على اتصال بأنيسة طوال الليل، وكانت مطمئنة فإن الدكتور حنفى وأخته أنيسة منهمكان في عملهما.

بعد صلاة الفجر اتصلت أم حنفى بابنها فلم يرد، فاتصلت بأنيسة فرد عليها أحد الأشخاص .

فقال لها :إن الست أنيسة قد توفيت بأزمة قلبية.

أم حنفى تضرب صدرها وتصرخ : وأين الدكتور حنفى ؟

المتكلم: لا أعرف وسوف أحضر لك الدكتور المسئول.

الدكتور المسئول: السلام عليكم يا حاجة.

أم حنفى: عليكم السلام أين الدكتور حنفى؟

الدكتور المسئول : احنا بعتناه على مشرحة زينهم .وأغلق الهاتف.

أم حنفى تلطم : حى أو ميت ؟ لكن لا أحد يجيب عن سؤالها.

خرجت أم حنفى حافية القدمين تجرى فى الشارع، ومن ورائها أولادها ولفيف من جيران الحارة.

وهم يقولون لها : من المحتمل أنه يعمل فى المشرحة فهو دكتور أليس كذلك ؟

الحاج سيد رجع من صلاة الفجر فلم يجد أحدًا بالمنزل تحسس طريقه إلى غرفته وخلد إلى النوم .

استشهد اثنان من أبناء الحاج سيد فى خلال ساعة واحدة، وقد كان غير قادر على استيعاب الخبر.

ذهبت أم حنفى إلى مدافن باب النصر وأعدت مدفنين مفروشين بالحنة والعنبر... وهى تزغرد بين أهل الحارة، ففى بيتها شهيدان .فهذا شرف لا يعلوه شرف.

حضر أهالى الحارة وأقارب العائلة يقدمون واجب العزاء، وحضر الدكاترة زملاء الدكتور حنفى ليقدموا واجب العزاء لأم حنفى .

لم ينطق أحد بأى كلمة فإن مصاب أم حنفى مصاب ثكلى يحرق قلوب أكثر الناس غلظة .

توفى الحاج سيد بعد أبنائه بشهور. وهو لا يعلم أو يعي شيئًا عن استشهادهما.

عاشت أم حنفى بعد استشهاد ابنها عدة سنوات حزينة كسيفة البال، وفقدت الذاكرة لكنها لم تنسى ابنها الدكتور حنفى أبدًا وفى خلواتها مع نفسها كانت تدعو ربها بالرحمة وتناجيه:

اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه.

«أمّان وثورة»
(2)
أم نجوى

سمع المارة بالشارع صراخ وعويل طفلة فى ذاك المنزل بالدور الثانى.

تسلقت أم منير المسيحية السلالم بسرعة فهي تقطن فى الدور الاول لانقاذ نجوى من أمها قبل فوات الأوان، ورغم سمنتها فقد وصلت فى الوقت المناسب ونزعت الطفلة من تحت أمها التى كانت تجلس على ظهرها وتضربها بالحذاء مرة على رجليها ومرات على رأسها ووجهها .

صاحت أم نجوى : هذه ابنتى وأنا حرة فيها، أربيها كيفما أشاء.

لم تعيرها أم منير أى اهتمام، وإنما أخذت الطفلة الباكية فى أحضانها وقد تورمت عينها اليمنى نتيجة ضربة من الحذاء. فهى تعرف أمينة أو أم نجوى منذ سنوات

عديدة، عندما انتقلت وهى عروسة فى سن السادسة عشرة مع عريسها الأسطى قبارى الميكانيكى وهو فى سن الواحد والعشرين عاما. وكونت عنها فكرة دقيقة فأمينة نرجسية سادية راكبها العظمة، وتعتقد أنها أجمل وأقوى سيدة فى الحارة. ولا تظهر هذه القوة إلا على نجوى الطفلة الوسطى فى أولادها. أمينة كذلك عصبية المزاج تغضب لأى سبب وبدون سبب، ولا تتورع فى أن تسب أى شخص كبيرا أو صغيرا حتى لو كان أباها. لكن قبارى لا يقبل هذا وكان يحاول أن يؤدبها فيوسعها ضربا لكنها لم تتأدب أبدا ولم تمتنع عن ضرب أولادها وبالذات نجوى التى تشبه أخت زوجها، فكان تضربها انتقاما من زوجها وأهله.

لم تسأل أم منير عن سبب هذه المشكلة التى كادت أن تودى بحياة الطفلة نجوى، فالسبب معروف وهو أن أمينة فاقدة الرشد والرحمة.

سبب هذا الموقف غير الآدمى أن نجوى ذات الثمانى سنوات ذهبت لشراء طماطم لأمها لكى تستعملها فى الطبخ، لكن الطماطم كانت خضراء ولا تصلح للطبخ، فأرسلتها عدة مرات لاستبدالها وكل مره تأتى بطماطم خضراء، والذى لا تعرفه المتوحشة أمينة عن طفلتها أنها مصابه بعمى ألوان فإنها لا تميز بين الأخضر والأحمر.

لأكثر من عشر سنوات وأمينة تتدخر من مصروفها الكثير، فكانت تبخل فى الأكل على أولادها، ففى الصباح شاى وقليل من الحليب وخبز، وفى الغداء تؤخر الموعد حتى يأتى زوجها فى المساء ويأكلوا جميعا، ويعتقد زوجها أن الأولاد يأكلون مثله فى الغداء.

مرة واحدة فى الأسبوع يأكل الأطفال ثلاث وجبات وهو يوم العطلة الأسبوعية للأسطى قبارى، وأحيانا كثيرة يعمل قبارى يوم العطلة الأسبوعية. وهذا البخل ليس بسبب ضيق ذات اليد، فقد كان قبارى يكسب كثيرا من مهنته، لكن أمينة كانت تتدخر من أكلها وأكل أولادها لكى تشترى قطعة أرض وتبنى عليها بيتًا مثل عمتها الغنية والتى يقال عنها التركية .

لم تتدخر أمينة أي حيلة للادخار فقد كانت تشترى الأطعمة الرخيصة الفاسدة والمنتهية صلاحيتها . وتبيع الملابس القديمة وغيرها لباعة الروبابكيا وتتدخر كل قرش. فالأطفال صغار لا يميزون، بين الطعام الرخيص والغالى . فأمينة تطبخ الطعام جيدا بالبهارات فتختفى أي عيوب فيه.

فى إحدى المرات خرجت نجوى لإرجاع الطماطم للبائع كالعادة، فرفض البائع إرجاعها، ونهرها وسبها بكلمات قبيحة.

فقالت له إحدى البنات، وكانت أكبر من نجوى سناً : عيب ياعم هذا الذى تقوله لها هذه بنت ناس.

فقال لها البائع إنها خادمة عند الست المجنونة فى الدور الثانى.

أُحرجت نجوى أن يقال عنها خادمة وأمها مجنونة. ألقت نجوى بالطماطم فى سلة المهملات ورجعت لأمها وأعطتها ثمن الطماطم، والثمن كان مصروفها الوحيد.

أمينة: اذهبى واحضرى الطماطم مرة أخرى.

نجوى : لقد ذهب البائع ولا يوجد طماطم أخرى فى السوق إلا بسعر مضاعف.

لكن أمينة لن تدفع سعرًا مضاعفًا حتى لو مات أولادها من الجوع .

الطفلة نجوى تفكر وهى حزينة فى كلام بائع الطماطم وتسأل نفسها هل هى خادمة فعلا لهذه الست المجنونة التى هى أمها؟

لم يجد عقل الطفلة إجابة على هذا السؤال. فانزوت فى جانب من الصالة وانهمرت فى البكاء المكتوم، فقد كانت نجوى طفلة صغيرة جياشة الشعور رقيقة الإحساس والبنية، تبكى وتفرح لأى شئ . تبكى لأن البرد والجوع وضرب أمها يعتصر بدنها الرقيق وتبكى بسبب عذابها النفسى وحيرتها من أمها .

رغم قسوة أمينة على ابنتها نجوى لكنها كانت تثق فيها لأنها لا تقول شيئًا لأبيها أو غيره عكس ابنها الأكبر محمد الذى كان يقول كل شئ لأبيه وغير أبيه، فهو يحب الكلام وكثيرًا ما يكذب!.

فى أحد الأيام، أخذت أمينة ابنتها نجوى وذهبا لأطراف المدينة حيث تقطن

قريبتها، وسألت أحد السماسرة على قطعة أرض للبيع، فعرض عليها السمسار قطعًا مختلفة، لكن لم يعجبها المعروض .

عرف سامى أخو أمينة الصغير أن أخته معها مبلغ كبير ادخرته لشراء قطعة أرض . فتحايل عليها هو وأمه وأقنعاها بأن تدخل معه فى مشروع تاكسى الذى سوف يعمل عليه هو ويدر لها إيرادًا تشترى منه قطعة الأرض التى تحلم بها، وتحتفظ بمدخراتها فى صورة تاكسى. كذلك تكيد لزوجة أخيها الأكبر الذى يعمل أجيرا كسائق تاكسى لا يملكه.

فتضرب أمينة أربعة عصافير بحجر واحد، وهى أن تكيد لزوجة أخيها الكبير. وتشترى تاكسى لأخيها الصغير. وتحصل على إيراد شهرى تشترى به أرضًا. وتحتفظ بمدخراتها فى صورة تاكسى سوف يدر عليها مكسبًا شهريًا.

والذى كانت لا تعرفه أمينة أن أخوها لا يملك شيئًا ، وأن ثمن التاكسى سوف تدفعه هى بالكامل.

ذهبت أمينة تحمل مدخرات عمرها فى منديل مربوط عدة مرات. مدخرات عمرها التى ادخرتها على مدى أكثر من عشر سنوات، وقد ادخرتها على حساب طعامها و طعام أولادها، ومن وراء ظهر زوجها المطحون عملا ليلا نهارا.

فطلبت أن يكون التاكسى باسمها، لكن أخوها استغل جهلها وغبائها وقال لها:

يجب أن يكون معك رخصة قيادة لكى تكوني مالكة للتاكسي.

دفعت أمينة ثمن التاكسى كاملا نقدا. فقط لكى تكيد لزوجة أخيها الأكبر.

في الشهور الأولى كان سامى يحضر لها إيرادًا شهريًا ثابتًا. لكن لم يستمر الحال هكذا طويلا .

سامى شاب صغير السن، وجيه الشكل، حلو الحديث، تعرف عليه أولاد السوء لما معه من تاكسى ونقود وافرة فاخذوه لطريق العربدة.

تدهور حال سامى العملى والمادى وأصبح يعمل قليلا ويصرف كثيرا.

وأمينة تسأل عن الإيراد الشهرى الذى تبخر، وسامى يتحجج بأن التاكسى فى التصليح أو أن صيانة التاكسى لا تترك مجالًا للربح وأصبحت أمينة لا تحصل على أى إيراد.

ازدادت أعصاب امينة توترًا فازدادت شراستها وضربها لأولادها وخاصة نجوى التي تشبه أخت زوجها . زاد شجارها مع زوجها مطالبته بزيادة مصروفها، فهى تريد أن تعوض ما خسرته. فكانت تحصل على مصروف المنزل أسبوعيا يوم الجمعة ويوم الأحد تطلب المصروف مرة أخرى. وقبارى محتار فيها وماذا حدث لها.فكان يضربها لكى تكف عن الشكوى. وهى بالتالى تضرب أولادها .

فى إحدى نوبات غضب أمينة على نجوى بسبب أعمال المنزل، وكانت توسعها ضربا، بالاحذية والأيدي وكل شئ تقع عليه يدها، فضربتها بكوب زجاجى فى وجهها فسال دمها، وهربت نجوى من أمها إلى جارتهم أم منير المسيحية، فأخذتها أم منير وضمدت جراح الطفلة .

ذهبت أم منير إلى أمينة تعاتبها على فعلتها ، فقد كادت تشوه وجه ابنتها – وهذا رغم تحذير زوجها - فقد قال لها لن تخافى أنت على نجوى أكثر من أمها.

أم منير لأمينة : بالراحة يا أم نجوى كل الأولاد مثل نجوى، وأولادى نفس الشئ ولا يساعدونني أبدا فى أعمال المنزل.

أمينة : أولادى هم أولاد بطنى، وهم خدم لى، وإذا لم يخدمونى سوف أدوسهم بحذائى.

أم منير: من يخدم من ؟ هؤلاء أطفال وعلينا خدمتهم حتى يكبروا ، وربنا العالم من سوف يخدم من ؟

الطفلة نجوى تفكر فى كلام أمها وتسأل نفسها : هل أمها أنجبتها هى وإخوتها ليكونوا خدمًا لها ؟

تكورت الطفلة نجوى فى جانب من الصالة واستمرت فى البكاء، فقد كان الجرح مؤلمًا، كذلك هى جائعة وجسمها الرقيق يكاد يتجمد من برد الشتاء. فهى خادمة لدى أمها التى ليس عندها رحمة أو شفقة.

باع سامى التاكسى دون علم أخته وتزوج بثمنه، وذهب لشرم الشيخ لقضاء شهر العسل مع عروسه الحسناء، وتصرف مثل أصحاب الملايين بمدخرات أخته أمينة

وزوجها المطحون فى العمل . وأمينة تبحث عن أخيها والتاكسى والإيراد فى كل مكان ولا اثر لهم. وأخيرا عثرت أمينة على سامى .

وسألته : أين التاكسى ؟

سامى بوقاحة : التاكسى سُرق.

أمينة : أريد نقودى.

سامى : ليس لك شئ عندي.

أمينة : من أين حصلت على مصاريف الزواج ؟

سامى : من عملى.

أمينة : سرقتنى ياحرامى.

سامى : أنت الحرامية وسوف أبلغ زوجك.

أمينة : اخرس هذه مدخراتى التى سرقتها منى.

سامى : اخرجى قبل أن أضربك وأعلمك الأدب.

العروسة وهى تضحك ضحكات باهتة: خلاص ياسامى هذه أختك الكبيرة، اتركها تمشى.

رجعت أمينة بيتها، وعندما رأت نجوى أمامها التقطت حذاء وعملت الضرب فى الطفلة انتقاما من سامى

ونجوى تصرخ.

أنا عملت إيه ياماما؟ حرام عليك ياماما أنا لم أعمل شيئًا.

تركت أمينة نجوى وبدأت فى الصراخ والعويل واللطم على وجهها وشقت ملابسها نصفين، وارتمت على الأرض وهى تصرخ.

وقفت الطفلة نجوى حائرة لا تعرف ماذا حدث لأمها.

نجوى لأمها وهى تبكى وتربت على كتفها : أنا آسفه ياماما سامحينى ياماما . سوف أسمع الكلام ياماما... فقط لا تبكى ياماما... أقبل رأسك يا ماما. وأخذت نجوى فى تقبيل رأس أمها ويديها وهى تبكى . وأمينة تولول على فقدان مدخراتها.

ظلت الطفلة نجوى تبكى وتتعذب نفسيا وهى تهدئ من روع أمها حتى هدأت أمينة قليلا.

كانت أمينة منهارة تمامًا فقد احتال عليها أخوها وبدّد مدخراتها وهى غير قادرة على أن تبوح لزوجها، فإذا عرف قبارى أنها تدخر من وراء ظهره سوف يقلل من مصروفها. فاحتفظت لنفسها بمصيبتها .

لكنها أصبحت أكثر شراسة وعدوانية وتقتيرًا فى المصروف . وبسبب هذه العصبية التى لا يرى زوجها مبررا لها. بدأ قبارى يفكر في طلاقها ويبحث عن زوجة أخرى أو يحتفظ بها ويتزوج زوجة ثانية، فإن كثيرًا من أمثاله لهم أكثر من زوجة .

أحست أمينة بنوايا زوجها فزاد صراخها وعويلها وعصبيتها وضربها لأولادها. وكان محمد عندما يرى أمه فى هذه الحالة يخرج للعب فى الحارة ولا يهتم بها، فهو طفل ويعتقد أن هذا ما يفعله جميع الأمهات. أما نجوى فكانت، بعد أن تضربها أمها تمسك بها وتبكى .

...أنا آسفة يا ماما، سوف أسمع الكلام ياماما.. فقط لا تبكى وحقك عليّ ياماما.. وتنهار باكية، فهى تحب أمها مهما فعلت بها.

أمينة : بكره أبوكم يتزوج ويحضر لكم زوجة أب لتعذبكم.

نجوى باكية: لا ياماما لا تتركينا .

وتكررت نوبات أمينة العصبية، بكاء وصراخ ولطم خدودها، حتى فى منتصف الليل فيستيقظ الأطفال مرعوبين، ولا أحد يعرف ماذا بها. إنها تتعذب وتوسع أولادها ضربا وتذيق زوجها نكدا وهما. وقبارى ليس عنده حل إلا ضربها بالحذاء. وأحيانا يحضر لها الشيخ من الجامع يقرأ القران الكريم في البيت ويدعو لها فلم يكن يعرف أن زوجته مريضة نفسيا وقد أحتال عليها أخوها وبدّد مدخراتها ، فهي في حاجة إلى علاج نفسي.

فى إحدى النوبات الهستيرية قالت إنها سوف تموت أو يطلقها زوجها بسبب ابنتها وتأتى زوجة أبيها وتعذبها هى وإخوتها. فكانت أمينة تحمّل طفلتها نجوى سبب موتها أو خراب البيت.

تبكى الطفلة نجوى بحرقة ومرارة فهى سوف تكون السبب فى موت أو طلاق أمها، وسوف يتزوج أبوها من امرأة شريرة تذيقها العذاب هى وإخوتها.

نجوى لنفسها: وهل يوجد عذاب أكثر من عذاب أمى لى ؟ فبالإضافة للإهانة والضرب تسببت فى عاهة مستديمة فى وجهى.

ولماذا لا تكون زوجة أبى أفضل وأرحم من أمى ؟ وهل كل الأمهات وزوجات الأب مجانين مثل أمى؟

وجدت نجوى أن زوجة الأب، مهما كانت قسوتها ستكون أرحم وأحن عليها من أمها..

أصبحت الطفلة نجوى تتمنى طلاق أمها من أبيها، أو حتى موتها.

وصارت تهمل أمها إذا ما أصابتها النوبة الهستيرية وتنزل تلعب مع مريم أخت منير، وتترك أمها تبكى وتولول وتلطم خدودها وتقطع ملابسها ولا أحد يهتم بها.

الغريب أن الحالات الهسترية لأمينة بدأت تختفى تدريجيا عندما لاحظت أن ابنتها نجوى لا تهتم بها لكنها احتفظت بلسانها السليط وطبيعتها، العدوانية .ونظامها المميت فى الادخارلكى تعوض ما سرقه منها أخوها.

أتى طفل جديد فى العائلة، فغير قبارى خطته فى أن يتزوج بزوجة أخرى . فإن أخلاقه ومسئوليته لا تسمح له أن يرمى زوجته وأولاده الأربع فى الشارع. فليتحمل أم أولاده وكان الله في عونه. لكنه كان يخرج من الصباح الباكر ويأتى فى معاد النوم كي لا يتعامل مع زوجته. حتى الأيام التى كان ينتهى من عمله مبكرا يذهب إلى السينما أو يزور أقاربه حتى لا يرجع البيت مبكرا.

وأمينة منفردة بأولادها ضرباً وإهانة. فيومها كله عمل فى البيت أو ضرب الأولاد، فقد كانت لا تحب أحدًا من جيرانها ولا أحدًا يحبها، وقد توفيت أمها وقاطعت أخاها المحتال. ولم يبق إلا أولادها تكيل لهم العذاب ضربا وإهانة.

لكن كبر الأولاد وأصبحت غير قادرةعلى ضربهم وإهانتهم.

عندما يرجع قبارى من العمل تشتكى له أمينة طوال الليل من الأولاد.

قبارى : أريد النوم لكى أذهب للعمل مبكرا.

أمينة: يجب أن تضرب الأولاد لكى يسمعوا الكلام.

قبارى : فى الصباح، اتركينى أنام.

فى الخامسة صباحا يستقيظ الأولاد وهم مذعورون، وأبوهم يمسك بحزامه يضرب فيهم وهم نيام، وأمهم أمينة تنظر إليهم وهى فى منتهى الانتعاش، فقد شفى غليلها من أولادها وهى تضغط على أسنانها من الغل، فهى سادية المزاج، بالإضافة إلى النرجسية والعدوانية والشراسة، فهى مجنونة ومحتاجة إلى علاج، لكنها لا تعترف بذلك، إذ تعتقد أن كل الناس يكرهونها لأنها أفضل منهم.

وقبارى مرهق فى العمل وفى البيت وحياته جحيم مع هذه السيدة النكدية، وبعض أقرانه عندهم مشاكل مشابهة وكانوا يهربون من هذه المشاكل إلى شرب الخمر أو تدخين الحشيش أو القمار. لكن قبارى لم يلجأ لهذه الطرق، فكان يعمل ليل نهار وهذا أحسن علاج لمشاكله حتى يأتيه ربه بالفرج.

كان يتمنى قبارى أن يتعلم أولاده ولم يدخر فى سبيل ذلك جهدا . لكن البيت لم يكن مهيأ لذلك بسبب تصرفات تلك الزوجة النكدية.

كان الأولاد عندما يعودون من المدرسة، وبدل أن يتناولوا الغداء ويعملوا واجباتهم المدرسية، كانوا يقومون بأعمال المنزل من غسيل وكنس ومسح، وأمينة تقوم بطهى الطعام فقط . أما بقية أعمال المنزل فهى مسئولية الأولاد، هذا فضلًا عن ضربها لهم وإهانتهم.

فكان من الطبيعى أن يفشل الأولاد فى الدراسة . فذهب الأولاد للعمل فى الميكانيكا مثل قبارى، أما نجوى وأختها الصغرى فتعلما الحياكة .

تزوجت أخت نجوى الصغرى وذهبت للعيش مع زوجها فى بلد أخرى، ولم يرها

أحد إلا نادرا، وقد كانت تأتى كثيرا للقاهرة ولكنها لا تأتى لرؤية أمها أو إخوتها. فقد هربت من جحيم أمها ولا تريد الرجوع إليه مهما فعل معها زوجها أو أهله.

وذهب الأولاد للعمل فى الدول النفطية، وغرق محمد فى البحر محاولا الهجرة غير الشرعية لأوروبا.

وأمينة لم تتغير أو تتأثر بأى مصاب، فهى نرجسية سادية سليطة اللسان مستمرة فى التقتير على نفسها وابنتها نجوى، على أمل أن تشترى فى يوم من الأيام بيتا أو أرضا تبني عليها بيتًا وتكيد به أعداءها وهم زوجة أخيها وأخت زوجها.

وقفت نجوى أمام المرآة تحاول أن تخفى العلامة التى أصابتها بها أمها من سنوات فى جبهتها تحت شعرها.

ابتسمت أمينة بسخرية وقالت : مهما تعملى وجهك قبيح مثل أهل ابيك. ولن تتزوجى أبدا وسوف تظلى عانسًا مثل أخت أبيك .

نجوى باكية : حرام عليك ياماما أنا ابنتك، حرام عذاب فى... طول عمرى وأنا لم أسلم من عذابك!

أمينة: أنت شبه أخت أبيك وأنا لا أحبها ولا أحبك.

نجوى: وما هو ذنبى أنى شبه عمتى ؟ هل يوجد أم فى الدنيا تكره ابنتها من أجل شكلها؟

أمينة : بطلى فلسفة واغسلى الأطباق قبل ذهابك للعمل.

نجوى : غسلتها قبل أن ارتدى ملابس الخروج.

ألقت أمينة بجردل ماء فى أرض المطبخ.

وقالت لنجوى : امسحى أرض المطبخ قبل الخروج.

نجوى : أنا مرتدية ملابس الخروج حرام عليك الذى تفعلينه!.

أمينة : وأنت تعرفى حلالًا وحرامًا، فيجب أن تسمعى كلامى، فإن الجنة تحت أقدام الأمهات، وبدأت تبكى وتنوح فإن صحتها الآن لا تسمح بالضرب بالأحذية.

نجوى حزينة : حاضر يا ماما لا تبكى فسوف أعمل الذى تريدينه.

ارتدت نجوى جلباب البيت فوق ملابس الخروج ومسحت المطبخ .

أمينة : اشترى لى الإفطار قبل ذهابك للعمل.

نجوى : افطرى أى شئ فى البيت لقد تأخرت عن العمل.... السلام عليكم.

عند اقتراب نجوى من المحل التى تعمل به والذى يجاور ميدان التحرير وجدت مظاهرات وطلقات نارية وقد امتلأ الميدان عن آخره بالمتظاهرين وبدأت تستفسر عن سبب هذا الهرج والمرج فقالوا لها إنها الثورة.

نجوى : ثورة إيه ؟ احنا طوال اليوم أمام التليفزيون وكل شئ على ما يرام.

الناس تجرى مذعورة.... ويصيحون بها ..اجرى يا آنسة ...اجرى يا آنسة..

نجوى : أجرى من ايه ؟ أنا ماشية على الرصيف.

وجدت نجوى نفسها وسط الزحام، أمواج من البشر تهز الميدان، أغمى عليها، سقطت على الأرض، داستها أقدام المتظاهرين دون أن يدروا، لفظت نجوى أنفاسها الأخيرة وهي تقول: سامحيني يا أمي فلم أحضر لك الإفطار.

اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه

تمت

***

عريس الغفلة
(1)

ترجل سمير من الترام أمام شارع زين العابدين وسار يتطلع فى العمائر التى كان معظمها قديمة، ولكنها كانت جميلة إلى حد ما تدل على ثراء ورقيّ مضى عليه الزمن، وتذكر بيته فى إحدى القرى الريفية التابعة لمركز كفر الدوار، هذا البيت الطينى الذى يتكون من ثلاث حجرات صغيرة، واحدة لوالدية والثانية له وإخوته الستة، والثالثة للحمار الذى كان يمتطيه أبوه إلى الحقل الذى يعمل به.

تذكر سمير حياته البائسة فى القرية وغرفته هو وإخوته التى لم تهدأ أبداً من الهرج والمرج والبكاء والعويل من إخوته الصغار، وكثيراً مع عدد ليس بالقليل من أطفال القرية بسبب الجوع أو الشجار. فكان لا يستطيع المذاكرة أو حتى سماع نفسه عندما يتكلم.

وقف سمير أمام باب العمارة التى تقيم فيها الأستاذة / عنايات رئيسته فى العمل وقد هم بالدخول إليها، لكن حارس العمارة استوقفه باستنكار وتطلع إليه شزراً، فقد كان سمير قليل الجسم يرتدى قميصًا بنصف كم رغم برودة الطقس، وبنطالًا ضيقًا قصيرًا كأنه استعاره من أخيه الصغير، وحذاء قديمًا ليس له لون لكنه كان يلبس فى أصبعه خاتماً رقيقاً ، ذهبياً جديداً لامعاً، وكان ضيقاً جداً على أصبعه يكاد يقطعه.

سأل الحارس: رايح فين يا أستاذ ؟

رايح شقة عبد الهادى بك. ولم ينس سمير أن يمسح على شعر رأسه الأكرت حتى يرى حارس العمارة الخاتم الجديد فى أصبعه ويعرف مدى ثرائه.

أجابه الحارس: الطابق السابع.

سأل سمير الحارس : ما هو رقم الشقة ؟

أجابه الحارس بنفور : هى شقة واحدة على سطح العمارة ولن تتوه عنها، ثم ضحك بسخرية.

لم يستفسر سمير عن مكان المصعد فإن حارس العمارة لم يبال به أو بعبد الهادى بك. وصعد سمير الدرجات بخفة ونشاط ووقف أمام شقة الأستاذة/ عنايات رئيسته فى العمل وقد بُهت، فإن هذه الشقة عبارة عن عدد من غرف الغسيل التى كان يستعملها السكان فيما مضى أيام عز مصر ورخائها، وقد تم وضع باب على كل منها لاستخدامها كمسكن.

لمس سمير الجرس الكهربى برقة فخرج منه صوت جميل متقطع مثل صوت البلابل، لكن الباب لم يُفتح، فانتظر سمير قلقاً لبضع دقائق وهو يفكر فى المهمة التى أتى إليها والمشروع الذى عمل عليه طويلاً. فتح الباب فجأة وأطل منه رجل عجوز نحيل أشيب الرأس يرتدى بيجامة قديمة، فسأله بعد أن نظر إليه متعجباً:

- ماذا تريد ؟

- هل حضرتك عبد الهادى بك ؟

- ومن حضرتك ؟

- سمير شعبان زميل الأستاذة / عنايات يا أفندم.

- تفضل فى الصالون.

دخل سمير الشقة وقد كانت صغيرة للغاية، وهو يتطلع لأثاثها القديم الغير متناسق، وجلس فى الصالون العتيق وهو يبتسم ابتسامة خبيثة، أهذا بيت الأستاذة عنايات بنت عبد الهادى بك التى طالما تحدثت عن أبيها وعن ثرائه وعن سكنها الفاخر؟! لكنه لم ينس أن يجلس ويضع ساقًا على ساق ويضع يده اليمنى عليها لكى يظهر الخاتم الذهبى اللامع.

- سوف أحضر لك عنايات حالاً.

- لكنى أريد أن أتحدث مع حضرتك أنت وليست الأستاذة عنايات.

صاح عبد الهادى بك : عنايات أحضرى شايًا للضيف، وجلس قبالة سمير مستفسراً وسأله:

(2)

خيرًا إن شاء الله ؟

أجاب سمير بغطرسة وهو يضع ساقًا فوق ساق وأصبعه يئن من ضيق الخاتم الذهبى : خير إن شاء الله يا عمى.

نظر إليه عبد الهادى بك بتعجب واستنكار.

استطرد سمير فى حديثه بجرأة لم يعهدها فى نفسه من قبل وقال : إننى أطلب يد الآنسة عنايات بنت حضرتك.

نظر إليه عبد الهادى بك باشمئزاز وقال : عنايات تكبرك على الأقل بخسمة عشرة عامًا .... وفى هذه الأثناء دخلت عنايات بصينية الشاى، وعندما رأت سميرًا أصابها الفزع فصاحت : من ؟ سميرشعبان ماذا تريد يا وجه القرد؟. وكيف عرفت سكنى ؟

فقال أبوها : أنه يريد الزواج منك. وضعت عنايات الصينة على المائدة وقالت لسمير بلهجة آمرة ساخطة وهى تشير إلى الباب : اخرج بره يا وقح . سوف أعلمك الأدب.

ابتسم سمير فى برود وسماجة وقال : ممكن أشرب الشاى أولاً ؟ ولماذا هذا الهياج منك يا عنايات، أنا دخلت البيت من بابه وأطلبك فى الحلال، والرسول عليه الصلاة والسلام تزوج أم المؤمنين ..... لم تدعه الأستاذه عنايات يكمل جملته فصاحت وهى ممسكة بالشاى الساخن تريد أن تقذف به فى وجه سمير: اخرج من هنا يا حيوان يا صعلوك قبل أن اقذف بك من الطابق السابع.

نظر إليها سمير فى رعب وعرف أنها لا تتورع فى فعل ما تقوله، فهى رغم قباحة وجهها وكبر سنها لكنها كانت ذات بنية قوية وشخصية نافذة.

انهارت الأستاذة عنايات بعد خروج سمير من منزلها مطروداً واستمرت فى البكاء وقالت لأبيها: إن سمير سوف يقول كلامًا كثيرًا عنها ويفضحها فى الإدارة، وخاصة بعد أن رأى منزلنا من الداخل وحالته المزرية.

فقال أبوها : الفقر ليس عيبًا وإنما العيب أن يتظاهر الشخص بما ليس فيه.

خرج سمير وهو يتعجب من رفض هذه العانس العجوز قبيحة الوجه والألفاظ لطلبه المشروع. لكنه بدأ يفكر ما سوف تفعله به غداً فى العمل وقدرتها أن تحيل حياته جحيمًا. فـأقر فى نفسه أن خير دفاع هو الهجوم، ووقف عند أحد المحلات فى شارع محرم بك لشراء بعض الأغراض.

وفى اليوم التالى ذهب سمير إلى عمله مبكراً قبل زملائه وقبل رئيسة القسم الأستاذة عنايات، وذهب حيث مكتبها وتأكد أن أحدًا لا يرى ما يفعله ودس شيئًا دقيقًا فى درج مكتبها المغلق بالمفتاح، لكنه استعان بمسطرة دقيقة قد أحضرها معه لهذا الغرض.

امتلأت غرفة المكتب بالزملاء، وبدأ بعضهم فى العمل والبعض الآخر يتحدث عن مباراة الأهلى والزمالك وأشياء أخرى كثيرة ليس لها علاقة بالعمل، لكن سميرًا لم يهتم بما يعملونه أو يقولونه إنما كان اهتمامه ناحية الباب يترقب رئيسة القسم الأستاذة عنايات.

سمع سميرعنايات تسأل عن المدير العام عند قدومها، فابتسم ابتسامة شيطانية فهو يعرف ما سوف تفعله به، فسوف تحيله للتحقيق بأى تهمة تراها، وعلى الأقل تطلب نقله من الإدارة إلى إدارة أخرى خارج الأسكندرية. لكن سميرًا كان لدية كل الحيل القذرة وغيرها للانتصار عليها.

دخلت عنايات غاضبة غرفة المكتب حيث كان بها ثلاث موظفات وثلاثة موظفين، ولم تبدأ بالسلام أو الصباح، فقال أحد الموظفين فى صوت خافت : هذه بداية سيئة لهذا اليوم. جلست عنايات على مكتبها وسمير يراقبها من خلف نظارته السميكة، وصرخت عندما فتحت درج مكتبها وقالت: إننى أعرف السافل الوقح الذى وضع هذا فى مكتبى .

فسألتها إحدى الموظفات : وضع ماذا يا أستاذة ؟

لم تجيب الأستاذة عنايات عن السؤال، وإنما أخذت حقيبة يدها وذهبت للمدير العام.وبعد دقائق حضر المدير العام وقال الأستاذة عنايات طلبت النقل من هنا، وسوف تمكث فى بيتها حتى يأتى قرار النقل إلى إدارة أخرى.

أخرج سمير بعض الملفات للعمل بها حتى يأتى رئيس قسم آخر وهو مستمر فى ابتسامته الشيطانية.

لم يعرف أحد من الموظفين سبب هياج الأستاذة عنايات إلا سمير الذى قص على زميله القريب منه قصة محاولته الزواج منها وسأله زميله عن سبب هياجها وسُبابها عندما فتحت درج مكتبها. فقال له سمير وهو يبتسم ابتسامته الشيطانية ولم ينس أن يفرك خاتمه الذهبى الدقيق:

عنايات كانت تسبنى أنا لأنى وضعت فى درج مكتبها شيئًا بسيطًا.

فسأله زميله : وما هو هذا الشئ البسيط ؟

قال سمير بخبث وندالة : لقد وضعت لها قميص نوم أحمر اللون لأذكرها أنها امرأة وليست رجلًا كما كانت تعتقد هى.

تمت

***

فهرس المحتويات

إهداء	3
تقديم	5
واشنطون	7
عابر محيط	77
باب عمر باشا	142
الباب الجديد	158
باب سدرة	174
أمّان وثورة	195
عريس الغفلة	217

***